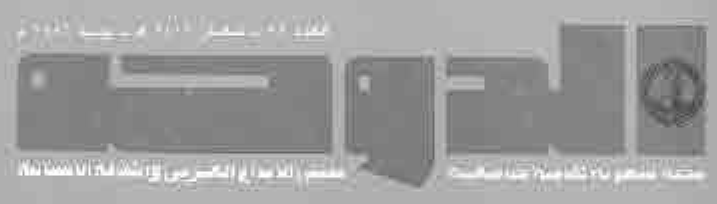






جوائز السينما من يستحقها وكيف؟







تراث الهند في متاحف لندن

العشق الشعري في الفن الفلسطيني

مطلوب مدخل عربي لـ : التجربة اليابانية

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري



- ماذا يحتاج العرب لفهم هذه الظاهرة ؟
- الخليج جسر التفاعل الحضاري بين العرب والشرق الجديد

التجربة اليابانية .. أو الأعجوبة اليابانية . أو المعجزة اليابانية ظاهرة عالمية من ظواهر عصرنا تثير الفكر الباحث ، المنقب المستفسر عن أسرارها ، فى مختلف انحاء العالم ، وخاصة فى دوائر الفكر الأوربية والامريكية والسوفياتية ، حيث يعكف اهل التقدم والتكنولوجيا على دراسة الانجاز الاستثنائي لهذا البلد الشرقي الذى ينافس الغربيين فى أمضى اسلحتهم ومخترعاتهم التقنية ، من ناحية ، والذى يثير دهشة الشرقيين واعجابهم من ناحية اخرى دون ان يتمكنوا من اللحاق به على كثرة ما حاولوا وجربوا ..

وهذه التجربة اليابانية تعنينا نحن العرب لعدة أسباب هامة :

اولا : اليابانيون قوم شرقيون مثلنا ، بداوا مسيرتهم نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف الحضاري كما بدانا ، ولكن شتان بين بداية وبداية ... فلماذا هذا الفارق ؟؟

ثانيا : اليابان حققت التحديث والتقدم بالمحافظة على تراثها وتقاليدها ومؤسساتها القومية والدينية الاصيلة . والعرب ، كما يظهر من تجاربهم ، يريدون تحقيق التقدم دون التضحية بتراثهم وتقاليدهم وقيمهم المتوارثة ، لكن من غير ان يتمكنوا حتى الآن من تحقيق المطلب الاول (التقدم) كما يجب ، أو الحفاظ على المطلب الثانى (التراث) كما ينبغى ..

وها هى ذي اليابان امامهم اكثر من اى بلد شرقي اخر تحقق المطلبين الغاليين معا .. مطلب التقدم ومطلب الحفاظ على التراث .. الا ينبغي ـ إذن ـ أن يدرس العقل العربى بعناية وجدية وتدقيق هذه التجربة الفريدة التى كان يماثلها طموحه الاكبر منذ مطلع نهضته المجهضة ؟

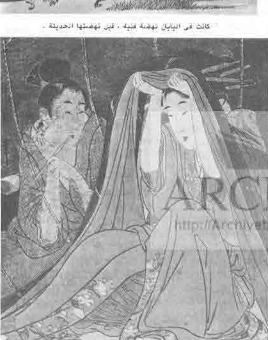
ثالثا : ان اليابان تمثل طليعة قوة بشرية حضارية هائلة جديدة توشك ان تستلم زمام القيادة العالمية من الجنس الابيض . هذه القوة تتمثل بالاضافة الى اليابان ، فى الكثافة البشرية الصينية ، وفى النهوض الصناعى والحضارى العام لشعوب الشرق الاقصى (الجنس الاصفر) فى كوريا وفيتنام ومنطقة الهند الصينية بصفة عامة . وليس من المبالغة القول ان القرن الحادى والعشرين سيكون قرن القوة الصفراء .

وهذه القوة تختلف عن القوة البيضاء



تراث المسرح اليابانى اقدم من مصنع التيوتا .. ولكن الغرب لا يفهم !

كانت فى اليابان نهضة فنية ، قبل نهضتها الحديثة .





رسوم يابانية من القرن الثامن عشر .. قبل الكمبيوتر .. كان الفنان !

فى موقفها من العرب من عـــدة اوجـــه جوهرية : فهى شرقية مثلنا ، وهى على اتصال حضاري دائم وودي معنا منذ عهود قديمة عن طريق المحيط الهندى وبحر العرب والخليج ، وهى لا تحمل ضدنا الاحقاد الصـــليبية والاســـتعمارية والصهيونية التى يحملها الغرب ، وهى لا تريد السيطرة علينا سياسياً او محاربتنا دينيا وقوميا . وقد عاش مسلمو الشرق الاقصى مع جيرانهم هناك ، معظم عصور التاريخ ، فى وئام وتعاون .

ثم ان هذه القوة الجديدة لا ترتبط باسرائيل الارتباط الوثيق العضوي الذى يشد الغرب اليها . ومعنى هذا ان العرب يستطيعون التعاون مع هذه القوة الشرقية الجديدة ، المستقلة عن الهيمنة الامريكية والهيمنة الروسية على حد سواء ، فى معركتهم الحضارية من اجل التقـــدم ، ومعركتهم القومية ضـــد عـــدوهم ، أو استخدامها على الاقل كقوة توازن وتحييد للخصم الغربي .

وقد سبق أن عالجنا هذه النقطة بالذات فى مقالتنا « العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ » بمجلة الدوحة عدد يناير ١٩٨٢ ، فليعد إليها من شاء متابعة امر العلاقة المستقبلية بين العرب والقوة الصفراء .

رابعا : ان منطقتنا هذه ، منطقة الخليج والجزيرة العربية ، تمثل الآن واجهة الحوار والتفاعل مع منطقة القوة الصفراء لاعتبارات جغرافية واستراتيجيـــة واقتصادية . ومستقبل علاقة هذه القوة مع العرب سيتقرر الى حد كبير بالكيفية التى سيتفاعل بها عرب الجزيرة والخليج مع

مطلوب مدخل عربي لـ :

التجربة اليابانية

للعطيات الحضارية لهذه القوة : ايجابا باقتباس محاسنها ، وسلبا باجتناب محاذيرها ..

وكما كان البحر الأبيض المتوسط واسطة التفاعل بين أوربا وعرب المشرق وشمال افريقيا ، فان الخليج العربي اليوم يمثل واسطة التفاعل بين حضارة الشرق الاقصى وبين عرب هذه المنطقة ، بمعناها الاستراتيجي الواسع ، من العراق فى الشمال الى سلطنة عمان فى الجنوب مرورا بالكويت ، والمملكة العربية السعودية ، وقطر والبحرين ، والامارات العربية ، وصولا الى اقليم اليمن فى الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية .

فعلى امتداد هذه الرقعة الشرقية الشاسعة من الوطن العربي يجرى تعامل بشرى وتقنى واقتصادى مع اليابان وغيرها من كتلة الشرق الاسيوي البعيد ، الذى لم يعد بعيدا ! ، فهل سندع هذا التعامل يمر على السطح الاستهلاكى المظهري المادى لمجتمعاتنا .. ام نحوله الى تفاعل اعمق بالنفاذ الى جوهر الحضارة الجديدة لدى هذه القوة الشرقية ؟

سؤال ليس أصعب منه غير المغامرة بتقديم جواب عنه . لكنه سؤال اساسي وسيكون حكما تاريخيا على عرب هذه المنطقة وعلى مدى استعدادهم للتحضر الصحيح . فهل سيكونون كاجدادهم ، عرب الشرق القدماء الذين نشروا الحضارة الاسلامية والدين فى الهند والصين واخذوا من علوم البلدين ما اضافوه الى حضارتهم ، كما فعل العالم العربي ابو الريحان البيروني ، او كما فعل الملاح الخليجى ابن ماجد الذى سلك طريق الشرق البعيد بالعلم والمهارة البحرية ، أو كما فعل تجار حضرموت الذين نشروا الاسلام فى جميع انحاء اندونيسيا ، او كما فعل بحارة عمان بنشرهم المؤثرات العربية على امتداد الطريق البحرى الى اقصى الشرق ، او كما فعل رجال الملك عبد العزيز ال سعود الذين بعثهم دعاة الى تلك المناطق النائية ، فى ذلك الزمن الصعب ، لمواجهة حملات التبشير والاستعمار ضد الاسلام والثقافة العربية ، فكانوا فى مستوى المهمة ، وتصدوا للتحدي ، واعادوا صلاتنا الروحية والثقافية مع مسلمي الشرق الاقصى فعادت طرق الحجيج سالكة من جاوة وسومطرة والملايو الى الحرمين الشريفين فى أرض العرب .

إذن فنحن لا نبدأ من فراغ مع شعوب الشرق الأقصى ، ولنا تجربة حضارية سابقة وعميقة الجذور معهم ، وعلى الجيل العربي الحاضر ان يرتفع الى مستوى التجربتين : تجربة اجداده الحضارية مع الشرق الأسيوي ، وتجربة هذا الشرق الجديدة مع الحضارة الحديثة ومن هذا المنطلق ، نطرح بحثنا هذا لدراسة التجربة اليابانية ..

بعد هذا كله ، لابد من التنبيه بوضوح تام ، ان الحديث عن التجربة اليابانية ، خاصة ، والتجربة الاسيوية الشرقية عامة ينحصر فى التحليل الفكرى الحضارى ، وعلينا ان نجربه بوعي كامل يتجنب محاذير اي نوع من الدعاوة للمصالح الاقتصادية والسياسية لليابان او غيرها من بلدان الشرق الأقصى . كما يتجنب محاذير الهجرة الأسيوية لمجتمعاتنا العربية - من ناحية أخرى - ويدرك مختلف ابعادها ويضعها فى إطارها الصحيح .

فالتفاعل الذى نريده هو بين عروبة واعية مستقلة وبين حضارة شرقية جديدة صاعدة ، لا بين مجتمعات استهلاكية مفتوحة وشركات صناعية طامعة تمثل رديفا للغرب او اطماعا اخرى من الشرق ، وعلى اليابان والصين وكوريا وغيرها ان تدرك بوضوح من الآن ان مستقبل علاقة العرب التاريخية الجديدة معها هو رهن بهذا التفاعل الحضارى قبل كل شىء ، وتجنب المصلحة الانتهازية التى اضرت بسمعة الغرب الحضارية فى المنطقة العربية ، والاقتصار على المصالح المشروعة والمتبادلة بين الجانبين .

فدراستنا للشرق الجديد ، إذن ، هى مثل دراستنا للغرب ، ناخذ حضارته بيد ، ونقاوم اطماعه باليد الاخرى ، إن بدت منه أي اطماع ..

ولقد وجدت من واقع المقارنة بين الدراسات الامريكية والسوفياتية والأوربية عن الظاهرة اليابانية واسباب نجاحها ، ان الدراسات الفرنسية هى الأقرب الى الموضوعية والتفهم والانفتاح البعيد عن الغرض والميول .

فالدراسات السوفياتية متاثرة بالمنهج الماركسي ، الذى لا يستطيع او لا يريد أن يفهم كيف يمكن ان يتطور بلد شرقي ويتقدم فى ظل نظام امبراطوري تقليدي ، وبالحفاظ على اسس المجتمع القديم ، وبالتعاون بين الراسمالية والعمال دون حرب طبقية .. ناهيك بذكرى الهزيمة الروسية على يد اليابان عام ١٩٠٥ .

والدراسات الامريكية ، تبسيطية ومتاثرة هى الاخرى بالصراع اليابانى الامريكى بعد ضربة « بيرل هاربر » فى الحرب العالمية الثانية وبعقدة الذنب المتمثلة فى القصف الامريكى لليابان بالقنابل الذرية ، ثم بالاحتلال العسكري لها .. وصولا الى التنافس التكنولوجى والحرب الاقتصادية بين الجانبين مؤخرا لغير صالح الجانب الأمريكى !

اما الانجليز ، فلا يمكن ان ينسوا ابدا ، ان البضائع اليابانية منذ القرن التاسع عشر كانت المنافس الاول لبضائعهم فى اسواق الشرق وانها قد غزت اسواقهم الداخلية بشكل مخيف فى الاونة الاخيرة ، هذا بالاضافة للصراع الاستعماري بين البلدين ، شرق اسيا وذكرياته المريرة .

الفرنسيون ، اقل نفورا من اليابان على هذه المستويات لانه لم يقم صراع مرير بين الجانبين بمثل تلك الحدة والمرارة ..

ثم ان الفرنسيين ، بحكم ذوقهم الفنى والشعرى والحضارى ، يكنون اعجابا للذوق اليابانى الرفيع ، وللفن والشعر والنغم الياباني ولأشياء الجمال اليابانية

الأخرى .. وهنا سر هذا التفهم الفرنسي ، الأقرب الى الاعتدال ، للظاهرة اليابانية ككل من حيث هي ظاهرة حضارية ، لا مجرد اخطبوط اقتصادي وتكنولوجي يهدد الغرب .

وفي فرنسا ، والدراسات الفرنسية ، نستطيع أن نرى الوجه الحضاري لليابان ، والوجه الانساني ، الذي لا يفسح لظهورة الغربيون الاخرون من روس وامريكان وانجليز .. أو لا يريدون رؤيته ومحاولة فهمه .. على حقيقته كواقع انساني مركب ومعقد يستحق التفهم والتعاطف .

وقد خصص روجيه غارودي ، المفكر الفرنسي المعروف ، فصلا في كتابه الموسوم « كيف أصبح الانسان انسانا » عن الوجه الفني الانساني الروحي لليابان القديمة التي لم يفهمها الغرب الى الآن ، والتي ذهبت الأساطيل الغربية لتدميرها ، وتعليمهاالحضارة الغربية ، دون ان تتعلم هي منها شيئا ، مما أفقد الحضارة الغربية في رأي غارودي ، بعدا انسانيا وروحيا هاما ..

ومن الجدير بالذكر ، أن ادباء العربية وشعراءها ومصلحيها ، قد انبهروا بالمعجزة اليابانية منذ بداية القرن وكتبوا في الاشادة بها ووصف منجزاتها منذ أيام شوقي وحافظ وقاسم أمين ، ويمكننا من باب التوثيق التاريخي جمع مادة ليست بالقليلة من الكتابات العربية عن الظاهرة اليابانية ، خاصة ما ظهر منها بعد الانتصار الياباني على روسيا القيصرية سنة ١٩٠٥ وهو أول انتصار لبلد شرقي على قوة غربية كبيرة . أضف الى ذلك ان الانتصار الياباني عوض في نفوس المسلمين عامة ، والعرب منهم ، شيئا عن الانكسار الذي كانوا يعانونه من جراء تقدم الزحف الروسي السلافي في أراضي الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الاسلامية وأعطى الأمل في امكانية انتصار الشرقيين عموما على القوى الغربية التي دخلت اليهم في عقر دارهم . ولكن هذا الأمل ، بقي أملا ، ولم يتحول النصر الياباني المبكر الى نصر للشعوب الشرقية الاخرى ، وخاصة العرب الذين تواصلت تراجعاتهم وتجزئة أوطانهم من قبل القوى الغربية .

وأيا كان الأمر فان ذلك النجاح الياباني كان له أثره في تقوية روح « الرابطة الشرقية » التي انتشرت الدعوة اليها في مصر خاصة ، والتي مثلت نقطة الانتقال بين تعلق مصر بالدولة العثمانية واكتشافها فيما بعد رابطتها القومية العربية ، وهويتها العربية .

وهذا يعني ان المسألة لم تكن مجرد اعجاب باليابان وتقدمها ، وانما كانت بحثا عن رابطة جديدة تستطيع ان تخلق من التضامن ما عجزت الرابطة العثمانية عن تحقيقه . واذا كانت الرابطة العربية تأتي قبل كل شيء بحكم طبيعة الأشياء ، فإن مصر والعرب بامكانهم اليوم إحياء هذه الرابطة الشرقية لكسب قوة حضارية جديدة هائلة الى معسكرهم في مواجهة التحدي الغربي وما أوجده الغرب في قلب وطنهم من تحد اسرائيلي .

ولكن ذلك يتطلب ان ينتقل العقل العربي من مرحلة الانبهار الشعري بالتجربة اليابانية والتعاطف الادبي معها .. الى .. مرحلة التحليل العقلي والادراك الفكري الدقيق لخصائص التجربة وأسرارها ودروسها مع القدرة على المقارنة الواعية والحذرة بين التجربتين العربية واليابانية لتصب نتائج هذه المقارنة في دائرة المعاناة العربية العامة الجارية اليوم في مختلف انحاء الوطن العربي بعد ما تعرضنا له من كوارث ، ولتنجم عن ذلك رؤية جديدة تدفع بالأمة نحو الإنقاذ واعادة البناء .

وبلاشك فان مراكز الدراسات العربية ، وبعض المفكرين العرب ، هم بصدد دراسة الظاهرة اليابانية مع غيرها من الظواهر الجديرة بالدرس ، وقد أخبرني المفكر العربي الكبير استاذنا الدكتور قسطنطين زريق انه شديد العناية بدرس هذه الظاهرة والنفاذ الى دقائقها ليس في تاريخها العام حسب ، وانما كما تتجلى في آدابها وفلسفتها ونفسية أهلها .. وان من أدق الخصائص التي هزته في هذه الظاهرة الانسانية المتميزة ، هي أن الانسان الياباني عندما يقع في التقصير أو يخل بواجب من واجباته الوطنية أو الاخلاقية أو العملية .. يأتي الى رئيسه ليستأذنه في الانتحار وتكفيرا عن ذلك الخطأ .. !

قلت : فأين هذا الانسان .. من انسان من نوع آخر يعتبر التهرب من الواجب شطارة ومهارة .. بل ويفخر بقدرته على التهرب والمراوغة .. ويتباهى بما يجمعه من وراء هذا الاخلال من كسب غير حلال .

وهل نعجب اذا تقدمت الأمة التي ينتمي اليها الانسان من النوع الأول ، وخابت الأمة التي تقوم على الانسان من النوع الثاني ؟

هذه التأملات والدراسات الفكرية العربية في الظاهرة اليابانية نأمل أن تصل الى نتائج مفيدة وعملية بالنسبة لتصحيح المسار العربي على الصعيد الحضاري الشامل .

وكما أشرت ، فان الدراسات الفرنسية في الظاهرة اليابانية ، بما تتصف به من تفهم واعتدال وتذوق حضاري ، يمكن ان ترفد هذه الدراسات العربية وتضيف الى رؤيتها ، وتعمق من ادراكها للصورة الشاملة .

ولعل أفضل دراسة فرنسية مكثفة وشاملة للتجربة اليابانية في مختلف جوانبها ، هي كتاب الاخصائي الفرنسي في شئون اليابان والشرق الأقصى ، مسيو روبير غيلان ، الموسوم : « اليابان ، العملاق الثالث » ، الذي اعتقد ان اي مدخل لدراسة التجربة اليابانية ، تاريخيا وفكريا وانسانيا ، لا يستطيع الاستغناء عنه .

وهو مرجع نأمل أن نلتفت إليه في المقالات التالية لنقف امام بعض فصوله ونترجم منها ، ثم لنخرج بخلاصات تصلح أساسا لاجراء دراسة مقارنة بين التجربة اليابانية والتجارب العربية .

د . محمد جابر الأنصاري

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر



الحرب الخاسرة

بين الحين والحين ، تنشر الصحف والمجلات كتابات تناشد العمـــل على تحسين الظروف المعيشية للكتّاب ، خاصة وان جامعي القمامة اذا تذمروا من سوء احوالهم اعلنوا الاضراب عن العمل حتى تلبى مطالبهم ، فتؤلف اللجان لدرس مطالبهم وتنفيذ بعضها ، اما الكتّاب اذا اعلنوا الاضراب ونبذوا الاقلام وكفوا عن الكتابة ، فسيُرحب باضرابهم من قبل جهات عديدة وكثيرة حتى يتاح لها النوم بطمانينة لا تعكرها كلمة نقد بناءة مسؤولة .

وما دامت السنوات المتعاقبة قـــد اثبتت ان هذه الكتابات ليست سوى صراخ فى صحراء لا يسكنها حي ، فمن المستحسن اذن اعتبار الكاتب العربي انسانا من نوع فذ نادر ، لا يبكي ولا يفرح ولا يجوع ولا يسكن فى بيت ولا يصيبه اى مرض او داء إنما هو روح هائمة باستمرار فى عوالم الثقافة .

الكاتب حين يهترىء بنطـــاله ، لا يحتاج الى شراء بنطال جديد ، بل يرتدي صفحات من مجلة فكـــرية ، فالانسان قديما كان يكتفي بورقة توت فقط .

والكاتب حين يجوع ، يقرا كتابا دسم الموضوع ، فيتبدد جوعه ، وتعانى معدته امراض التخمة ، ويهرع الى عيادات الاطباء مستغيثا متوسلا .

والكاتب حين يمرض ، يفرح اعظم الفرح لان الألم خالق المبدعين .

والكاتب حين يموت ، لا يبغى قبرا فسيحا نظيفا حسن الاضاءة انما يريد ان يظل جثة ملقاة تحت السماء الزرقاء يغمرهـــا ضياء الشمس الذهبية ، وترفرف فوقها اجنحة العصافير المغردة

والكاتب بعد موته ، لا يطمح الى نشر ما ترك من مؤلفات مخطوطة فلكل زمان ادبه وادباؤه وكتابه .

جنازة بلا ميت

الادب الاصيل فى الوطن العربي مسكين حقيقي جدير بالرثاء ، ولو اتيح له ان يتجسد فى مخلوق من لحم ودم لاختار مرغما الوقوف على ابواب المساجد بثياب رثة وراس منكس ، فالادباء الذين يكتبون مخلصين لتلاقتهم والسانها الاخلاص الصادق النزيه العقل البعيد عن التشنج والصياح الحمـــاسي والشـــعارات الفكـــرية والسياسية الجوفاء هم الأيتام فى مادبة اللئام .

وهذا الواقع المر الهزلي يرجع وجوده الى اسباب عديدة ، منها ظهور فئة تزعم انها وحدها الواعية الشريفة المالكة للفكر العلمي الموضوعي ، فتنقض باسم الواقع ومشكلاته على الاثار الادبية المبدعة واصحابهـــا بالتصنيف والتقويم مطلقة احكامها يمنة ويسرة .

وهي احكام صارمة غير قـــابلة للاستئناف او النقض او التمييز ، فهذا اديب رجعي لان كتاباته تخلو من التنديد المباشر بالاستعمار ، وذاك اديب غير مرتبط بوطنه لانه تحدث فى نتاجه عن الموسيقى والورد والقطط كان الموسيقى والورد والقطط عمـــلاء للمخابرات الاميركية ، وذلك اديب خان الطبقة الكادحة لان اشعاره لم تتطرق الى تمجيد ثوار السلفادور .

وتلك الفئة تضم ماهب ودب من الافراد ، فبعضهم لا علاقة له بالادب ويعلن انه يعنى بالشؤون الاقتصادية ومختص بمتابعة تطور تسويق القطن فى العالم ، ولكنه يصدر احكام الاعدام على الادباء ، مستندا الى مادة فى الدساتير تنص على ضمان حرية التعبير لكل مواطن .

وبعضهم ادباء كتبوا ، مستخدمين انواعا شتى من الاقلام ، فلم ينتجوا سوى الكتابات المروجة للحبوب المسكنة للصداع .

وبعضهم ادباء كانوا يكتبون فيما مضى من السنين العابرة ، ثم ناموا نوم اهل الكهف ، ثم افاقوا من نومهم لاسباب غير ادبية ، وخرجوا من قبورهم ، معلنين استنكارهم لكل ما نتج من ادب فى اثناء غيابهم عن الحياة الادبية .

وهذه الفئة المتناقضـــة الافراد ، توحدها النظرة السطحية الى الأدب ودوره ، فالادب فى رايها قادر على تغيير المجتمع ، ويستطيع ان يحقق ما عجز الساسة والجيوش عن تحقيقه .

ومن المضحك ان هذه النظرة نفسها الى دور الادب لو طبقت على ما كتبته تلك الفئة من قصة وشعر ومسرحية ورواية فلن يظفر الا بثلاثة اصفار موضوعية ، اما القراء فهم بالتاكيد سيتبرعون بسخاء بثمن الاكفان لهذا الهراء الزاعم انه ادب ملتزم .

الكتاب سجينًا

واحد من اصدقائي موظف في وزارة للثقافة في احد الاقطار العربية ، وقد روى لي يوما ما يلي :

ـ انا كما تعلم اعمل في وزارة تطبع كل سنة الكثير من الكتب الادبية والثقافية ، وتبيعها للقراء باسعار رمزية تنفيذا لمخططها الهادف الى نشر الثقافة . وفي يوم من الايام استدعاني وزير الثقافة ، وقال لي غاضبا : « لماذا نطبع الكتب ؟ هل نطبعها لتصل الى القراء العرب كافة ام لتبقى في المستودعات ؟ » .

فاكدت له بحماسة انه من المهم ان تصل هذه الكتب الى القراء العرب من المحيط الى الخليج . فكلفني الوزير انذاك بالبحث عن موزع قادر على اداء هذه المهمة الجليلة النبيلة والقبول بشروطه مهما كان نوعها .

وبعد اسابيع من التنقيب والتفتيش عثرت على موزع اجمعت الاراء على انه الافضل والانشط . قابلت ذلك الموزع وحدثته بايجاز عما تريده وزارتي ، فانصت لكلامي انصاتا جعلني اشعر اني شحاذ يقرع ابوابا موصدة ، ثم قال إنه سياخذ ستين بالمئة من سعر الكتاب عمولة توزيع ، فقلت له على مضض إن شرطه مقبول معقول .

قال الموزع إن اجور نقل الكتب الى اي قطر عربي ستدفعها الوزارة ، فقلت له بدهشة إن شرطه مثير وموافق عليه .

قال الموزع إنه لن يوزع الكتب حالما يتسلمها بل سيكتفي بارسال عناوينها واسماء مؤلفيها الى وكلائه في الاقطار العربية ثم يرسل اليهم فيما بعد بعض الكتب التي يطلبونها وفقا لتقديراتهم المستمدة من معرفتهم باحوال السوق ، اما الكتب التي لن يطلبوها فستعاد الى الوزارة ، ولما كان وكلاء التوزيع تجارا وليسوا نقاد ادب وفكر فان ذلك الشرط يعني ان الكتاب الجاد البعيد عن الفضائح لن يوزع ويحرم الوصول الى القراء ، ولذا فقد قلت للموزع رايا في شخصه وشروطه اسوا من راي المواطنين العاديين في الدول العظمى ..!

عندما انتهى صديقي من كلامه ، سالته بفضول : « وماذا حل بتلك الكتب ؟ » .

فاجاب ضاحكا : « لا تسالني عن مصيرها بل اسال فئران مستودعات الوزارة فقد صارت متفقهة ، ومن المؤكد انها ستطالب الوزارة بطبع كتبها على افخر انواع الجبن بدلا من طبعها على ورق عسير الهضم » .

وقد راقبت فيما بعد الكتب الصادرة عن تلك الوزارة ، فتبين لي ان مطالب الفئران والموزعين لم تتحقق ، فهل افرح ام احزن ؟ !

مجازر ثقافية للأطفال

اطفال الوطن العربي الذين يقال انهم سيصبحون في المستقبل رجالا مسؤولين مطالبين بانجاز مالم يستطع اباؤهم انجازه ..

هؤلاء الأطفال ظلوا أمدا طويلا مهملين ثقافيا ، وفريسة لنوعين من التجار الخطرين ، نوع ينظر الى الأطفال على انهم مجرد خراف تصلح للذبح والبيع وجني المغانم المادية ، ونوع اخر ماكر مشبوه يحاول ان يشوه الأطفال كي يكون رجال المستقبل العربي لا أكثر من دمى .

ويتصف هؤلاء التجار بقدرتهم على استغلال رغبة الصغار في القراءة ونهمهم الى مزيد من المعرفة والاطلاع على ما هو جديد من الوان الحياة ، فيقدمون اليهم المجلات والكتب التي تحرص اشد الحرص على ان تشتمل على عنصر التشويق والاثارة ، وهو عنصر يستخدم سلاحا للوصول الى الهدف ، والهدف هو الربح المادي او التضليل الفكري .

وفي السنوات الاخيرة ، تنبهت مؤسسات ثقافية عربية الى اخطار ذلك الدور المسيء الذي يمارسه هؤلاء التجار فابتدأت تعمل في مجال ثقافة الاطفال ، ولكن عملها بمجمله ما زال قاصرا وقطرة مداد تسقط فوق بحر ، وما زال محتاجا الى ان تكرس اكثر الطاقات العربية كفاءة ووعيا وموهبة جهودها له حتى يتمكن من ان يؤثر التاثير المنشود ، فيطرد المتاجرين بثقافة الأطفال ، ويساهم في منح المستقبل العربي رجالا حقيقيين قادرين على ان يقولوا : « لا » للظلم والتخلف والاعداء ، وان يحولوا رفضهم هذا الى افعال تبرهن على ان زمن الثرثرة والثرثارين قد هزم وبات ذكرى من ذكريات ماض مظلم بائس .

الرقص الفكري

هناك ادباء عرب يتعاملون مع ما يتبنونه من افكار كان تلك الافكار ثياب ، فهم يبدلون افكارهم في الصيف والربيع والشتاء والخريف بحجة رفضهم الجمود وبحثهم عن الافضل ، فاذا هم كراقصة اشمازت من عملها ، ورات فيه اهانة لوجودها وانسانيتها ، فقررت هجره ، ونفذت قرارها لتنتقل الى العمل في ملهى .

ولكن هؤلاء الادباء يختلفون عن تلك الراقصة ، فالراقصة حين تنتبه على خطئها ، تحني راسها خجلا بينما هم لا يخجلون بل يفخرون بما فعلوا ، ويطالبون امم الأرض بتقديرهم ، وينالون اكثر مما كانوا يرغبون فيه من تقدير .

وهذا ليس بالامر المستغرب اذا كانت الديدان تعامل بوصفها الصقور ، واذا كانت الصقور تعامل كانها نوع رديء من الدجاج لا يطير ولا يؤكل .

يوم تكلم النهر

قال النهر للبحر : « انا اكبر منك » .

فلم يجاوب البحر انما هدرت امواجه هازئة ، فاغتاظ النهر ، وقال للبحر متوعدا : « حين ياتي الشتاء ستنهمر الامطار وتزداد مياهي فاصبح اكبر منك » .

وجاء الشتاء ، وهطلت امطاره غزيرة ولكن البحر ظل اكبر من الاف الانهار .



مسافر على الرصيف

المأساة الأسوانية

بقلم: محمود السعدني

كان عباس الاسوانى ـ يرحمه الله ـ احد نجوم قهوة عبد الله . وعندما التقيته اول مرة كان طالبا بكلية الحقوق وموظفا بنادى السيارات ومحررا بمجلة مصر الفتاة وعضوا نشيطا فى الحزب الذى كان يحمل نفس الاسم . وكان حزب مصر الفتاة الذى اختاره الأسوانى ليمارس نشاطه فيه ،

حزبا غوغائيا يؤمن بالاسلوب الهتلرى فى حكم البلاد . كان الحزب يحلم بحكم

مصر على نفس الأسس التى قامت عليها تركيا فى عهد مصطفى كمـــال اتاتورك ! ولذلك ناصب الحزب مصطفى النحاس العداء . وسلك كل الطرق لهدم زعامة النحاس والنيل من شعبية حزب الوفد . ولذلك لفت عباس الاسوانى نظرى فى اول لقاء .

وازدادت دهشتى لموقفه عندما توثقت الصلة بينى وبينه . فقد كان ساخرا إلى اقصى حد . فنانا بكل معنى الكلمة ، محبا للحرية وللانطلاق . وكان يخرج من بيته فى الصباح فلا يعود إليه إلا قبل الفجر ! وكان ينتقل من قهوة إلى مطعم إلى رصيف إلى اى مكان ، شرط الا يكون بين اربعــة جدران . وكان يقضى سهرته المفضلة فى منزل امين المهدى وهو فنان عبقرى كان اعظم عازف عود فى زمانه !

وكان قد اعتزل العمل العام منذ فترة طويلة وتفرغ لسهراته مع اصدقائه يستمع الى إنتاجهم الفنى ويشنف اذانهم اخر السهرة بالعزف على العود !

ولكن امال عباس الاسوانى فى حزبه انهارت فجاة بعد حريق القاهرة . فقد القى القبض عليه مع غيره من اعضاء الحزب بتهمة إحراق القاهرة . ووجد عباس الاسوانى نفسه حبيس زنزانة ضيقة فى سجن مصر . وكانت التهمة هى الاشتراك فى مؤامرة لاحراق القاهرة . والعقوبة المنتظرة هى الاعدام ! وقضى عباس فى الزنزانة ثمانية اشهر ولم يخلصه منها إلا ثورة يوليو وجمال عبد الناصر . ولو تاجلت الثورة او فشلت لقضى عباس بقية عمره حبيس الجدران !

وخرج عباس من الزنزانة وقد اتخذ قرارا حاسما الا يعود اليها ! وكان هذا القرار هو حجر الزاوية فى ماساة عباس الاسوانى . ولم يكره شيئا فى حياته مثل السجن وهو شىء طبيعى . ولكن الشىء الذى يحتاج الى تفسير هو كراهيته لثورة ٢٣ يوليو التى كانت السبب الوحيد فى إنقاذه ! لعل السبب هو ان الثورة انقذته من السجن ولكنها قضت على حزب مصر الفتاة ، وقضت ايضا على نفوذ الطبقة التى كانت تتمحور فى نادى السيارات الذى كان والده يعمل فيه . وهى الطبقة التى كانت تحكم مصر ، وكان لها الفضل فى تعليم عباس الذى كان ابنا لموظف بسيط للغاية يعمل ضمن حاشية النادى . لعل ذلك هى الاسباب التى دفعت بعباس الى اتخاذ هذا الموقف من ثورة ٢٣ يوليو . موقف العداء منها دون استفزازها ، والعمل فى ظلها دون ولاء ودون عداء ظاهر ايضا . واستطاع ان يتلاءم عليها عندما فشل فى التلاؤم معها . ولما كانت ثورة ٢٣ يوليو لم تشغل نفسها بهذا الطراز من الاعداء . فقد افسحت له صدرها . فلمع فى ظلها ، واصبح كاتبا إذاعيا وكاتبا صحفيا ، وكاتبا مسرحيا ، وصدرت له كتب ، وعقدت له ندوات ، وافسحت سهرات القاهرة مكانا له . وصار عباس الاسوانى واحدا من مشـــــاهير المرحلة ! ولم يفصح عباس الاسوانى عن حقيقة مشاعره إلا بعد وفاة عبد الناصر . فاذا به واحد من اشد اعداء ثورة ٢٣ يوليو واكثرهم عداء .

وكشف عباس عن حقيقته فاذا به اقرب الى العهد الذى ولى ، عهد الباشوات ونادى السيارات ، من العهد الذى لمع فيه وانتشر بفضله . ولكن عباس بالرغم من كل شىء كان فنانا وكان حساسا

ولعله ادرك المازق الذى حشر نفسه فيــه ، لعله لمح راى النــاس الذين احبوه فى

عباس الاسوانى




زكريا احمد




سيد درويش



كامل الشناوى

نظراتهم ، ولذلك سقط صريع المرض فى نهاية حياته ، ولزم الفراش وهو لم يبلغ الستين بعد . لقد اصيب بالفالج وراح يتوكا على عصا ، ثم عجز فى اخر الامر عن النهوض من الفراش ، ومات فجاة وذهب قبل الاوان !

واذا كانت هذه هى ماساة عباس السياسية ، فان ماساته الفنية اكبر . فهو اعظم محدث ساخر عرفه تاريخ مصر . ولا اعتقد ان عباس الاسوانى كان له نظير كنديم من قبل ! كان حديثه يقطر سخرية وفكاهة فى نفس الوقت . وكان يروى قصصا قصيرة وهو يحكى لو كتبها عباس بنفس الطريقة التى يحكى بها لكان افضل بكثير من مارك توين ! والغريب انه فى الكتابة لم تكن له موهبته فى الكلام . وجرب كل الوان الكتابة . كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقال . ولكن موهبته الحقيقية لم تظهر إلا فى المقامات . كتب المقامات الأسوانية ، ولو اهتم بها لكانت افضل من مقامات الحريرى وبديع الزمان . اقول لو اهتم بها ، لانه انشغل عنها بعاملين هامين . العامل الأول هو حياته الشخصية . فقد كانت لديه امور لا يمكن التنازل عنها تحت اى ظرف .

الجلوس فى قهوة ريش وقت الظهيرة والحديث مع الأصدقاء . وقضاء السهرة فى اى مكان شرط ان يكون وسط مجموعة من الناس يودون الاستماع اليه !! والعامل الاخر هو انه لم يهتم فى مقاماته بمشاكل مصر الحقيقية . لم يهتم بقضية الحكم والحاكم . ولم يعن بالمشاكل الحقيقية التى تواجه البشر العاديين ! واغمض عينيه عن كل المشاكل ، واهتم بمشكلة واحدة . هى أن يكون باستطاعته ان يعمل ويكسب ويسهر وينشر انتاجه ويحصل على الاجر الذى يريد ! ولذلك ضحك الناس على الصياغة ولم يتوقفوا عند المضمون ! فلم يكن هناك مضمون حقيقى . ولكنها التفاتات ذكية من رجل ساخر له وجهة نظر فى اختناقات المرور وازمات السجاير واللحوم ! هل كان عباس الاسوانى لا يرى المشاكل الحقيقية

بالطبع كان يراها .. ولكنه يتعمد الابتعاد عنها !

ولعل ذلك هو السبب الذى جعله ـ وهو المتكلم العظيم ـ يبتعد قدر الامكان عن حلقة المتكلمين العظام مثله .

فقد ابتعد خلال السنوات العشر الاخيرة عن الحلقات التى كانت تضم زكريا الحجاوى وعبد الحميد قطامش وحسن فؤاد وكامل زهيرى ! والسبب ان هذه الحلقات كانت تبدأ الحديث بالفن او بالأدب او بالكلام الفارغ ، ولكنها تنتهى حتما الى السياسة . ولما كان عباس قد اختار مكانه السياسى الى جانب حزب مصر الفتاة . فقد اثر الابتعاد حتى لا يتورط ضد الجانب الذى اختاره ولو بالسماع ! ولعل ذلك هو السبب فى جفاف نهر فنه فى النهاية .

فالمجالات التى كان يرتادها فى النهاية لم تكن قادرة على إعطائه اى شىء ، ولكنها كانت تاخذ منه كل شىء !

كان سميعته فى النهاية من طبقة المستوردين والمصدرين ، واصدقاؤه من المؤسسين فى شركات الاستثمار . وهؤلاء سرعان ما انفضوا من حوله عندما داهمه المرض اللعين والزمه الفراش . ولعل هذا الموقف كان السبب فى التعجيل بنهايته . فقد اكتشف بعد فوات الاوان انه اخطا الطريق . وانه ابتعد كثيرا عن الناس الذين كان من المفروض ان يصادقهم ويكتب عنهم! وايا كانت النهاية التى انتهى اليها عباس . فقد كان ـ يرحمه الله ـ مشروع فنان عظيم لم يكتمل . وكان واحدا من ابناء الجيل ، الذى لم يمنح فرصة للنضوج . وإن صدمة السجن بعد حريق القاهرة قد خلعت قلبه من مكانه وقلبت كيانه . وخوفه الشديد من ثورة ٢٣ يوليو لم يكن له مبرر ، فهى التى فتحت له طريق الشهرة ، ولم تسجنه يوما ، بالرغم من ان كل ابناء جيله نزلوا ضيوفا فى سجونها مددا مختلفة ! وانضمامه الأخير بكل قواه الى عصر الانفتاح لم يكن له ما يبرره ، لانه لم يستفد شيئا ، ولم يجن شيئا . وخرج من المولد بلا حمص .

حتى إنتاجه الادبى لم يحفل به احد بعد موته ، حتى البرامج القليلة التى قدمها للتليفزيون مسحوا شرائطها ليسجلوا عليها ما هو اكثر اهمية ، مباريات كرة القدم !

وحتى حقوقه الشرعية لم يحصل عليها ، وقد ادمت قلبى شكوى منشورة فى الصحف للسيدة الفاضلة حرمه تطلب فيها سرعة انجاز اجراءات معاشه الشهرى !

ولا ادرى من هو الملوم فى بداية ونهاية عباس الماساوية ؟ هل هو عباس نفسه ؟ هل

المأساة الأسوانية

هو الجيل الذى ينتمى اليه ؟ هل هى المرحلة التى عاشها ؟ اغلب الظن انها كل هذه الاشياء مجتمعة . فهو عاش خمسين عاما من الثلاثين الى الثمانين . وهى فترة من اعصف واخطر واخصب فترات مصر . نشبت فيها الحرب العالمية ، وبدأت فيها حروب فلسطين .

ووقع فيها العدوان على مصر ، وقامت الوحدة . وفشلت الوحدة . وحدثت هزيمة ٦٧ . وتفككت الأسرة العربية ، وشهدت الارض من طنجة الى صنعاء ، كوارث ومصائب ومعارك بالسلاح بين اقطار الأمة ! وإذا كان الفنان عباس الأسوانى قد فقد توازنه فى الزلزال فبعض اللوم يقع عليه ، واكثر اللوم يقع على الظروف المحيطة . لانه لم يرتكب إثما سوى بعض ابيات من الشعر ، ولعله اختار الشعر لانه ليس بشاعر . كانما اراد ان يحتفظ بفنه طاهرا وتكسب بفن مجلوب ! تماما كما فعل الشاعر كامل الشناوى ، حين مدح زعماء الأقلية بمقالات فى الصحف ، ولكن قصيدة المدح الوحيدة التى نطق بها كانت لمصطفى النحاس . لأن كامل الشناوى شاعر والمدح بالشعر ينبغى أن يكون للزعيم فقط أما الآخرون فلهم مقالات الصحف وهى اشبه بصرخات فى واد فسيح !

إن الماساة الأسوانية هى جزء من ماساة مصر . ولكنها وبالرغم من كل شىء أقل حدة من ماساة رشدى صالح وغيره . لأن عباس لم يضطر الى ركوب منبر او قيادة حزب يعلم هو نفسه انه مزيف . ولكنه عاش رغم ماساته مجرد مواطن يريد ان يعيش . صحيح يريد ان يعيش فى جاردن سيتى ، وان يركب سيارة بويك وان ينفق عن سعة ، وان يقضي رحلة العمر دون زيارة لسجن طرة او منفى الواحات ولكنها على العموم كانت مطالب مشروعة ، ورغبات فنان غلبان صعد من سرداب المبنى الاجتماعى واراد ان يحتفظ لنفسه بموضع قدم فوق السطوح !

ولا اشعر بأسف قدر اسفى على انتاج عباس الاسوانى ، الذى تبدد اغلبه فى نكات حارة وغمزات مريرة وقفشات لادعة اطلقها فى سهراته وقعداته . وسجل اقلها فى سطور على ورق مطبوع . ولو ان الريح كانت مواتية والظروف مناسبة لكسبت مصر فنانا عملاقا ليس له نظير .

لقد كان صاحب موهبة فى الحديث متفردة . وإذا كان زكريا الحجاوى كمتحدث يبهرنى ، وقطامش يبهجنى ، فان عباس الأسوانى هو الوحيد الذى كان يضحكنى ؛ ولم اضحك فى حياتى من الاعماق إلا وانا استمع الى عباس الأسوانى . ولكن اغرب شىء ان عباس الأسوانى المقتدر المتمكن كان يصاب بالصمت إذا خرج عن نطاق الشلة .

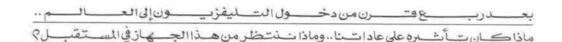
اشتركت معه مرة فى ندوة تليفزيونية حضرها صلاح جاهين وزكريا الحجاوى والفنان محمد رضا والفنان بهجت الرسام . ولم يفتح الله على عباس بكلمة ، فقد ارتج عليه امام عدسات التليفزيون ! وذات محاضرة فى مدينة طنطا وكانت المناسبة هى عيد طنطا القومى . وكان فرسان المحاضرة زكريا الحجاوى والاسوانى والعبد لله . ارتج على عباس الاسوانى فلم يفتح فمه بكلمة واحدة ، وعجز تماما عن النطق عندما هم بالكلام ! وسالنى بعضهم عقب المحاضرة كيف تشركون معكم رجلا عاجزا الى هذا الحد ؟ ويبدو أن عبقرية عباس كانت تتفتح فى حلقة ضيقة وتموت عندما يتسع الميدان . وكان يتالق اكثر اذا اطمان الى جميع الجالسين . وهى صفة كان يشترك فيها مع متكلم عظيم اخر هو قطامش ! وكان اسلوب عباس فى الحديث يعتمد على سرد قصة مشوقة واحداثها مثيرة . وكان يسوقها باسلوب مشوق للغاية وبينما كل الدلائل تشير الى نهاية يتوقعها الجميع للحكاية التى يرويها ، إذ به يفاجىء الجميع بخاتمة مسرحية ، خاتمة لا تتفق مع سير الأحداث وتثبت فساد علم المنطق .

وكان اكثر الناس وقارا لا يملك نفسه من الضحك حتى السقوط من فرط الاعياء ؛ وكانت لديه قدرة للتحدث عدة ساعات دون كلل . ودون أن يفقد حرارته ! وكان لا يستطيع الصمت ولو كان فى حضرة اعظم رجال دولة الكلام . المرة الوحيدة التى رايت فيها عباس صامتا كانت فى سهرة فى بيت الحجاوى اقيمت على شرف الفنان الكبير زكريا احمد يرحمه الله ؛ وكان زكريا احمد ملحنا عظيما ومتكلما اعظم . وكان حاسما جدا فلا يسمح لاحد بالكلام ، وكان سنه وتاريخه لا يسمحان لاحد بمقاطعته بعكس العتاولة الاخرين . وكان حديث زكريا احمد مشوقا ويجبرك على السماع .

خصوصا وانه يحكى عن فترة لم نشهدها . ويقص اخبار عباقرة لم نكن على قيد الحياة عندما كانوا زينة المجالس والسهرات ! كان يحكى عن الشيخ على محمود واول مرة جاء فيها الشيخ سيد درويش الى القاهرة . وخرجنا كلنا من السهرة فى منتهى السعادة لحكايات الشيخ زكريا . وفى منتهى الغم لان احدا منا لم تتح له فرصة للكلام . ولكن اكثرنا غما كان عباس الأسوانى . لدرجة انه بكى بدموع حقيقية فى الصباح !

رحم الله عباس الأسوانى . احد عباقرة زمن الحسومات . زمن الولادة المتعسرة والمواليد المشوهين . رحمه الله . فقد كان اشبه بمسدس بدون طلقات !!

محمود السعدنى





بقلم : الدكتور صلاح الدين أحمد جوهر

دخل التليفزيون بيوتنا منذ حوالى ربع قرن من الزمان ولم نستطع أن نمنع انفسنا من الترحيب به ، بل كنا نتسابق الى دعوته ونتنافس فى اقتنائه وذلك لأنه عندما دخل بيوتنا أول مرة ، حمل معه ما لذ وطاب من البرامج الترويحية والمعلومات والمسابقات الثقافية ، واستطاع أن ينقل الينا صورا شيقة من العالم حولنا سواء ما كان منها من الشرق أو الغرب من الفضاء أو أعماق المحيطات ، من مملكة الانسان أو الحيوان بكل ما فيها من غرائب واعاجيب . كنا نسعد عندما نجتمع امام شاشة التليفزيون لمشاهدتها وكنا ندعو معنا الأهل والأصدقاء والجيران الذين لم يسعدهم الحظ بعد باقتناء هذا الصندوق العجيب .

وبعد مضي عشرين عاما قضاها ذلك الضيف الجذاب بيننا فى بيوتنا بدأنا نحس أن وجوده قد غير الكثير فى نظام حياتنا وفرض على افكارنا اتجاهات جديدة غريبة علينا ليست من النوع الطيب الذى نطمئن اليه ، ولكننا رضينا بها على مضض وسكتنا عليها حتى اصبحت كل هذه التغيرات ، حلوها ومرها ، بخيرها وشرها ، جزءاً من حياتنا ليس فى الامكان إنكار وجودها او التخلص مما لا نرضاه منها .

وفى السنوات الاخيرة بدأ أنين الناس من هذا الضيف يعلو يوما بعد آخر ، وبدأ تبرمهم به يأخذ صورة الاحتجاج المتزايد ، ولكن احدا لم يجرؤ حتى اليوم ان يجاهر بالرغبة فى طرد هذا الضيف من بيته ..

ومع تزايد إحساس الناس بوطأة التليفزيون وتزايد نقدهم الآثار السلبية التى قد ترتبت عن وجوده داخل محيط الأسرة ، بدأ العلماء والباحثون يهتمون بسماع الصرخات التى لم يصدقها الكثيرون منهم فى أول الأمر .

وبدأوا سلسلة طويلة لم تنته من البحوث بهدف التعرف على تأثيرات مشاهدة برامج التليفزيون على سلوك الناس وطباعهم وعلى قيم الجماعات واتجاهاتها ومعاييرها . وكان فى مقدمة من استجابوا لنداء البحث وتقصي الحقائق نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار انها كانت اسبق الى استخدام التليفزيون.

وفى اوائل عام ١٩٧٢ صدر أول تقرير عن الحكومة الأمريكية يلخص ما توصل اليه العلماء والباحثون من نتائج فيما يتعلق بتأثيرات مشاهدة التليفزيون ، وبخاصة مشاهدة برامج العنف والجريمة ، على سلوك الناس . وجاءت تلك النتائج لتؤكد وجود رابطة قوية بين مشاهدة برامج العنف والجريمة وما يصدر عن الناس من سلوك بعدها يتسم بالعنف والعدوانية . وكان التركيز فى هذا منصبا على دراسة الأطفال والمراهقين .

أكثر شمولا

وبعد عشر سنوات من صدور التقرير الأول ، صدر تقرير ثان فى اوائل عام ١٩٨٢ وعن الحكومة الأمريكية ايضا ، وان كان اكثر شمولا وعمقا وأكثر تنوعا فى اهتماماته ومجالاته . وقد غطى قضايا وظواهر سلوكية واجتماعية متعددة للتليفزيون فيها دور واضح . وفى مقدمة تلك القضايا والظواهر تاتى :

- ظاهرة العنف والسلوك العدوانى .
- التنشئة الاجتماعية وإدراك الواقع الاجتماعى .
- الحياة الأسرية والعلاقات بين افراد الأسرة .
- اداء الوظائف العقلية والمعرفية والوجدانية لدى المشاهدين .
- علاقة التليفزيون بعمليتى التعليم والتعلم .

في بيتنا تليفزيون

هذا وسوف نستعرض في الصفحات القليلة القادمة أهم ما تضمنه الجزء الأول من تقرير عام ١٩٨٢ الذي حمل عنوان : «التليفزيون والسلوك : نتائج عشر سنوات من البحث والتقصي العلمي ومغزاها في عقد الثمانينات» . وقد يكون من المهم ان نذكر ان الذين قاموا باعداد التقرير إنما هم حفنة من العلماء والباحثين الذين ينتمون الى الجامعات ومراكز البحث الامريكية ، بعضهم من علماء الاتصال ، ومن علماء النفس ، ومن علماء الاجتماع والانثروبولوجي ، ومن الباحثين المهتمين بالتليفزيون وبدراسات الطفولة والشيخوخة والأسرة والتطوير التربوي . قام هؤلاء العلماء والباحثون (الذين يبلغ عددهم حوالي ٢٥) بتجميع وفحص وتحليل وتقييم كافة البحوث والدراسات ذات الصلة بالتليفزيون والتي بلغ عددها حوالي ٣٠٠٠ بحث ودراسة تمت داخل الولايات المتحدة والبعض منها في دول أوروبية . ثم تقدم العلماء والباحثون بنتيجة فحصهم وتقييمهم الى هيئة حكومية امريكية من المستشارين والعلماء قامت بتجميع هذه التقارير الفردية وتبويبها والتعليق عليها وضمنتها في التقرير الذي نحن بصدد تقديم ملخص له .

الفصل الأول

جاء في الفصل الأول من التقرير ما يلي :

● بلغ عدد البحوث ذات الصلة بالتيفزيون التي تمت حتى عام (١٩٧٠) ٣٠٠ بحث ، في حين بلغ عدد البحوث التي اجريت في الفترة من (١٩٧٠ حتى ١٩٨٠) ٢٥٠٠ بحث ، وذلك في الولايات المتحدة وحدها .

● اتسعت دائرة العلماء الباحثين في تاثيرات التليفزيون خلال عقد السبعينات حتى شملت كل العلماء السلوكيين .

● تم تمويل غالبية البحوث والدراسات خلال السبعينات بواسطة المؤسسات الحكومية والجامعات وبعض المؤسسات الخاصة .

● اتسعت دائرة الاهتمام بتاثيرات التليفزيون خلال السبعينات ولم تقتصر على دراسة السلوك العدواني وحده بل امتدت حتى شملت العلاقات الاجتماعية والأسرية والقيم والوظائف العقلية المعرفية والوجدانية .

● بعض البحوث والدراسات التي تمت خلال السبعينات من النوع المعملي الذي تتم خطواته تحت شروط وظروف تجريبية محكمة ، والبعض الآخر من نوع البحوث الميدانية التي تتم تحت الظروف المعتادة ، ومن ثم امكن الجمع بين حسنات ومزايا كل نوع .

● ثبت ان التليفزيون قد أصبح كالمغناطيس يجذب اليه الجميع : فالأطفال الرضع عندما يوضعون امام شاشته يحملقون في الصور التي تجرى امامهم ، وصغار الأطفال يقضون ساعات طويلة من اليوم امام التليفزيون ، بينما الكبار يواظبون على مشاهدة بعض برامجه . ويؤكد التقرير ان جمهور التليفزيون في الولايات المتحدة الامريكية قد اتسع حتى شمل كل الناس تقريبا ، وان مشاهدة التليفزيون تأتي الثالثة الى الترتيب بين انشطة الناس اليومية (بعد النوم والعمل) بالنسبة لعدد الساعات .

● ويضيف التقرير ان التليفزيون قد أصبح جزءا مكملا للحياة اليومية للمجتمع الامريكي ويؤثر في كل نواحيها : فهو الذي يضيف الى معلوماتهم ، ويزودهم بما يفكرون فيه ويتحدثون عنه ، ويوجه اراءهم وسلوكهم ، ويشغل الجزء الأكبر من اوقات فراغهم .



الفصل الثاني

يتحدث التقرير في فصله الثاني عن تاثيرات التليفزيون في الجوانب المرتبطة بالصحة والعلاج والحملات الصحية في المجتمع الأمريكي ويقسم البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال الى ثلاثة اقسام رئيسية :

القسم الأول : يهتم ببحث مضمون البرامج التليفزيونية والشخصيات التليفزيونية من حيث تاثيرها في الحالة الصحية وفي السلوك المرتبط بها للمشاهدين . ويعترف التقرير بأن الدراسات التي تمت في هذا المجال قليلة نسبيا ، ومن امثلة الدراسات التي تمت في هذا الشأن دراسة تاثير الاعلانات عن المواد الغذائية على السلوك الغذائي للاطفال والكبار ، وكذلك دراسة تاثير عملية مشاهدة التليفزيون ذاتها على تكوين العادات الغذائية للمشاهدين .

القسم الثاني : ويهتم بقياس تاثير الحملات الصحية عن طريق التليفزيون على سلوك الناس . ويذكر التقرير العديد من الامثلة على هذه الحملات ويقرر انه في الامكان التاثير في معلومات الناس وفي سلوكهم بواسطة الحملات الصحية عن طريق التليفزيون .

القسم الثالث : ويهتم باستخدامات البرامج التليفزيونية في أغراض العلاج النفسي / الاجتماعي لبعض نوعيات المرضى بالمستشفيات والمؤسسات العلاجية والسجون وفي دور الرعاية الخاصة للمسنين .

الفصل الثالث

يلخص لنا التقرير في هذا الفصل اهم نتائج البحوث والدراسات التي اجريت لقياس وتقييم آثار مشاهدة التليفزيون على نمو واداء الوظائف المعرفية والوجدانية عند الانسان (وبخاصة عند الأطفال) ، ومن هذه الدراسات ما اهتم بدراسة «الانتباه» وتاثره بمشاهدة التليفزيون ، ومنها ما اهتم بنمو «الفهم» و «الاثارة» و «النمو العاطفي الوجداني» ، وهي كلها موضوعات تدخل في دائرة الاهتمام التقليدية لعلم النفس ومازالت تحتاج الى المزيد من البحوث .

الفصل الرابع

يختص هذا الفصل من التقرير بعرض وتقييم نتائج البحوث والدراسات التى تمت حتى صدور التقرير واهتمت بظاهرة العنف والسلوك العدوانى فى برامج التليفزيون . ويدلل واضعو التقرير على اهمية هذا الموضوع بتشكيل لجنتين حكوميتين للنظر فيه وذلك فى أواخر الستينات ثم فى أوائل السبعينات . اما اللجنة الاولى فقد اكدت فى تقريرها الصادرة في عام ١٩٦٩ ان « نتائج البحوث والتجارب المعملية تؤكد ان مشاهدة برامج العنف على شاشات التليفزيون تزيد احتمالات سلوك العنف فى الحياة العادية للمشاهدين» . وفى عام ١٩٧٢ صدر تقرير اللجنة الثانية وورد فيه ان «الأدلة التى تجمعت نتيجة الدراسات المعملية والحقلية تشير الى ان مشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون تسهم وتحفز على ظهور السلوك العدوانى من جانب المشاهدين» . وقد اثار هذان التقريران كثيرا من الجدل بين العلماء وقدرا كبيرا من عدم الرضا بين الجماهير التى لم تسكت عن التعبير عن سخطها على الأثار السيئة لمشاهدة برامج التليفزيون وذلك من خلال جماعات او روابط منظمة ذات كلمة مسموعة فى المجتمع الأمريكى .

ويقدم لنا التقرير تعبرات علمية مفيدة يحاول كل منها شرح اسباب تلك الرابطة القوية بين مشاهدة العنف على شاشة التليفزيون وسلوك العنف والعدوان الذى يعبر عنه المشاهدون عقب تعرضهم لمشاهدة برامج العنف . ومن هذه التفسيرات ما يلى :

● يرى انصار نظرية «التعلم بالملاحظة» أن الأطفال يتعلمون السلوك العدوانى من مشاهدة السلوك العدوانى على شاشة التليفزيون تماما كما يتعلمون فى حياتهم العادية سائر الوان السلوك والمهارات من رؤية وملاحظة سلوك الأباء والكبار والمعلمين والاقران» . على أن هناك شرطا يضعه العلماء لهذا التعلم بالملاحظة استنتجوه مـن تحليلهـم للمشـــاهدة التليفزيونية العنيفة ولسلوك الاطفال بعدها . هذا الشرط يرتبط بنوعية الثواب أو العقاب الذى يناله صاحب السلوك العدوانى العنيف فى برنامج التليفزيون ، فاذا رأى الأطفال أن الشخص صاحب السلوك العنيف يثاب بطريقة ما على سلوكه فان الأطفال يكونون اشد ميلا الى تقليد هذا السلوك . اما إذا رأوا صاحب السلوك العنيف يعاقب بطريقة ما على سلوكه فانهم يكونون اقل إقبالا على تقليد هذا السلوك . هذا ، ويعتقد العلماء ان التوحـــد النفسى مع الشـــخصيات التليفزيونية ربما يكون سببا من اسباب التقليد والتعلم بالملاحظة .

● وهناك فريق ثان من العلماء يبنون تفسيرهم لارتباط مشاهدة سلوك العنف بالسلوك العدوانى للاطفال على نظرية اخرى مؤداها «أن الاطفال يتعلمون منذ صغرهم كبح نوازع الشر فى انفسهم ويكافاون على ذلك ، ويتعلمون التعبير عن، السلوك المقبول ويكافاون على ذلك . اما إذا تعرضوا لفترات طويلة لمشاهدة برامج العنف والعدوان على شاشة التليفزيون فان زمام الكبح والردع الكامن فى نفوسهم يخف ويضعف ، ومن ثم ينطلقون فى تقليد السلوك العدوانى العنيف الذى يشاهدونه.

● وهناك فريق ثالث من العلماء يفسرون الارتباط بين سلوك العنف ومشاهدة برامج العنف على شاشة التليفزيون على اساس نظرية تكوين الاتجاهات . وبناء على هذه النظرية فانه بازدياد وتكرار مشاهدة الأطفال لبرامج التليفزيون المليئة بالعنف والعدوان فانهم يصبحون أكثر تقبلا للسلوك العدوانى وأشد ميلا الى ممارسته.

ويثير التقرير فى نهاية هذا الفصل الرابع مجموعة من المشكلات البحثية التى واجهها العلماء والباحثون ، ويوضح كيف امكن معالجة الكثير منها ، مما يدخل فى دائرة اهتمام الباحثين بطبيعة الحال .

الفصل الخامس

وفيه يبرز التقرير دور مشاهدة برامج التليفزيون فى تنمية القدرة على التخيل والابتكارية . كمايقدم لنا دليلا اكيداً على مقدرة التليفزيـــون على غـرس القـــيم الاجتماعيـــة المفيدة في نفـوس الناشئة ، وعلى تعويـدهم الســـلوك الاجتمـاعى المرغوب . ومن السلوك الاجتماعى المرغوب الذى كان موضع اهتمام الباحثين : الغيرية ، والتعامل الودى ، وضبط النفس.

ويستخلص التقرير من نتائج كل الدراسات التى تمت على ارتباط السلوك الانسانى بمشاهدة التليفزيون نتيجة هامة مؤداها : «ان الاطفال يتعلمون فعلا من مشاهدة التليفزيون ... وأن ما يتعلمونه يعتمد على ما يشاهدونه .. فاذا شاهدوا عنفا وسلوكا عدوانيا فانهم يميلون الى أن يصبحوا أكثر عدوانية وتمرداً . واذا شاهدوا سلوكا اجتماعيا مرغوبا فانهم يصبحون اكثر انضباطا وتحكما فى سلوكهم وأكثر وداً فى تعاملهم مع الناس .»

الفصل السادس

يعد هذا الفصل من اهم فصول التقرير من المنظور الاجتماعى ، ذلك لأنه يعرض علينا نتائج البحوث والدراسات التى عالجت تاثير مشاهدة برامج التليفزيون فى تكوين صورة الواقع الاجتماعى لدى المشاهدين وفى تكوين شخصياتهم الاجتماعية أو ما يطلق عليه عادة عملية التطبيع الاجتماعى .

تتم عملية التطبيع الاجتماعى فى الظروف العادية ، وبعيداً عن تاثيرات التليفزيون ، بان يتعلم الطفل منذ السنوات الأولى من حياته عن طريق ملاحظة غيره من الناس الذين يتقابل معهم او يلتقى بهم ، فهو يتعلم ما يتعلمه من ملاحظة الأبوين والاخوة والاصدقاء ثم المعلمين والبالغين بوجه عام . يتعلم الصغار كيف يسلكون ويتصرفون فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويتعلمون ما ينبغى عليهم ان يفعلوه عن طريق مشاهدة سلوك البالغين وتصرفاتهم . ومع دخول التليفزيون فى محيط الأسرة تغيرت معالم البيئة الاجتماعية للصغار ، واصبحوا يرون أشياء وأشخاص آخرين غير هؤلاء الذين كانوا يرونهم قبل دخول التليفزيون . ان برامج التليفزيون التى يشاهدها الصغار ساعات طويلة من ايامهم مليئة بالشخصيات المتنوعة ، وكل من هذه الشخصيات لها دورها فى الحياة ، فمنها من هو طبيب ، او ضابط ، او معلم ، او مهندس ، او فنان ، أو صانع ، او فلاح ، او زوج ، أو أب ، او أم ، او زوجة وربة أسرة ، او زوجة عاملة .. الخ . لقد تصدت البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات للكشف عن تاثير مشاهدة التليفزيون فى

في بيتنا تليفزيون

الصغار من حيث الكيفية التى بها يدركون طبيعة هذه الأدوار المتنوعة فى الحياة ، وطبيعة السلوك الذى يسلكه صاحب كل دور من هذه الأدوار . وجاءت نتائج هذه البحوث لتؤكد ان مشاهدة الصغار للشخصيات التليفزيونية وللأدوار التى تلعبها تؤثر فى إدراكهم أدوار الحياة وما يرتبط بها من سلوك وتوقعات . ويؤكد التقرير أن التليفزيون وإن كان لا يقصد صراحة أن يعلم الصغار كيف يلعبون هذه الأدوار فى مستقبل حياتهم إلا أن تعرضهم المستمر لمشاهدة برامجه وشخصياته تؤثر فى تعلمهم هذه الأدوار بالكيفية التى يرونها فى برامج التليفزيون .. وهذا فى رأينا مصدر من مصادر الأهمية والخطورة فى أن واحد لأنه فى غيبة مصادر أخرى غير التليفزيون تعلم الصغار أدوار الحياة يصبح التليفزيون ذا أثر لا يبارى فى تزويدهم بالأفكار والمعلومات وأنماط السلوك التى يسلكونها فى حاضرهم وفى مستقبلهم .

وقد توصل الباحثون كذلك الى أن الاكثار من مشاهدة برامج تليفزيونية معينة تتسم بالعنف أو سوء الخلق أو الخيانة والغدر أو انعدام العدل والقصاص يؤثر فى الأسلوب الذى يدرك به المشاهدون الحياة الحقيقية من حولهم ويؤدى بهم الى فقدان الثقة بالآخرين والى الشعور بالغربة وعدم الطمانينة . ويؤكدون انه وان كان التليفزيون يعد واحدا ضمن عوامل تشارك فى تشكيل صورة الواقع الاجتماعى عند الناس إلا أن الدور الذى يلعبه فى هذا المضمار دور خطير الشأن وهام .

الفصل السابع

يعالج الفصل السابع من التقرير موضوع الأسرة والعلاقات بين أفرادها من حيث تأثرها بدخول التليفزيون في حياة الأسرة . ويشير التقرير إلى الأسرة التليفزيونية ، وهي الأسرة كما تظهر فى البرامج والأفلام والمسلسلات التليفزيونية، ويؤكد ان هذه الأسرة التليفزيونية تلعب دور النموذج لدى الكثيرين من المشاهدين بكل ما تحمله من معان وعلاقات وتفاعلات ومشكلات . وقد عبر العلماء والباحثون عن قلقهم البالغ إزاء الصورة الغالبة التي تظهر بها الأسرة التليفزيونية ففيها من المعاني والعلاقات ما يسيء إلى صورة الأسرة فى مخيلة المشاهدين وبخاصة الصغار قليلي الخبرة بالحياة .

ثم ينتقل التقرير الى تقويم نتائج البحوث والدراسات التى اهتمت ببحث تاثير مشاهدة التليفزيون فى حياة الأسرة العادية وفى التفاعلات التى تتم داخلها وكان أهم ما توصلوا إليه ما يلي :

● عندما تجتمع الأسرة لمشاهدة التليفزيون تقل المحادثات الأسرية ويهبط حجم التفاعل بين افرادها .

● أن الانطباعات التى تنمو وترسخ فى ذهن كل فرد من أفراد الأسرة نتيجة مشاهدة برنامج تليفزيوني واحد تختلف وتتباين من فرد لآخر وذلك لأن كل واحد منهم يدرك ما يدور في التلفزيون بطريقته ومن زاويته الخاصة وهو منعزل عن الآخرين الذين لا يتحدثون مع بعضهم البعض .

● أن غالبية الآباء لا يمارسون أي توجيه فيما يتعلق بمشاهدة التليفزيون بواسطة الأبناء ، ويتركون للأبناء اختيار ما يحبون مشاهدته من البرامج التليفزيونية .

الفصل الثامن

يقدم التقرير فى هذا الفصل العديد من الحقائق والاحصاءات عن التليفزيون فـــي حياة المجتمع الأمريكي ، ومن هذه الحقائق مايلي :

● يوجد بالولايات المتحدة ١٠٢١ محطة تليفزيون ، منها ٧٥٣ محطة يمتلكها قطاع الأعمال الخاص ، ٢٦٨ محطة تمتلكها الحكومات او الجامعات .

● يقضي المشاهد الامريكى فى المتوسط حوالى ٩٥٪ من وقت المشاهدة فى متابعة برامج محطات التليفزيون الخاصة التى تبث الانباء والبرامج التعليمية والوثائقية بالاضافة الى البرامج الترويحية .

● يغذى هذه المحطات ثلاث شبكات تليفزيون كبرى ، وهذه بدورها تتعامل مع حوالى عشرين منتجا تليفزيونيا (منهم شركات انتاج كبرى ومنتجون مستقلون) .

● يرى حوالى نصف جمهور المشاهدين من البالغين أن بعض برامج التليفزيون لا تناسب الاطفال ، ويتخوفون من مضمون بعض البرامج على المستويات الأخلاقية للناشئة .

الفصل التاسع

يعالج هذا الفصل موضوعا جديدا لم يسبق معالجته فى تقارير من قبل . وينطلق من فرضية منطقية مؤداها انه مادامت ليست هناك نية فى التخلص من الاداة السحرية فانه كلما زاد فهمنا لها زادت قدرتنا على تفادى اضرارها والاستزادة من فوائدها . يضاف الى هذا أن الاعتقاد السائد بين الناس هو أن التليفزيون سوف تزداد اهميته بمرور السنين ، ومن ثم ينبغى تعليم الاطفال والبالغين على السواء كيف يشـــاهدون التليفزيون ويتعاملون مع مضمون برامجه تماما كما يتعلمون القراءة والكتابة وغيرها من المهارات الضرورية للحياة فى المجتمع الأمريكى . ثم يتعرض التقرير لمناقشة «المشاهدة الناقدة» كواحدة من هذه المهارات الضرورية التى ينبغى العمل على تنميتها فى المواطنين منذ الصغر . ويوضح لنا كيف امكن لبعض الأنظمة التعليمية فى الولايات المتحدة تبنى مقررات دراسية محددة هدفها تنمية مهارات «المشاهدة الناقدة» لبرامج التليفزيون حتى تجعل من مشاهدتها خبرة إيجابية مفيدة تضيف الى سائر الجهود التربوية الاخرى فى صقل شخصية المواطنين وهم مازالوا اطفالا فى عمر المدرسة .

إن تعليم المهارات المتصلة بالمشاهدة الناقدة للتليفزيون مازال مجالا تربويا جديدا علينا ، ولكنه يعكس بدون شك إتجاها عاما نحو وضع هذه الاداة (التليفزيون) فى مكانها المناسب كجزء فعال فى توجيه ودفع عملية النمو العقلى والانفعالى للناشئة .

ويتحدث التقرير فى هذا الفصل ايضا عن التحصيل التعليمى للتلاميذ من حيث تاثره بمشاهدة التليفزيون ويقرر انه من المتعذر فى الوقت الحاضر الكشف عن حقيقة العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والتحصيل التعليمى نظرا لوجود العديد من العوامل الاخرى التى تتدخل فى تشكيل هذه العلاقة .

الفصل العاشر

يتحدث التقرير فى هذا الفصل عن المغزى الذى ينبغى ان نخرج به من هذا الكم الهائل من نتائج البحوث والدراسات التى امكن التوصل اليها خلال عقد السبعينات . وقد يكون مفيداً ان نبرز بعض النقاط التى ركز عليها التقرير فى فصله العاشر والاخير :

● يقول التقرير انه لا يليق بعد اليوم ان ننظر الى التليفزيون على انه مجرد لعبة او جهاز كهربى بعد ان ثبت بالبحث والدراسة المستفيضة انه جهاز تربوى وتعليمى بالغ الخطورة ، وان تاثيراته قوية وتراكمية فى آن واحد .

● ويؤكد التقرير انه قد انقضى ذلك الزمن الذى كان البحث فيه يركز على الكشف عن وجود علاقة سببية بين مشاهدة التليفزيون وبعض الظواهر السلوكية الاجتماعية .

لقد توغل التليفزيون فى حياة المجتمع واصبح يحتل مكانة تضارع مكانة الأسرة والمدرسة وغيرهما من مؤسسات المجتمع من حيث تاثيراته ودوره فى عملية التربية والتطبيع الاجتماعى .

● ويؤكد التقرير كذلك الحاجة الى مزيد من البحوث والدراسات للكشف عن الظروف التى تؤدى بالصغار الى تعلم السلوك الاجتماعى المرغوب من خلال مشاهدتهم برامج التليفزيون ، وللكشف كذلك عن مدى تاثر المعتقدات والتقاليد الأسرية وأسلوب الحياة فيها بمشاهدة التليفزيون .

تعقيب

كلمة حق ينبغى ان تذكر بعد هذا العرض السريع لمحتوى التقرير هى انه اكثر التقارير التى ظهرت حتى يومنا هذا شمولا وعمقا فى آن واحد .

لقد غطى التقرير مجالات عديدة ذات اتصال بمشاهدة التليفزيون كانت محطا لاهتمام العلماء والباحثين خلال عقد السبعينات ، واستطاع واضعو التقرير ان يقدموا لنا تقييما موضوعيا دقيقا لنتائج البحوث والدراسات التى تمت فى السبعينات وكان فى بؤرة اهتمامها الكشف عن تاثيرات مشاهدة التليفزيون فى سلوك الانسان المواطن فى مواقف متنوعة من مواقف الحياة اليومية .

ومن المفيد فى تعقيبنا على هذا التقرير ان نبرز بعض المعانى الهامة التى وردت فيه ثم نستخلص لانفسنا بعض المعانى الاخرى ذات المغزى لنا نحن التربويين والاجتماعيين فى المجتمع العربى . ويأتى فى مقدمة تلك المعانى ما يلى :

اولا : إن كون التليفزيون له بعض الآثار الضارة سلوكيا لا ينبغى ان يؤدى بنا الى حرمان ابنائنا من مشاهدة برامجه او ان ننهى تلاميذنا بالمدارس عن الاستمتاع به ذلك لان للتليفزيون استخدامات نافعة عديدة اشار اليها التقرير وعلينا نحن ان نبحث ونجتهد فى ان نرى من التليفزيون وجهه النافع المضيء من المنظور التربوى الاجتماعى .

ثانيا : إذا كان ما جاء بالتقرير صحيحا .. اى اذا كان التليفزيون قادراً على إحداث كل هذه التغييرات فى عقول وسلوك الابناء ، وهو فى الحقيقة قادر على فعل ما هو ابعد واعمق .. فلنا ان نتساءل عما فعلته المدرسة التقليدية ... وما يمكن ان تفعله .. وما ينبغى ان تفعله ؟ ليس منا من ينكر ان مدارسنا التقليدية قد تقلص دورها حتى اصبحت تهتم فقط بجانب صغير من الجوانب العديدة لعملية التربية الشاملة للناشئة وهو الجانب الخاص بالاعداد لاحترافه حرفة من حرف الحياة او امتهان مهنة من مهن العمل المختلفة التى تؤمن المستقبل المادى لاصحابها .

اما غرس القيم وانماط السلوك المرغوب اجتماعيا فان المدرسة التقليدية قد انشغلت عنه إن لم تكن قد اصبحت عاجزة عن الوفاء به .

ثالثا : إنه فى الامكان ان نعمق دور مدارسنا فى عملية التربية دون ان تتكبد الكثير من المشقة والنفقات ، وذلك بان نطالبها بان تعلم ابناءنا كيف يشاهدون التليفزيون «مشاهدة ناقدة» مفيدة ، وان تجعل دروس المشاهدة جزءاً مكملا ومتكاملا مع الخطة العامة للدراسة لها اصولها وأساليبها واهدافها

رابعا : من المفيد ، ومن الضرورى ان تبدأ المدرسة والتليفزيون عصراً جديداً تلتحم فيه جهودهما وتتوحد غاياتهما من اجل مستقبل افضل لابنائنا . وقد يتطلب ذلك إعادة النظر فى أساليب ومحتوى إعداد المعلمين وإعداد العاملين بالتيفزيون بحيث تتضاعف فرص الالتقاء الفكرى بين افراد الفريقين ويزداد إيمانهم معاً بأن التعاون يمكن ان يحقق الأهداف بفعالية .

خامساً : ومن اجل تحقيق فعالية اكبر لكل من المدرسة والتليفزيون فى تشكيل شخصية المواطن الانسانى فاننا نوصى بان تنشط المدرسة (اى المؤسسة التعليمية بوجه عام) فى تلفزة مناهج التعليم وفق الأسس والتقنيات المعمول بها فى اوساط المؤسسة التليفزيونية ، وان يبدا التليفزيون فى منهجة برامجه وفق القواعد المعمول بها فى اوساط المؤسسة التعليمية .

سادساً : ان الاهتمام بتصحيح مسار كل من المدرسة والتليفزيون لا ينبغى ان يشغلنا عن بحث وتقصى بعض الجوانب التى اهملها او غفل عنها التقرير الذى عرضنا موجزاً له . ومن المجالات التى مازلنا نحتاج الى بحثها وتقصى ابعادها ما يلى :

● ان ادمان مشاهدة التليفزيون هو نوع من «السلبية» تنمو وترسخ فى نفوس المشاهدين مع مرور الوقت ، ونحن بحاجة الى الكشف عما إذا كانت هذه السلبية تمتد الى جوانب الحياة الأخرى لهؤلاء الافراد الذين يشاهدون برامج التليفزيون بكثرة تصل الى درجة الادمان ، وما اذا كانت هذه السلبية تؤدى بهم فى النهاية الى الانسحاب او الهروب من واقع الحياة .

● ونحن بحاجة كذلك الى تحديد مدى تاثير مشاهدة التليفزيون على حواس الأطفال ، وبخاصـة حاسـتى السـمع والابصار ، وتاثير هذا - إن وجد - على النمو الصحيح لهؤلاء الاطفال .

● ونحن لا ندرى على وجه التحديد مدى الأثر الذى تتركه الشحنات الكهربية المتولدة عن تشغيل اجهزة التليفزيون فى صحة وسلامة الأفراد الذين يتجمعون حوله لمشاهدة برامجه ساعات طويلة من اليوم . لذلك فاننا بحاجة الى بحوث طويلة ومستفيضة تكشف لنا عن هذا الأثر وتقدم لنا المقترحات الضرورية المناسبة .

وفى النهاية ، ينبغى ان نعترف بان هذا التقرير سوف ينجح فى إثارة العديد من المناقشات والجدل حول محتواه والمغزى الذى يمكن ان نخرج به من فحص هذا المحتوى .

د. صلاح الدين جوهر

وكيل كلية التربية . جامعة قطر



بقلم : نبيل خالد الأغا

> كيف استطيع ان ارمى بثقل التاريخ عن كتفي ؟
> كمال ناصر

عند الساعات الأولى من فجر العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٧٣ م تسللت عدة مجموعات من الارهابيين الصهاينة الى قلب مدينة بيروت ، ونفذت بعض عملياتها الاجرامية التى استهدفت جسـاد بعض كوادر الثورة الفلسطينية ، كانت ابرزها عملية « شارع الفردان » حيث يسكن ثلاثة من اقطاب المقاومة فى عمارة واحدة . محمد يوسف النجار ، كمال عدوان ، وكمال ناصر .

وقد نجح غلاة اليهود فى اغتيال القادة الثلاثة فى مخادعهم . ولكنهم خصوا المتحدث الرسمى باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كمال ناصر بعشر رصاصات اطلقوها على فمهفما هى ابعاد الحقد الأسود على كمال ؟ ولماذا حرص العدو على اغتياله ؟ « وهو الذى يعلم تمام العلم ان كمال ناصر لم يؤذ نملة فى حياته ، وان كل معاركه لم تعرف من السلاح سوى الكلمة المنثورة ، أو الكلمة الموزونة .

لقد كانت صورته على الشاشة التليفزيونية ترعب الصهاينة اكثر بكثير من صورة الفدائي الملثم ، ولما اغتالوه قيل انهم اغتالوا فيه صورة الطيبة والوسامة والحضارة التى بدات تغزو أوساط الغرب ، وهذا هو احكم ما قيل فى تفسير حرص العدو على اغتياله » .

فى غزة هاشم ولد كمال فى العاشر من ابريل « نيسان » عام ١٩٢٤ م ، وفى بيروت الصمود مات كمال فى العاشر من ابريـــل « نيسان » عام ١٩٧٣ م ، وما بين الميلاد والشهادة واحد وخمسون عاما قضى بعضها تلميذا فى مقر عائلته بقرية بئر زيت وشابا فى الجامعة الامريكية ، وخريجا من قسم العلوم السياسية ، ومعلما بالقدس ، وصحفيا فى رام الله ، ونائبا فى مجلس النواب الاردنى ، وعضوا فعالا فى احد اكبر الاحزاب العربية ، وموظفا فى الكويت ، ونزيلا فى باريس ، ومبعدا بالأمر العسكرى الصهيونى من الضفة الغربية ، وشاعرا ملهما ، وفنانا ثوريا ، وعاشقا ابديا لامته ووطنه ، ومعتقلا فى اكثر من سجن عربى ، وناطقا رسميا باسم منظمـــة التحـرير الفلسطينية ، ورئيسا للجنة الدائمة للاعلام العربى .. ومشرفا على تاسيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، واول رئيس تحرير لمجلة «فلسطين الثورة» المتحدثة باسم جميع فصائل المقاومة ، لقــد .. كان كمال « ضميرا » حيا لامته الحية . اقام فى دمشق سبعة أعوام ، شهد خلالها مولد اول تجربة وحدوية بين مصر وسوريا ، كان فرحه بميلادها لا يعلو عليه الا فرحه بتحرير وطنه . لنسمعه وهو يتغنى بالوحدة العربية الشاملة :

ما ضَرَّ لو نهضَتْ بغدادُ فى وَلَـــهٍ
وصافحت اختَها بيروتَ او حَلَبَـــا
واجمعت فى روابي النيـــل قافلة
من الميامين تُملي النصرَ والغَلَبَـــا
ما ضَرَّ هـــذا وصافى العرق يجمعنـا
مُذْ كان تاريخنا أُمّا لنـــا وابَــا
تلك الحدود التى شلت توثبنـــا
للنور . من صنع غدار بنـــا لعبـــا



كمال ناصر

وكل من يدعى فيها سيادته
يريد ان يسحق التاريخ والعربا

ولقد تفاعل الشاعر تفاعلا ايجابيا مع كافة قضايا امته العربية ، فجرد قلمه واستل كلمته مدافعا عن حقوقها ، ذائدا عن كرامتها وها هو يكتب الى المناضلة العربية الجزائرية « جميلة بوحريد » قائلا لها في سجنها :

السجن والقيود يا جميله
حكاية في دربنا طويله
حكاية يعزفها حماتنا
منذ قديم العمر في الطفوله
حواء يا شهية المعاني
والقلة الحالمة الكحيله
اي قلة مشت الى ذراك
فاشتعلت بالمجد والرجوله

واهتم كمال ناصر بالشعر اهتماما واضحا ، واعتبره « حاسة خاصة بالشعراء فقط يتفردون بها دون غيرهم من الناس .. حاسة سادسة فطرية في الشاعر » وما دام الله سبحانه وتعالى قد انعم عليه بهذه الموهبة ، اذن فليوجها الوجهة الصحيحة التي تستحقها ، فركز اهتمامه على انتقاء المعاني الشعرية « الخلاقة التي تكسب شعره نضارة وقيمة ، اكثر بكثير من اهتمامه بذوات النحور والقدود والعيون من بنات حواء :

يا شعر فيك أرقْتُ ماء شبابي
لا في الغرام بزينب وربابِ
حُسْنُ المعاني لا العواني شفني
واحال في العشرين لون خضابي

ولم يهتم كمال ـ كغيره من الشعراء ـ بقضية المراة كمراة ، بل اهتم بالدرجة الاولى والاخيرة بقضية وطنه المغتصب ، واعتبر ان العمر اقصر من ان يضيعه المرء في قضايا العشق ، والزواج ، والانجاب ، فامضى كمال عمره زاهدا في حواء ، متبتلا في محراب الثورة والوطن ، فلم يرتبط بزوجة ، ولم ينجب طفلا ، ولكنه لا يفتا يمجد بنات شعبه وهن يقاومن المحتلين في غزة قائلا :

قل للعذارى السبايا من حرائرنا
هل يعرف المجد اغلى من عذارانا ؟
ينهدن للجو يستمطرن ديمته
ويستحلن بدنيا الغيم عقبانا
خطرن للسجن فاهتزت زنازنه
ما اجمل الغضب المسجون سجانا

ويؤكد كمال مرارا بانه وهب عمره وشعره الى وطنه فيقول :

ويا وطني والجرح ينزو ملاحما
وحق دمي لولاك لم انظم الشعرا
فلست ارى إلاك قلبا احبه
ولا غاية اسمى ولا هدفا احرى
فاسمع صوت الغيب يهتف في دمي
اذا شئت ان تحيا .. فعش دائما حرا

عاش الشاعر حرا كما اراد ، ولكن الحرية التي يريدها ويشتهيها سامقة في مثاليتها ، ولا يمل تردادها في شعره :

اردت ان اغير الدنا لتنبض النجوم في مواكب السنا ..
اردت ان أروّضَ الفناء والبقاء والقدر
في مهجتي الظماى وان اضاجع الخطر
اردت ان احول العجز المريض في دمي الى شرر
وارتدى النجوم حلة ، واحمل القمر .

وها هو يتباهى باستشهاد القائد الفلسطيني البطل عبد القادر الحسيني في معركة القسطل عام ١٩٤٨ ويشترك مع ابناء بيرزيت في تابينه .. والاشادة ببطولته :

ايها الموت تِهْ علينا وفاخر
لم يطش سهمك اللئيم الغادر
انت لم تطوه جبانا ولكن
قد تهادى اليك نشوانَ ظافر
يا فلسطين لا تبالي فانا
قد روينا والخصم ظمان صاغر
ما اغتصبنا المجد الاثيل ولكن
قد ورثناه كابرا عن كابر
لك ذكر كالزهر يبقى جنيا
في جبين الخلود ريّانَ عاطر

مفهوم واع للمسيحية

برغم ان كمال بطرس ناصر كان من اتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، الا ان ذلك لم يمنعه من تمجيد ديننا الاسلامي الحنيف ، والاشادة بخاتم الانبياء حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وتضمنت « اثاره الشعرية » عدة قصائد في مدح رسولنا الثائر الاعظم ، وفي حفل لليتيم اقامته الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٤٤ ، القى « الطالب » كمال ناصر قصيدة قال فيها :

احمدُ ذلك اليتيم المفدى
رفع الحق فاستوى على نصابه
شع في غابر الزمان نبيا
بهر الكائنات وهْج شهابه
حمل المشعل الذي مزق الجهل
الى ذروة الهدى وهضابه

لقد كان كمال صادقا في مسيحيته ، ولكنه لا يفهمها الا اذا ذابت في مفهوم العروبة ، ومن هنا ندرك سبب براءته من الغرب المسيحي الذي تسبب في ضياع فلسطين ، وتشريد شعبها :

لستَ مني يا غرب فاحمل صليبك
راعفا بالدماء واتبع ربيبك
لست مني فانزع شعار صلاتي
حسبي العمر قد حملت ذنوبك

وبهذا المفهوم الواعي نراه يناشد نبي الله عيسى عليه السلام ان يثور ويغضب لاعتداء اسرائيل على القدس ، وقصفها كنيسة القيامة في ليلة عيد الميلاد :

عيسى بن مريم قد عرفتك هادئا
فاغضب ولو في ليلة الميلاد
واشهد ماسي الغرب ، كل جريمة
قامت هنا باسم المسيح الفادي
ان كنت منهم يا ابن مريم فلتعد
لربوعهم ، لا كنت فينا الهادي
اما المحبة فلتحول غضبة
هوجاء تذكي الحقد في الاغماد
يا صائد الاسماك قد أوْدَتْ بنا
بين الانام شريعةُ الصياد

كمال ناصر
في ذكراه العاشرة

... مع فدوى طوقان

خلال مسيرته النضالية الطويلة ، تعرض كمال – مثل الغالبية العظمى من المناضلين العرب – لكثير من هموم التشرد والاعتقال والمطاردة ، وفرضت عليه الظروف ذات مرة ان يختفي عن الانظار ، فاضطر إلى مراسلة بعض الصحف والمجلات باسم مستعار ، وحدث ان قرات له زميلته الشاعرة المبدعة فدوى طوقان بعض انتاجه الادبى ، ففطنت الى اسلوب كمال ، وكتبت له قصيدة « المغرد السجين » تقديرا له ، ووفاء منها تقول فيها :

شدوك ياتيتا حبيب الصدى
محلقا رغم انغلاق الرحاب
يا طائري السجين فاصدح لنا
من خلف جدران الدجى والعذاب
غن ، فقضبان الحديد التى
تسد ، فى وجهك رحب الفضاء
لن تحجب الغناء عن سمعنا
يا طائري غن فدرب الرجاء
ما زال يمتد مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

فبعث الشاعر قصيدة « من الاعماق » الى صاحبة « المغرد السجين » قال فيها :

انا مثلما شئتني ان اكون
وشاءت لي الحادثات الصعاب
كَبُرْتُ على الذل لا ارتضيه
ولي موطيء خالد في السحاب
اعانق من رَبْوَتَيْه النجوم
واختال بين الذرى والقباب
أُطِلُّ على الكون أحيا النضال
وأبقي به العمر غض الاهاب
ومن ارضَعَتْهُ النجوم الدراري
سري في سماء العلى كالشهاب
سَفَحْتُ دمي فاستفاقت جراحي
تُلَوِّنُ صدر الذرى بالخضاب
واحببت داري ، فَلَذَّ لقلبي
بلوغ المنى ، واقتحام العباب
اتوب ، معاذ العلى اي يوم
مضى شاعر للمعالي ، وتاب

نماذج من نثره

تحرص اسرائيل بين الفينة والاخرى على تاكيد عداوتها الابدية للكلمة الصادقة الامينة ، من اجل ذلك استهدفت اغتيال الكلمة الثورية الشريفة ، يوم افرغت رصاصات حقدها فى صدور طائفة من فرسان الكلمةالفلسطينية الحرة من امثال الشهداء : غسان كنفاني ، كمال ناصر ، راشد حسين ، ماجد ابو شرار وغيرهم .

ومثلما ابدع كمال ناصر فى كلمته الموزونه ، كذلك ابدع فى كلمته المنثورة ، لنقراه وهو يكتب افتتاحية « فلسطين الثورة » الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين :

« لما كانت الهجمة الصهيونية والامبريالية على الامة العربية غزوة مدنية مشوهة ، تستهدف قهر هذه الامة بتراثها الانساني والروحي والكفاحي ، وكذلك تستهدف فرض السيطرة الراسمالية والفاشية والامبريالية عليها ، فان الكتاب والصحفيين يتحملون فى مواجهة هذه الهجمة مسئولية خاصة ، لانه لا يمكن الرد على التفوق العلمى والتنظيمى للحركة الصهيونية إلا بالمحافظة على القدرات الاصيلة للثورة العربية – وابرزها القدرات الانسانية ، والاجتماعية ، والروحية – وإغنائها بالتقدم والعلم والتنظيم والتحديث .

فالعقل العربى ، والوجدان العربى والضمير العربى مستهدف بالغزوة المدنية المشوهة قبل وبعد ان استهدفت الارض العربية ، وانه لمن اولى واجبات العقل والوجدان والضمير العربى الذى يستمد القلم منها نبضه ان يتصدى لهذه الهجمة ، وان يجند فى التصدى لها كل الجماهير العربية .


فدوى طوقان — غادة السمان

والاخوّة بين القلم الثورى والبندقية المقاتلة بالالتحام الذاتى . والممارسة وحدها القادرة على استرجاع هيبة الحرف والكلمة ، لتصبح الكلمة بحجم الرصاصة ، والرصاصة بتاثير ومفعول الكلمة ، بحيث لا يعود الانسان العربى يقول ما سيفعل حتى يستطيع ان يفعل ما يقول » .

.. مع غادة السمان

لم يقتصر العطاء الادبى لكمال ناصر على افتتاحيات مجلة «فلسطين الثورة» ، بل ان الكثير من رسائله الخطية الى زملائه وزميلاته اشبه ما تكون بالسجلات التاريخية والقومية .

وكانت تربطه بالاديبة البارعة «غادة السمان» علائق صداقة ومودة ، وقد شعرت باحساسها الادبى المرهف ، من خلال تبادل الرسائل بينهما – ان رسائل كمال ذات قيمة واضحة ، فاستاذنته فى نشر بعض مقاطع من رسائله اليها فى المجلة التى كانت تعمل بها . لكن الفكرة لم ترق لكمال ، وها هو يرد عليها ساخرا : «تسالين إن كان باستطاعتك ان تنشرى بعض ما اكتبه لك من احاسيس عامة ، وانا اقول باننى لم ادرك وانا اقبض لك ان هناك ثمة ما يستحق ان ينشر او يذاع .. بقع الدم التى تلطخ بعض احرفى بين الفينة والفينة أبقيها جسرا يعبر عليه من احبهم من اصدقائى بين الحين والحين . وان كنت تصرين على اطرائى ، فاحتفظى برسائلى هذه فقد اصبح مشهورا يوما ما مثل فريد الاطرش فتبيعين رسائلى لمصلحة جمعية خيرية ، كما فعلوا بمذكرات شكوكو عام ١٩٦٣» .

وكانت غادة قد تلقت فى بداية عام ١٩٦٨ م رسالة من كمال بعثها اليها من الاردن قال فيها : «يسعدنى ان تكتبى لى ، لعلك نافذتى الوحيدة على الخارج ، لقد بدات انساه ذلك الخارج ، الضجيج الذى ياتى من هناك يلتقى بالذى هنا .. فلا يحدث اى تغيير ، وماتزال الدوامة الوحشية تلف،وتلف . وتلف .

اكتب لك من مقرى الجديد – جناح فراس – ، وفراس هو طيار اردنى قتل فى المعركة ، وشقيقه ضابط كبير سابق وهو صديقى ، وقد بنى باسمه منزلا وشققا للسكن ، واعطاه اسم شقيقه الشهيد ،

وبالرغم من جمال المكان إلا انه ماساوى بحكم التسمية . وصوره المعلقة والتى تطاردنى دوما . وتذكرنى بالماساة . وكاننى

بحاجة الى من يذكرنى بها !

حرارتى مرتفعة ـ اصابتنى نزلة (افرو ـ اسيوية) ، كانما لا يكفينا نزلات الغرب والشرق لتتامر علينا حتى دول الحياد» .

تكريم

كان كمال على علاقة حب مع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وحدث ان التقى به فى القاهرة بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ ، فساله كمال بخفة ظل قل لي يا ريس .. هل انت ستالين ام السيد المسيح ؟!:

وروى كمـــال ان جمـــالا رد عليه وهـــو يضحك :

لا هذا ولا ذاك .. انا جمال عبد الناصر حسين .

وكان الزعيم العربى قد منح كمالا وسام الجمهورية من الطبقة الثانية ، حيثما كان نائبا بمجلس النواب بالمملكة الاردنية الهاشمية «تقديرا لجميل صفائح ، وتوثيقا لعرى الصداقة ، وتوكيدا لروابط الوداد» وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر جمادى الاخرة لسنة الف وثلاثمائة وست وسبعين من هجرة خاتم المرسلين .

وبعد استشهاد كمال ارسلت «جمعية خريجى الجامعات العربية الامريكية» شهادة تقدير الى عائلته فى بير زيت ، معتبرة شعره «تجسيدا للمثل العليا والقيم الانسانية ، وخدمة للادب وللانسان اينما كان» .

كما منح بعد استشهاده ايضا «جائزة اللوتس التقديرية» والتى منحت ايضا الى ثلاثة من ادباء فلسطين : غسان كنفانى ، محمـــــود درويش ، عبد الكريم الكرمى (ابو سلمى) .

نشـــوة الألم

... هذه سطور عابرة من حياة كمال ناصر ... الانسان ..

ولا نملك الا التاكيد على احدى مقولاته الصادقة حينما قال : « اما القيادات فتتغير واما الأشخاص فسيزولون ، وتبقى القضية اكبر من كل القيادات والاشخاص ، ولابد ان يذوب الجزء فى الكل ، وان يذوب الكل فى الثورة ، قبل ان تُسْقِطَ الثورة كل الاجزاء التى لا تستحق الحياة » .

ولا نملك ايضا إلا ان نردد معه نشيده المرسل عبر احدى رسائله الى الشهيد العربى وكانه يكتب نعيه بيده :

من سار فى درب العلا
لابد ان يموت ..
فى موكب الاباء والشمم
لاننا فى موتنا نستلهم الحياة
نحقق الحياة
ونخلق الحياة فى العدم
ضريبة الوجود ان نُعَمِّد الوجود
وان نعمِّد الوجود بنشوة الالم

... فسلام على كمال ، وسلام على كل من قضى نحبه فى سبيل الحق .. والعدل .. والسلام.

نبيل خالد الاغـــا

إضـــــاءات

● « اني اشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من اجل الوحدة الوطنيـــــــة الفلسطينية ان كمال ناصر كان متحيزا للثورة الفلسطينية نشيده الكبير ، وتنظيمه الكبير ، وعندما كنت أثور عليه واتساءل مشفقا : الم تتعب من هذا الدور يا « ضمير » ؟ كانت اجابته الدائمة : « انا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فانتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما اعرفها انا بحسي الثاري ، اني ارى ان قضية الوحدة هى قضية عمرى وساناضل من اجلها ، وستنتصر ارادة الوحدة ـ ان شاء الله ـ رغم كل المعوقين والحاقدين ... » .

صلاح خلف (ابو اياد)

● كمال ناصر عندي خريطة ناطقة اقرا عليها صور فلسطين ، وشعره قريب مني وقريبي ، فمواضيعه من اهلي ، ومسارحه من حاراتي ، وعندما يغني قصائده يهز الدنيا ، ويسرق العبارات من عيني » .

ناصر الدين النشاشيبي

● « كانت الوحدة العربية همه الأكبر ، وقضيته التى لا تعلو عليها قضية الاقضية وطنه المغتصب لذلك كانت فجيعتــــه بالانفصال بين اقليمى الجمهورية العربية المتحدة اكبر من ان توصف لذلك كانت جرحا لا اظنه اندمل على الاطلاق ، لقد مد جسمه وروحه اكثر من مرة جسرا بين الفريقين فلم ينجح وتعذب العذاب الأكبر ، فادان الانفصال والانفصاليين » .

شفيق الحوت

● « بمصرع كمال ناصر ـ بعد غسان كنفاني ـ تسقط نهائيا تلك النظـــرية الخاطئة التي كانت من ردود فعلنا بعـــد هزيمة ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، والتى دفعت بنا الى احتقار حملة القلم ، والمطالبة بكسر القلم وحمل البندقية .. فالواقع ان المفكر والأديب هو بوصلة الثورة ، والمقاتلون هم مدفعها .. والثورة بحاجة الى بوصلة والى مدفع فى ان واحد .. الاديب قد لا يعرف كيف يحشو مسدسا ، لكنه يحشو نفوس الشبيبة بالروح الثورية ، ويعمق وعيهم بمدلول كفاحهم واهدافهم » .

غادة السمان

المراجـــع

١ ـ كمال ناصر ـ الاثار الشعرية لجنة تخليد تراث كمال ناصر ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٤ .

٢ ـ كمال ناصر ـ الاثار الأدبية ـ لجنة تخليد تراث كمال ناصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٤ .

٣ ـ كمال ناصر بقلم مجموعة من اصدقائه ـ منشورات دار الناصر ـ بيروت

٤ ـ كمال ناصر : الشاعر والاديب ـ سهيل سليمان ـ دار الناصر للطباعة والنشر بيروت .

٥ ـ شؤون فلسطينية . العدد ٢١ مايو ١٩٧٣ .

٦ ـ الشهيد الحي عبد القادر الحسيني ـ نبيل خالد الاغا ـ المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠ م

٧ ـ مجموعة اعداد متفرقة من مجـــلة « فلسطين الثورة » .



حوار مع كاتب سعودي

عبدالله الجفري عندما يحدثنا :

أجرى الحوار : صديق شايقي

لقاؤنا مع كاتب يوقد النميمة فى القاريء ويفتح قضايا ذات رموز وخطوط متشابكة لتفتح زوايا التاريخ الاسلامي والثقافة العربية فى وعي يتنامى ويتجمع لأجل كلمة موحدة ، ليكتب الكلمة واضحة فى أدواته ، لئلا يتقلص بين الايام .. فجده يتداخل بين النص الخاطري القصصي ، والنص الصحفي الذي يصل حد إشعال الهموم الصغيرة للعثور على بوصلة توازن .

والأستاذ الجفري رغم أعبائه الكثيرة ما كف يوماً عن الكتابة فى الذاكرة أو القرطاس. وتحس بأنه يمتلك برأسه خلية محتدمة من الصور والألفاظ والمعاني التى تتوالى كل نبضة، بدءاً بتفاصيل اليوم الصغيرة ، وانتهاءً بالسؤال الكوني المرعب ، وأحداث الحياة المدمرة .

وفي لقائنا هذا نريد أن نستريح لحظة على جسر من العبور إليه فنفتح به ثقباً في خليته تلك ، ليتسرب منها ضوء إضافي فى حوار يكون له صداه ونبض يتفقدنا حرفاً حرفاً ، وقفص نتهمه فيه حتى التـوقد ، لنبث الفتنة الأدبية لحد الابداع ، أو التغطية .

● هل تعتبر الحيرة نقطة انطلاقة تمثل تعبيراً عن الرغبة فى البحث والتجريـب مـن أجـل التجـاوز والتمييز ؟

ـ عندما قال «ديكارت» : انا افكر .. إذن انا موجود ، كان يعنى بالتفكير : الأسئلة ، والرغبة والبحث ، واستخلاص التجريب .

وفى رايى ان «الحيرة» هى النقطة الاولى ، والحرف الاول فى كل فكرة تولد بعد ذلك .. او هى انطلاق المخاض فى التفكير وله ..

فالحيرة ـ بلاشك ـ هى نقطة انطلاقة ، تمثل تعبيراً عن : الرغبة فى البحث والتجريب .. اى تعبيرا عن مولد فكرة ، او عن صلاحية التفكير للعطاء ، وللاكتشاف . فالحيرة تبدو وكانها قد تحولت هى : رؤية العصر الحديث .. فكلما اتسعت نظراتنا وتكاثفت المرئيات والماديات .. عجزنا عن حصر المحسوسات او إثباتها .. هذه هى الحيرة البالغة .

● ما تكتبه من قصص وعمود صحفى ـ هل ترى ان ذلك استطاع ان يذيب الحدود التى بين النص الصحفى والنص القصصى ـ لقارئك

ـ الفن الصحافى يقوم على «القصة» .. فالخبر : قصة ، والاستطلاع قصة .

والفن القصصى يقوم على «التصوير» بالكلمة .. والتصوير من فنون الصحافة وشواهدها أو وثائقها ، لكن الفرق الذى يعكس الملامح والتكنيك .. يتضح فى «الاسلوب» وفى العرض ، وفى العبارة المكتوبة .. فلابد أن يكون هناك ملامح للاسلوب الصحافى الذى يعتمد على السرد

● انني ابن هذا الزمان بكل ما اختزن من أحـــــلام .

● ألا تود أن تسألني عن الطفـولة المعوقة ؟

● قالت «سارة برنار» لـ « فيكتور هوجــــو » :
ـ إنك تفقـد ذاكرتك كلما رأيتني .. لذلك أحبـك .

● الظمأ .. عندما تمشي الأرض للقهــــــر ، والفراق للحب ، والكذب للصدق .

● الأديب «حَجْـمُ» انسانيته .. وكيْـف نفســـه .. وكَـمّ تحدياتــه .

بالحقائق وبالخبر.. وللأسلوب القصصى الذى يتميز بالصناعة اللفظية ، وبالموهبة فى التصوير والتعبير ، وبالخيال الممزوج بملامح الشرائح الاجتماعية .

لكنى اعترف لك أن الأسلوب الصحافى : سارق .. يسرق الأديب من فرصة أن يكون مبدعا . لأن العمل الصحافى فى طبيعته يعتمد على السرعة والسبق والركض . وبلاشك لقد اثرت «المهنة» على عطائى الأدبى بحكم السنوات الطويلة التى اكلتنى فيها مهنة الصحافة .

رغم ذلك .. فلقد حرصت أن اضفى على الكتابة الصحافية الأسلوب الأدبى !!

ولعلك تجد نماذج حديثة معاصرة لبعض كتاب القصة ، والقصة الطويلة مثل احسان عبد القدوس حينما كتب قصصه بالأسلوب الصحافى ، ومثل مصطفى امين ، وامين يوسف غراب ، وغيرهم .

● هل كل صحفى بامكانه ان يكون اديباً .. وبالعكس ؟

ـ أعتقد العكس ..

يستطيع الأديب ان يكون صحافيا ، ولكنه لابد ان يخسر جانباً من الملامح الادبية الفنية فى اسلوبه ، لكن الصحافى لا يتحول اديباً .. لأن البناء الذى قام عليه كيان الصحافى فيه لا يحتمل ذلك .

● هل ساهمت الصحافة فى كشف جديد للأدب فى الأسلوب او اللغة بدور واعد فى ساحة الأدب العربى ؟

ـ الصحافة هى الوسيلة دائما ، وهى المنبر خصوصا لدينا فى العالم العربى ، والى وقت قريب .. حيث لم تتوفر المنتديات الأدبية ، والمهرجانات او جوائز الدولة .. فالصحافة كانت لها مساهمة عظيمة فى

إحسان عبد القدوس

مصطفى أمين

هذا المجال .. بل لقد ابرزت العديد من الأدباء و «نمعتهم» .

لكن الكشف للأدب كفكرة ، وكدراسة ، وكعمل ادبى او فكرى .. فلا اعتقد ان هذا دورها ، وايضا لم تفعل ذلك بالقدر المطلوب كخدمة للفكر او للأدب .

بالعكس .. اعتقد أن الصحافة شوهت اللغة ، وتجنت على «قواعدها» وذلك ما تلاحظه بفزع شديد من اخطاء نحوية ولغوية فى العناوين الكبيرة «المانشيتات» واننى هنا احمل الجامعات والنوادى الأدبية مسئولية هذا الاهدار للغة .

بالاضافة الى ان التفاخر بلغة أجنبية قد انعكس تاثيره كذلك .. وتجد أن هنالك شبابا من الخريجين المؤهلين الحاصلين على الدكتوراه .. ويكتب فى الصحافة وتكتشف العديد من الاخطاء النحوية .. والعديد ـ فى مقابلها ـ من المصطلحات المكتوبة بالانجليزية ، وهى لكلمات يعجز الباحث او الكاتب عن ترجمتها الى العربية !

وهذا هو الخطر القادم والجسيم والمهول

● الظما ـ ظلال ـ حوار وصدى ـ نبض : كلمات نحسها كالمدن التى تنتظر الأحداث او الشخوص التى تريد الكشف عن وجودها فى ضرام الحياة .. الى أى مدى تحتفظ ذاكرتك لهذه الكلمات بدلالات جديدة ؟

ـ الظما : عندما تمشى الأرض الى القهر ، ويمشى الفراق الى الحب ، ويمشى الكذب الى الصدق ، وتمشى النجمة الى السحاب !

ـ ظلال : شمعة أوقدها كل صباح .. كأنها «فتيلة» استعرتها من مصباح «ديوجين» .. فاذا انطفات الحقيقة .. انطفات «ظلال» التى أكتبها كلمة !

ـ حوار وصدى : لكل حوار صدى .. وعندما يفقد الحوار صداه .. يتحول الى عي وبكم .. ولا يقدر الانسان ان يحادث نفسه وقتا طويلا .. إلا فى حالة الجنون ، وهكذا تكتشف ان الكثير من حواراتنا اليوم قد فقدت أصداءها !

ـ نبض : نبضى احالنى الى خفقة تذوب وتكبر .. واختننى الشوق لهفة وانكسارا .. فتحول نبضى الى ذلك الشوق الذى يطلع فى اللهفة ، ويندق فى انكساراتنا المتلاحقة .

● تقول الاديبة اللبنانية هادية سعيد : إن الطفولة تظل دائما نبع التعريف الاول للانتماء للوطن . اين الجفرى الأديب من هذه المقولة ؟

ـ الطفولة هى البراءة العفوية والصدق والتالق .. فهل تسالنى عن الوطن العربى كنبع لهذا التعريف .. ام تراك تسالنى عن الوطن الداخلى فى الانسان ؟!

اما ان كانت اشارتك طبولا وصهيل خيل .. فنحن نتوق الى اعراف خيولنا .. لا الى

تعريف طفولة الوطن .. فالوطن العربى قد شاخ بالهول وفيه ، وهو لما يزل فارسا !

اما عن الوطن الداخلى فى الانسان .. فاننى اود ان «اذاكر» معك عبارة قالها من قديم الشاعر الانجليزى «وليام بليك» .. قالها بشعور ينبع من داخله وطن ظمآن :

«اننى ارى العالم كله فى حبة الرمل ، والسماء فى الوردة البرية ، وامسك باللانهائية فى قبضة يدى ، وبالخلود فى ساعتى الزمنية» !

ترى .. الا تود ان تسالنى عن الطفولة المعوقة فى مجتمع الانسان ؟!

● بعض الاديبات العربيات حملن قضية الصراع بين الرجل والمراة فى حالة حرب يبحثن فيها عن الحرية او المساواة كما يحلو لهن . كيف تزن هذه المعادلة : «العالم رجل» ؟

ـ المعادلة .. أم «المهادنة» .. ام التكامل ؟!

المراة اذكى ، والرجل اقوى .. وإذن .. ف «العالم رجل» .. لأن الذكاء مهما بلغ عند الانثى .. فان الانثى تهرع الى الحماية .. فالقوة هى الحماية ، والذكاء هو الجمال !

وقد كتبت مرة عن «سارة برنار» واوردت ما قيل عن الارجنتينيين الذين كانوا يصنعون لها بساطا من مناديلهم الموشاة المطرزة فى بيونس ايرس ، لكنها كانت تهرب ، وتهرع الى فيكتور هيجو ، وتقول له : الناس يصفقون لي وانت كاتب المسرحيات التى امثلها ، لكنك لم تقل لي مرة : احبك يا سارة ! .. لا تقاطعنى . فانت تعرف اديب فرنسا «بيرلوى» .. لقد كتب إلي يقول : اننى مجنون ، لم اعد ادرك ما افعل .. اننى ابكى وارتجف لأننى احبك ! ولكن .. كان من الاجمل والأمتع ان احبه ايضا ، لكنه كان ضعيفا وكنت ذكية .. كان صاحب ذاكرة فظيعة والذاكرة الحادة فى العاطفة ضعف .. يا إلهى .. لو فقد ذاكرته كنت احببته ، اما انت فاشعر انك تفقد ذاكرتك معى كلما رايتنى .. لذلك احبك !

ولهذه الحكاية ، وفيها دلالات .. ان اردتها للمعادلة ، او ان اردتها للمهادنة ، ام إن بلغت بها الى التكامل !

● الاديب يحمل تاريخه الذى دوما يستحيل عليه العثور على خلاص منه او له . الى اى اتجاهات الخلاص هذه .. يتجه الجفرى ؟

ـ اللسان لسانى .. والمسافة ملكنا جميعاً !

لقد قيل «ان الأديب حجم انسانيته» .. وايضا هو «كيف» نفسه ، وهو «كم» تحدياته ! إن العالم اليوم : ثقافى ، وحضارى ، ومتمدين وسفاح ومبدد ..

باختصار .. مازلت اردد تلك العبارة التى قراتها عليك من بين سطور مقال يتجدد فى ندائه .. قال كاتبها : لابد من اختطاف بحر الامية الى مرفأ الأدب . لابد من اختطاف زبائن الكلمات المتقاطعة وبختك هذا الاسبوع ، وزبائن «النكتة» ونوادر ـاي ـ جحا يتكرر فى شكل «كتاب» يدعون الفائدة ، فلا نجد عندهم الشعور بامتاعنا !

لابد ان تدع عقولنا تمارس الالعاب السويدية ..

لابد ان نفرج عن خفقاتنا التى اعتقلناها مع الحرية !

● من خلال لقاء تليفزيون المملكة بالروائى العربى العالمى الطيب صالح ـ فى إحدى اجاباته ترجم الكتابة بانها لعنة تصطاد مناطق العتمة فى نفس الكاتب لتضيء بها دراسة لحالة ، او صراخا لنيل الحرية ـ

ما رأيك فى هذا القول ؟

ـ مناطق العتمة ؟!

هل تريد ان تحدثنى عن تحديات القوى الكبرى فى داخل شراييننا ؟!

ام تراك تود ان تهرب بى ـ وبالقاريء ـ الى الخيال ؟!

إن اخطر عتمة ، واشقى عتمة يعيشها العالم اليوم فى كثافة هذه «الاضاءة» الحضارية .. فماذا تفيدنا التكنولوجيا اذا كان فى العالم شق يسمى : الأرض المحتلة ، والمجاعة ، والابادة ، والقهر ، وامتهان الانسان ؟!

قد تكون الكتابة (لعنة) اذا عجزت عن التنفس الطبيعى ، او اذا تحولت الى مجرد صراخ وبصاق ومخاط وصديد ونزيف وتقيح . لعلنا اصبحنا نكتب ذلك كله .. لأن الفكر العربى ، والأدب العربى والحوار بالكلمة العربية .. قد خضعوا جميعا لكل العاهات التى تسللت الى الوجدان العربى والى النفسية العربية ، والى الفعل ورد الفعل العربى !!

إن «جاك بيرك» قال من سنوات : (ضياع الانسان بين ماض لا مصير له وبين مستقبل لا ماضى له) عبارة قالها .. لتهز رأس الانسان بعد ان عجز الانسان عن هز راسه ، فلابد ان يدير الانسان العربى راسه بحثـا عن الشمـس الحقيقية ، بينمـا يعيـش في شـمس (معـــلبة) وان يديـر راســه بحثـــا عـــن الارادة وقاعدة الوقوف .. بعد ان تحول وقوفنا إلى مواقف « اوتوستوب » تجول فيها القوى العظمى .

● ماذا يمثل : «البحر» ، «القلق» ، «المراة» فى حياة الجفرى ؟

ـ البحر : كان فيه نجاة الانسان ، وكانت منه حياة الانسان ، ثم تعامل اناس اخرون بان جعلوا الابحار يفتح الطريق لاستغوال الاستعمار .. وتعامل اخرون بان جعلهم الابحار غرباء الانسانية .. أولئك الذين سرقت منهم بطاقات هوياتهم .

البحر : (رحتوا من الليل .. صار الليل ليلين) .. انه ياخذ ولا يعيد .. ولكنه يبقى هو البعد الجميل الخلاب الآسر .. وحي الشعراء ، واستطراد الخيال ، ورجع الصدى مع كل موجة بيضاء !

ـ القلق : اللمعة البعيدة تحت قرص الشمس .. إنه السراب الذى يعصف بالعطشان ولا برويه !

ـ المراة فى حياتى :

توقفت ذات يوم عند سطور من رواية كتبها «شارلز جارفس» .. بطلها شاب رفيع المكانة ، عاشق للرسم ، وكان مثل كل فنان يفتش عن الملامح التى تلهمه تلك «اللوحة» الخالدة التى تصبغ حياته كلها بالوانها .. حتى وجدها ، فقال تلك العبارة ضمن حوار البطل :

«تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. إن كل شيء يتوقف بعدك» !

إنها الانثى التى تمنح الحنان ، وتسكب الاستطاعة قدرة على التجدد والتفوق ، وتحقق للرجل شعوره بالتكامل مع شطره الآخر الذى يغنيه من الداخل .

إنها التربة الخصبة التى تضم جذور الرجل ، فينطلق ظليلا ، فيئا ، ثمرا !

إنها نسيج « المودة » الذي يغلف جنون الرجل ، فيحفظـه لمـدة اطول ... او يقتله فى لحظة اقصر ! .

إنها الحياة حينما تبـدا .. والموت حينما تنتهى !



سارة برنار

فيكتور هوجو

● عبد الله الجفرى يحمل لغيره الشكل والمضمون لقضية الانسان المعاصر من خلال همومه الأدبية . والكثيرون من قرائه يقولون إنه يغرق كثيرا فى كثافة وشاعرية الالفاظ حتى يرهق القارىء فى إيجاد القضية .. ماذا تقول فى هذا الاتهام؟

ـ شاعرية الألفاظ :

ألست معى بأن هذه الشاعرية تكاد أن تتحول الى عطش ؟!

اما انها تهمة ـ كما تقول ـ فاجيب بعبارة سعد زغلول : شرف لا ادعيه ، وتهمة لا ادفعها !

وايضا .. لعل هذه العبارة الاخرى لسعد زغلول او لمحمود فوزى ـ لم اعد اذكر ـ ولكنها تقول : (أرجوكم .. اعذرونى .. للاطناب ، فليس عندى وقت للايجاز) .. ذلك ان الايجاز يستغرق وقتا اطول من الكاتب ..

ايضا .. فان العبارة الشاعرة ، او اللفظ الشاعر .. هو الاصعب فى الكتابة ، لكنه الأعمق الملتحم بالنفس ، ولقد استغرقنى هذا الأعمق والأمتع .. صرت اولد فيه وانبجس واغتسل واضىء !

اكاد انفى تلك العبارة عن الايجاز والأطناب .. فكل الأشياء نوجزها إلا الكلام .. اصبح هو ثرثرتنا وهمومنا وانفاسنا وتنفيسنا، ولكنه لم يعد فى كثير منه هو عمقنا ومشاعرنا وغناؤنا !

الكلمة غناء ، وشدو .. لانها الصدق ، والحق ، واليقين ، والمنطق ..

ونحن فى هذا العصر الطباشيرى ، الآخذ ، المنطلق ، المتوتر .. نحتاج الى تجسيد قضايانا المرهقة والمؤلمة والغارقة فى كثافة احزاننا .. نجسدها فى شكل يبعد بها القارىء عن مرهقاته .

وعندما اتشبث بهذا اللون من شكل الكلمة وراء التعبير والوانه .. فلاننى كاتب اقف داخل المساحات بتفاؤل ، واركض فى المسافات نحو هدف يستشرف الانسان .. والانسان فى حقيقته هو وجدان !

إن حركتى انسانية قبل كل شىء .. والحركة حياة .

إننى مفتون بسلوك الخيل .. والخيل ـ عندما نتامل حركته ورقصاته ـ تجده صاحب اداء شاعرى .. تماما كاللفظة الشاعرة ، أو العبارة الشاعرة .

إن لغتنا العربية .. من اسمائها : اللغة الشاعرة !

إننى احفل بأن يتبلور التعبير عندى الى اعتبار .. ولو سكبت العبرات !

إننى اشجب (الرفض الماورائى) .. واكثر عباراتنا المباشرة اليوم ، والخالية من الحس الشاعرى هى ذلك الرفض الماورائى .. ومع ذلك اضطر احيانا أن افلسف لحظة الاصطدام او الدخول فى صلب الاشياء والهموم والأوجاع والأمانى والأحلام للانسان !

● الى اى حد يحتدم القارىء والناقد فى خلايا الاشتعال عند عبد الله الجفرى ؟

ـ لست ناقدا .. بقدر ما احرص ـ عندما اكون قارئا ـ ان اكون متذوقا ، منتبها ، منسجما ، متاملا ..

لم يتبق لدينا من فرسان النقد بعد الأوائل والرواد .. إلا نفر قليل . اقرا احيانا فى هذه الأيام للناقد «علي الراعي» فى المصور .. لعله امتداد للفرسان الكبار .

اقرا للصديق «رجاء النقاش» .. وهو ما تبقى ، او هو الاطلالة الجديدة الزاهية .. انه (موسيقار) النقد الجديد .. موضوعى ، ومشاكس ، وفعال فى تعقيباته .. ليس دعيا وإنما هو يتداعى حتى ياخذنا الى صلب الحقيقة ، ومجال الرؤية الشاملة .

اما «خلايا الاشتعال» التى تتكون مما نقرا .. فلا اظنها فى وقتنا الحاضر لا تبلغ بنا حد الاحتدام .. لاننا ننصهر قسرا فى ذلك الاحتدام .. بحكم المعاناة والتوق والانتباه !

لكن الخطر الحقيقى .. هو ان يتحول كل «الكتاب» الى نقاد .. حينئذ سنفقد حتى احتدام المعاناة !

● لديك مشروع كتاب جديد .. هل تعتقد انه يتحدى الوان اكتشافات جـديدة ومرحـلة جـديدة تغنى القارىء فى زمن المفاجاة والتمرد ؟

ـ كتابى الجديد .. عنوانه : حوار فى الحزن الدافىء .

إنه لا يتحدى ، ولكنه يقتحم التمرد .. بحثا عن حضارة الادراك ، وعن بشارة العقل ، وعن رؤية اليقين .. دخولا الى اوجاع واحزان الانسان .. فهو بمضمونه يمثل الدخول الى الاشياء والمصادمة من اجل الاكتشاف بواسطة الحوار .. فلا يدع انهزامية العصر او الظروف تدجنه ثم تستارضه !

● الأستاذ عبد الله الجفرى .. من انت .. ومن أين .. وما هى طبيعة احلامك ؟

ـ إننى اجىء من خارج الزمان لأقتحمه واتفاعل فيه ، وانصهر واحترق واغتسل ، واحاول ان اضىء !

إننى ابن هذا الزمان .. بكل ما اختزن من احلام !

إن احلامى هى دم يجرى مجنونا .. وهى ضعف انسان مغرور بلحظات الفرح !

إن احلامى هى وطن فى الانسان ، وانسان للوطن .

إن احلامى هى جياد تواصل الركض ، واجتياز الحواجز .. وإلا شاخت وهرمت .

إن احلامى .. هى حب لا يفكر ، وفكر يشعل الاحلام فيحيلها الى عمر !

صديق شايقى ـ جدة

عبد الله الجفرى فى سطور

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م اكمل دراسته الثانوية «القسم الأدبى» ـ عمل سكرتيرا للتحرير فى «صحيفة البلاد» «عـكاظ» ، «المدينة المنورة» ، ثم مديرا للتحريـر ومسـئولا عن تحـرير «عكاظ» بالمملكة العربية السعودية . صدرت له «حياة جائعة» ١٣٨٢ هـ ـ «الجدار الآخر» ١٣٩٠ هـ ـ «لحظات» ١٣٩٤ هـ ـ «الظما» ١٤٠٠ هـ ، وتحت الطبع «حوار فى الحزن الدافىء» .

أساطير من سيناء

مقعد العجيبين

بقلم: درويش مصطفى الفار

كان صديقى البدوى سويلم بن صبيح ابو نيفة ، رحمه الله ، رجلا أميا لا يقرا ولا يكتب ، شان ابناء جيله فى طول سيناء وعرضها ، ولكنه كان صافى الذهن ذكيا لماحا ، دقيق الملاحظة ، سريع الفهم ، فقررت ان يشاركنى الرأى ، بعد ان وجدت ان كل ما كتبه من سبقنى من الباحثين منذ اكتشاف طبقات العصر الطباشيرى الأدنى وطبقات العصر الجوراسى ، فى منطقة المغارة بشمال سيناء سنة ١٩١٢ م من الكتب والنشرات والرسائل الجامعيــــة وتقارير شركات البترول المتعاقبة كان خلوا من كل ما يتعلق به الأمل فى العثور على رواسب للفحم الحجرى فى تلك المنطقة من قريب او بعيد ، على الرغم من ان اعمال الحفر عن البترول اثبتت وجود الفحم فى طبقات العصر الجورى ، على أعماق بعيدة عن سطح الأرض فى الصحراء الغربية المصرية ، وفى منطقة عيون موسى الى الشرق من راس خليج السويس .. وكان استاذى الدكتور رياض حجازى ، رحمه الله لا يكل ولا يمل ، فى رسائله الى ، يغمرنى بالأمل فى تحقيق احلام ونظريات استاذنا المرحوم محمد محمد ابراهيم من انه لابد وان يوجد بمصر فحم حجرى ... فخصصت فى معسكرى سنة ١٩٥٨ خيمة لاستقبال جامعى العينات ، بعد ان نشر سويلم خبرا يقول ، على كل بدوى يعثر على اى حجر اسود ، فى المنطقة الممتدة بين خشم المستن شرقا وبحر الرمال شمالا وجبل قديرة غربا وبير الحمة جنوبا ، والتى تبلغ مساحتها زهاء الف وسبعمائة كيلومتر مربع ، مما يحتاج إلى عمل متصل لا يقل عن عامين كاملين حسب الطرق التقليدية ، ان يحضره الى مقر البعثة .. وتوالت الاف العينات وخضعت للفحص والتحليل ، ومرت شهور عجاف ، حتى جاء سويلم فى ليلة من رمضان (١٣٧٨) ، بعينة من تراب اشهب قضت على بان اظل ساهرا على ضوء نار الحطب و (الكلوب) فى واد ضيق وعر يقال له وادى المحل حتى مطلع الفجر ، ومن هنا بدات قصة احتياطى من الوقود الصلب لا يقل عن ثلاثين مليونا من الأطنان حال دون استغلالها حتى اليوم عدوان سنة ١٩٦٧ .. وقبل واقعة وادى المحل وبعدها ، كان سويلم ملازما لى اثناء عمل الخريطة الجيولوجية ، على الصور الجوية ، والخرائط الطبوغرافية ، وكنا فى العادة اذا اشتد الحر ، نلجا فى رءوس الجبال إلى جرف او ظل جلمود ضخم ، حيث نستخدم حجرا نظيفا كطبق نضع عليه محتويات علبة سردين او تونة نزدردها ببعض البسكويت الجاف ، ونرتشف بعض الشاى ونستلقى قليلا ، وياخذ سويلم فى سرد شىء من أساطير البادية التى كان ياخذها هو ماخذ الحقائق التاريخيــــية التى لا تجادل ..

قلت مرة لسويلم ، رحمه الله ، ما قصة « العجيبين » ؟

قال : كان شاب من الحويطات ، يقوم باحضار (تراب الملح) لوالده من منطقة (الكرك) ، وكان سويلم يقصد بتراب الملح ذاك ، نوعا من التراب يتواجد فيه ملح نترات البوتاسيوم الذى هو ملح البارود .. وكان الشاب يرى والده يعالج ذلك التراب لاستخلاص بللورات ملح البارود ، بغسل التراب فى قدر نظيفة من النحــــاس (المربوك) اى المبيض بالقصدير ، ثم يتركه ليروق ويصفو ، وياخذ الماء الذى ذاب فيه الملح دون التراب ، ويغليه على نار الحطب الهادئة حتى يتبخر ثلثاه ، ويرفعه عن النار ثم يلقى على سطحه بضع قطع من القش النظيف . ويتركه بلا غطاء بعيدا عن الغبار والريح حتى صباح اليوم التالى حيث يجد البللورات قد تجمعت حول عيدان القش كانها الثلج ، فيصفى ما تبقى من المحلول ويجفف البللورات الصلبة فى جلد جدى مدبوغ ، ويضـــــع قبالتهـــا ما يناسبها من الكبريت الأصفر ، والفحم المستخرج من شجر المثنان ، ويدق كلا على حدة فى هاون من الخشب ثم يخلط الجميع فيتكون لديه البارود الأسود الأصلى الذى يتخـــذه ذخيرة لبندقيتـــه ذات الزنـــاد والصوانة ..

ضاق الشاب الحويطى ذرعا بالطريق بين الثمد والكرك ، لانه لا يمر به فى بلاد قبيلة التياها المقيمين بين الحسنة ونخل ، والتى تعرف منهم على فتاة احبها فى واد سعى لاجلها بوادى الريد . فطفق يقنع والده بجلب تراب الملح من جبل سن بشر بغرب وسط سيناء ، وتصادف ان التقى بمحبوبته ترعى اغنامها عند التلة التى تسمى اليوم مقعد العجيبين .. فالعجيبان فى الأسطورة هما تلك الفتاة من قبيـــلة « التياها » ، والفتى من قبيلة «الحويطات»

.. كانت الفتاة تاتى باغنامها من الحسنة فى يوم معين من الاسبوع وتحلب العنزات فى حفرة تصنعها من الطين ، فاذا ما اقبل فتاها سقى ناقته من ذلك اللبن ، وجلس إلى محبوبته يتطارحان الهوى العذرى ويحلمان بالزواج .. وبعد فترة من الزمان ، اشتبه



عينات من العصر الجوراسي تكونت منذ مالا يقل عن مائه وخمسين مليون سنة في منطقة جبل المغارة بشمال سيناء وخريطة جبل المغارة بشمال سيناء حيث امكن العيش مع الحقيقة العلمية والاسطورة دون ان نسمح لهما بالاختلاط والذبه .



سويلم بن صبيح ابو دبقة الترباني ، بدوي امي احب قومه ووطنه وساعد المعرفة العلمية بكل قلبه وعقله .



المسارف الشمالية لجبل المغارة في شمال سيناء

ابو الفتى في امره ، واستشف ان وراء كثرة مشاويره الى سن بشر وحماسه لاستجلاب تراب الملح ، لابد وان تكون هنالك قصة غرام .. فامره ذات يوم بقضاء حاجة له من بير الحيسي الى الجنوب الشرقي من الثمد ، واستبقى منه ناقته التى ركبها بدوره واتجه بها غربا ، وارخى لها العنان لينظر ما هى فاعلة ، واحاط وجهه بلثام لا يعرف به عن بعد ، حتى اذا ما اقبلت الناقة على مقعد العجيبيين تنحت عن الدرب واتخذت لها طريقا صوب شطن واد خلف تلعة حيث كانت هنالك الحفرة المعروفة لها مليئة بحليب لم يتغير طعمه بعد ، وبرزت الفتاة التى فوجئت برجل مسن على ظهر الناقة فتماسكت وقالت له :

● اناشدك الله هل صاحب هذه النـاقة حي ؟

● قال الرجل : نعم .

فشهقت الفتاة شهقة وماتت كمدا لتوها ، اذ علمت ان مجىء الرجل معناه انكشاف قصة غرامها وبالتالى حرمانها من الزواج بمن تحب ، طبقا لتقاليد البادية الممعنة فى القدم .. وعاد الرجل ، دون أن يلقى بالا لمن ماتت ، فمن بدا جفا ، وعاد من توه الى مضارب قبيلته ، حيث اخذ يلاطف الفتى ، ويجمع منه اطراف القصة بحذافيرها ، حتى اذا ما انتهى الى ما يريد ، عرف ولده أن الفتاة لا تحبه ، وإنما كانت تخادعه وتضحك على ذقنه !!!

إلا ان الفتى كان واثقا من محبوبته ، فاقسم بالله على ابيه ان يعرفه بحقيقـة ما جرى ، فلما عرف ، خر مغشيا عليه وفاضت روحه إلى بارئها ، وظل بعد الفتى والفتاة على خريطة شبه جزيرة سينا ، وادي الريد ، الذى شهد معارك سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ، ومعقد « العجيبين » ، الذى ابلى قبالته مئات من الشهداء الابرار (بلا قيادة) بلاء عظيما فى معركة سنة ١٩٦٧ ، مما لم يسجله التاريخ بعد ، فى هذه الحقبة التى ضاعت فيها معالم التاريخ العربى ..

درويش مصطفى الفار

في البدعة وكراهة الجديد

رَدٌّ وتعقيب

بقلم : الدكتور كامل زغموت

جاءنا هذا الرد من الدكتور كامل زغموت على ما نشرته الدوحة في العدد الماضي للأستاذ حسين احمد امين تحت عنوان : استنكار البدعة وكراهة الجديد . والدوحة تنشر مقال الدكتور كامل زغموت كما جاءها بالنص :

نشرت مجلة الدوحة في عددها ٨٧ مقالا بعنوان « استنكار البدعة وكراهة الجـــديد موقف اســـلامي ام جـاهلي » بقلم الكاتب حسين أحمد أمين . وحيث ان هذا المقال فيه من المغالطات وفيه من الدس على العقيدة والتشريع الفقهي في الاسلام ورجاله مالايقـوله الا مبتدع او جاهل او كلاهما . لذا وعملا بحرية النشر وابداء الراى الذى تسمحون به لنشر مثل هذا المقال ، ارجو نشر هذا الرد في مجلتكم في العدد القادم وفي نفس المكان .

واقول بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

ان العنوان الذى بدا فيه الكاتب مقاله فيه خطا وخلط في الفهم والتصور عمد اليهما الكاتب ليبلغ في النهاية ما يريد ، فقد جعل كلمة « البدعة » ـ ولا احد يجهل معناها ـ مرادفة ومساوية لكلمة « جديد » وجعل البدعة بمعنى الابداع والاختراع « ص ٧٦ عامود ٣ » . وليس احد يجهل ان كلمة « البدعة » اذا اطلقت فمعناهـــا « البدعة في الدين » وهو الاتيان بما يخالف النصوص الشرعية والاحداث في الدين ما ليس فيه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وجميع المسلمين يفهمون هذا المعنى الا كاتب المقال فهو يفهم البدعة بمعنى الجـــديد والابداع والاستنباط والتجريب والاجتهاد .

فاستمع اليه يقول ٧٦ عامود ٣ : « فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائما الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى اضحت البدعة مقصودة في حد ذاتها وطلبها متعمدا . واسمتها بالمنهج العلمي وحتى اصبحت ـ خاصة في وقت الأزمات كالحرب او الضائقة الاقتصادية تبدى تهافتا على الابتداع . وتناشد المبتدعين وتحثهم على إجراء التجارب والاختبار والاستنباط بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها . ورغم ما تذكره كتب علم الاجتمـــاع من ان الازمات والاحساس بالخطر من شانها ان تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة إلى ابداء الاستعداد لتقبل الجديد من الافكار والمستحدث من الأساليب ، فلا يزال مجتمعنا المليء بالأزمـــات والمحفـوف بالاخطار يرى البدعة كفرا والمستحدث عصـــيانا وتمردا والاســـاليب الجديدة تشويشا غير مستحب للروتين والتقاليد ومخالفة مستهجنة لعادات الاباء والانماط المالوفة من العيش . غير ان الوقت قد حان لان ندرك ان التقدم متعذر دون تغيير وابتداع وان اولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وانما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع ، ذلك ان كل بدعة تقريبا تستدعى إعادة في تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو ان نلمس عند كل من سينحيه التغيير من مكانته ويحد من نطاق نفوذه استنكارا وكراهية للبدعة » . انتهى نص كلامـــه حرفيا . وقـــد اطلت في نقل كلامه ليرى القارىء الكريم الى اى حد اسف كاتب المقال في اتهام نفسه اولا وفي اتهام الناس معه في عقولهم ، انهم لا يستطيعون التفريق بين البدعة في الدين والابتداع والاختراع والاستنباط في شؤون الحياة . هل يقول هذا عاقل مفكر ؟ هل هناك مسلم لا يرى وجوب الاختراع من الابرة حتى الذرة ؟ . لقد سمى البدعة « المنهج العلمي » وهل المنهج العلمي التجريبي إلا من صنع المسلمين ؟ وما دخل هذه العلوم « بالبدعة في الدين » ، ارايته كيف يصف الحضارات الراقية ـ يعني الغربية ـ كيف اضحت البدعة عندها مقصودة في حد ذاتها . ارايت خلطا اشد من هذا التخليط ؟ فهل الدين يمنع من الاختراع ام ان الدين الاسلامي يحارب العلم ؟ وكتابه الكريم وسنة رسوله الامين تحض على العلم وطلب العلم .

استمع اليه وهو يصف مجتمعنـــا الاسلامي بالمتحجر لانه يحارب البدعة ويراها كفرا «وهي طبعا البدعة في الدين» فلماذا يصر على اعتبارها في الابتداع والاختراع والاستنباط ؟ وما دخل هذا بهذا ؟ اليس المقصود من ذلك انه يريد هدم الدين من اساسه وتركه جانبا على هامش الحياة كما فعلت اوروبا التى فعلت ما فعلت لان الدين فيها حارب العلم ، فهل حارب ديننا العلم ؟ واصغ إليه سمعك وهو يقول ـ لا فض فوه ـ : « ان اولئك الـــذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء وإنما عن خوف على مصالح خاصـــة وان ذلك يحد من نطاق نفوذهم» ، ولست ادرى ـ واشكره لو كان يدرى ـ اين هى مصالح المسلمين الخاصة واين هو مكان نفوذهم وهل لهم سيطرة على دفة الحياة ومقدرات الامة حتى يمنعوها من التطور والاختراع لانهم يحاربون البدعة ؟ ، وها هم المسلمون يذبحون في كل صـــقيع ومكان ولا من يدافع عنهم باللسان فضلا عن السنان . انهم بالتاكيد غير موجودين على

الساحة العامة في الحياة فلماذا لا تخترع الامة ولا تبتدع ؟ اليس الحياء يعقل صاحبه فاذا ذهب الحياء فاصنع ما شئت وشاء لك الذين تكتب نيابة عنهم .

وننتقل الى نقطة اخرى وهى تلك التى أوردها بعد العنوان الذى جعلته مجلة الدوحة بالخط العريض .

قال : «وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم (١) ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول . فتعلقهم بأصنامهم كان سطحيا وفى طريقه الى الزوال» . ص ٧٤ ، أيقول هذا مسلم ؟ أيدرى هو ما معنى هذا الكلام ؟ أليس معناه انه لم تكن هناك حاجة الى رسالته صلى الله عليه وسلم والى دعوة التوحيد وترك عبادة الأوثان التى جاء بها لأن تعلق القوم بالأصنام كان سطحيا وفى طريقه الى الزوال ولست أدرى ما الكفر إن لم يكن هذا ؟ .

أتدرى ما الدعوة التى جاء بها الرسول الى قومه انها : «دعوة الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول» أتدرى ما هو هذا الموقف ؟ يقول هو : «أنى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلا ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد فى الحياة الدنيا . والقران الذى جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا ، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالأطيبين . وهو يدعو الى اخوة ومساواة وينهى عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل مؤكدا انه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لحر على عبد إلا بالتقوى» .

وهو بهذا يؤكد ان الدعوة لم تكن موجهة لترك عبادة الأصنام فهى فى طريقها الى الزوال – علم جديد من أين علمه – والرسول صلى الله عليه وسلم مكث الفترة المكية كلها ثلاث عشرة سنة وهو يدعو قومه الى التوحيد ، وهذه ايات القرآن دون حاجة الى استقصاء تثبت ذلك ، وهو ذكر بعضا منها ص ٧٥ عامود ١ . الم يذكر القران الكريم على لسانهم قولهم «أجعل الآلهة إلها واحدا» (٢) الم يقولوا : «ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى» (٣) . والمفروض جدلا ان يسلم هو بصحة ما جاء فى هذه الآيات لأنه اعترف – مشكورا – ان القرآن جاء به من عند ربه ولم يقل كالمستشرقين من عند نفسه ، وإن كانت كل ارائه منقولة عنهم . واحب أن انقل القارىء الكريم الى هجوم الكاتب على تراث الاسلام وفقهه ورجاله ليرى الى أى حد هان هذا الدين والتراث فى زماننا حتى أصبح الهجوم عليه متاحا لكل حاطب ليل أو نافخ كير أو ناعق .

يقول ص ٧٥ عامود ٢ : «وقد امرنا الرسول الكريم ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القرآن فما اتفق منها معه قبلناه» .. هذا الحديث موضوع والقرآن الكريم يقول : «وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٤) ويقول : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (٥) . ويقول عليه الصلاة والسلام «الا انى أوتيت القرآن ومثله معه» .

ثم يمضى قائلا ص ٧٥ عامود ٢ : «فهل يعقل بعد ما اوردناه من ايات – وقد اوردناه على سبيل المثال لا الحصر – ان يسلم احد بصحة احاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم» .

وحديث «الا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» .

ولم يذكر لنا كيف لم تصح هذه الاحاديث عنده وكيف لا يقبلها العقل ؟ وكيف عرضها على القرآن وعلى الآيات التى استشهد بها هو نفسه ، الا يحتاج هذا منه الى بيان واضح لأن هذه الاحاديث عند جميع امة الاسلام صحيحة.وهكذا شطبها بحجة لا يقبلها العقل وليس اسهل من الشطب لمن احتطب .

ثم استمع اليه وهو يهدم التراث الاسلامى – بزعمه ووهمه – حين يقول متابعا فى نفس الصفحة والعامود «لقد اوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الاحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ما لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام راه الجاهلون من «محدثات الأمور» واعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان اعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» .

ونحن نسأله هل بقى من كتب التراث الاسلامى شىء لم تذكره ؟ فاذا كانت كلها تذم البدع وترفض كل جديد محدث – يلاحظ هنا أيضا إصراره على ربط البدعة بالجديد – ؛ وانت ترى أن هذا لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرت اليها وما ليس بالوسع قبوله . اليس يجدر بنا وبك أن تعلمنا وتدلنا وتبين لنا كيف لا يتفق هذا مع مفهوم الآيات ؟ وانت مطالب بذلك لأنك أنت وحدك تعادل الأمة كلها بجميع تراثها ورجالها فهى كلها لم تفهم ما اشارت اليه الآيات وانت فهمت فانت مطالب بالبيان . اما هكذا بجرة قلم تقول لا تتفق وتمضى كأنك تقرر حقائق مسلما بها فلا يقول هذا عاقل بل ناقل .

ثم يقول متابعا : «فان احتج البعض بأن هذه الأحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا انه قد ورد أيضا فى البخارى «من تصبح كل يوم سبع تمرات ... » وانه قد ورد فى صحيح مسلم « لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر» وفى غير البخارى ومسلم « الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويلاحظ هنا انه بعدما رفض جميع كتب التراث الاسلامى فلم يبق ولم يذر ، جاء هنا ليقتص من صحيحى البخارى ومسلم لأنهما أصح الكتب عند عامة المسلمين (أهل السنة) فذكر حديثا فى صحيح البخارى وآخر فى صحيح مسلم وحديثا ثالثا لم يذكر مصدره ولكنه قال «فى غير البخارى ومسلم» أتدرى أيها القارىء الكريم لماذا فعل ذلك ؟ انه أراد أن يساوى بين حديثين صحيحين فى أشهر كتب الاسلام مع حديث موضوع لا أصل له . كل مسلم من غير العلماء يعرف انه موضوع مكذوب. اليس يعنى انه يريد أن يقول إنها كلها احاديث وإنها كلها بمنزلة واحدة حتى لو حدث هو بحديث من عنده وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيح حديثا ، مثل حديث البخارى ومسلم وغيره من الصحاح . إن كان هذا لا يستدل من كلامه فدلونى على الصواب .

أما حديث من تصبح بسبع تمرات فهو كحديث الذباب الذى كذب به أقوام ثم أثبت الكشف العلمى صحته،وكحديث إذا ولغ الكلب فى إناء احدكم فاغسلوه سبع مرات احداهن بالتراب،والذى ثبت علميا صحته أيضا،وسياتى باذن الله ما يثبت صحة حديث التمرات .

أما حديث حواء فما الذى أزعجه فيه ؟ ولماذا أورد نصا ولم يورد النص الآخر من صحيح مسلم وهو «لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر» هل أزعجه ذكر بنى اسرائيل ؟ . ثم لماذا لم يشرح المعنى وحتما يكون قد اطلع عليه إذا نقل الحديث من مصدره ، أما إن كان ناقلا عن غيره فقط فذلك شأن آخر .

لقـــد أمر بنـــو اسرائيـــل أن لا يدخروا الطعام – المن والسلوى – فادخروا فكان عقابا لهم لمخالفتهم الامر ، أن خبث الطعام وانتن اللحم . وكذلك حواء أمرت بعدم الاستماع لوسوسة الشيطان ثم حســنت لزوجها الأكل من الشجرة إطاعــة لابليس ولم يكن المقصود من الخيانة – الزنا – كما

في البدعة وكراهة الجديد

رد وتعقيب

يفهم من ظاهر النص .

ثم انظر الى هذا التعليل عندما يقول فى الفقرة السابقة عن ذم البدع ورفض كل جديد محدث التى جاءت بها كل كتب التراث الاسلامى لم يترك منها واحدا «مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام رآه الجاهلون من محدثات الأمور» وإذن فهو يوافق الجاهلين على ان الاسلام بدعة من محدثات الأمور بدليل انه يقول قولهم او هو يريد أن يقول ونحن علينا ان نرى ما جاء به الاسلام من محدثات الأمور ، وعلينا ان ناتى بغيره. إذ كل سابق يقول عن رأى اللاحق محدث وبدعة وهكذا دواليك. ويؤكد هذا حين يبلغ به الشطط حد الاسفاف حين يقول : «واعلمنا ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان اعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله» ص ٧٥ عامود ٣ .

اترى كيف اراد ان يخدع القارىء بقوله عليه الصلاة والسلام عندما ذكر كلمة الرسول ليصرفك عما يضمر فى نفسه من حقد دفين على رسالة المسلمين ، وإلا فما معنى ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان اعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله ؟ أيريده ان يتبع سنة من كان قبله ؟؟ إذا فلم الرسول والرسالة إن لم يكن هناك جديد من السماء يريد الله تبليغه أهل الأرض ؟ وهل المقصود من كان قبله من الانبياء ثم جاء الرسول رافضا لاتباع سنتهم ؟ كم مرة صرح القران بان الدين عند الله الاسلام منذ ادم عليه السلام حتى خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام . الم يسمنا ابراهيم عليه السلام بالمسلمين «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» (٦) ، ثم اقرا قوله تعالى «ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين» (٧) ، لكن التشريعات اختلفت وتلك ارادة الله ليبتلى بها عباده بالايمان وعدمه ، أم المقصود انه صلى الله عليه وسلم رفض اتباع الكفار فى عبادة الأوثان وفى طرق حياتهم فاختر انت الجواب والحكم متروك عليك للقارىء الكريم ولنفسك .

أما ما يقوله عن فقهاء الاسلام ومجتهديه فاليك هو «ص ٧٦ عامود ٢» :

«قد دعانا من راى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند اراء مجتهدين فى عصر معين. وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لانفسهم ، ويراعون فى وضعهم الاحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم ، غير انهم سلكوا مسلكا خاطئا إذ صاغوا اراءهم المبتدعة فى قالب احاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الاسانيد لها حتى تلقى اراؤهم قبولا من الامة . وعلى حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا راينا رايا صيرناه حديثا» ، فاذا بالاجيال التالية تقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الاحكام والاراء الى النبى . وحرمت على نفسها ان ترى لنفسها رايا جديدا .....» .

وقبل ان اعلق على هذا القول اسارع الى التأكيد ان هذا القول ليس من عنده وليس هو قوله بل قول المستشرق الدكتور شاخت فى كتابه عن الشريعة المحمدية بنصه وفصه لم يخرم منه شيئا . وهكذا فهو يرى رأى سيده شاخت بان الامة الاسلامية كلها كاذبة لانه اذا كان فقهاؤها ومجتهدوها يكذبون حيث يضعون الأحاديث ويختلقون لها الأسانيد والامة تتلقى ذلك بالقبول منهم وكذلك الأجيال المتعاقبة، فالامة الاسلامية على هذا من اولها الى اخرها امة كاذبة دينها مكذوب !!

والاغرب من هذا والانكى انه يستشهد بقول بعضهم : « كنا اذا راينا رايا صيرناه حديثا » وهذا القول قاله رجل وضّاع كان يضع الأحاديث فلما تاب ورجع اعترف بهذا القول وهو يستشهد به على كل الامة ، وليت شعرى الم ينقل هذا القول من الكتب فلماذا ينقله مبتسرا هكذا ليجعله حجة على جميع الامة بل على الذروة منها وهم الفقهاء والمجتهدون وفى القرنين الثاني والثالث الهجريين . افبعد هذا يبقى مقال لقائل فى ان يدفع سوء النية والقصد عن هذا الكاتب وهل قال أعداء الاسلام اكثر من هذا بل قاله شاخت وهو يهودى فهل هو على دينه ام على دينه ؟ نحكم بالاولى ونترك الثانية لله . انهم تحت شعار حرية النشر وحرية الكلمة يهجمون على عقيدة الامة دون خوف من رقيب او وازع من ضمير او على الاقل تحكيم لمنطق العقل السليم . ولو ان شخصا هاجم شخصية مرموقة فى مقال لقامت الدنيا وما قعدت ثم هل تجرؤ الصحف والمجلات على نشر مثل هذا المقال ؟؟ اما على الاسلام فحيهلا !!!!

استمع اليه يقول ص ٧٥ عامود ٣ : « ومفهوم هذا ان تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والاخلاق لا المتعلقة بمعاش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الراى » ونحن نقول بهذا القول وكل مسلم يقوله ولكن الخلط والتخليط جاء عندما تابع كلامه قائلا : « ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شأن من شؤون الحياة كالملبس والمأكل بل وحتى فيما يقال لمن عطس ، ولا يرون مسلما حقا من تبع شيئا من عنده . وهاهو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كل ما يتبع دون مثل من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفا فى زمان النبى . وعلى هذا تصبح القهوة والطباعة والاذاعة والجرائد والمصباح الكهربائى واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الأكل بدعا بغيضة ، وهو ما من شانه ان يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفـــة للظروف السائدة زمن الصحابة والتابعين امرا محالا » . هذا نص كلامه حرفيا . واستشهد – بعد ذلك – بقوله تعالى « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ وصدق الله العظيم .

بدا كلامه فى هذه الفقرة بمفهوم ان التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين والاخلاق لا التى تتعلق بمعاش الدنيا الفرعية ووافقناه على ذلك . لكنه عندما ضرب الأمثلة بالملبس والمأكل أوردها هكذا دون تفصيل . فهل الاسلام اذ حرم لبس الحرير ونهى عن إسدال الازار يكون بذلك ضيق على الناس فى ملبسهم ؟؟ وهل الاسلام اذا امر بالتسمية عند الأكل والأكل باليمين وان يأكل الانسان مما يليه يكون ضيق على الناس فى مأكلهم ومشربهم ؟؟ ولم لم يذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم « كل ماشئت والبس ما شئت من غير ترف ومخيلة » وهل اذا نهاهم عن الأكل فى آنية الذهب والفضة دفعا للكبرياء والغرور وحفاظا على الاقتصاد يكون ضيق عليهم . ثم اذا كانت هذه نصوص صحيحة وهى من الدين لان الدين عندنا « كتاب وسنة » فماذا الاعتراض عليها ؟ أليس هذا يخالف قولك الذى بدات فيه هذه الفقرة « ان التعاليم الملزمة للمسلمين هى التى تتعلق بالدين » . والآن ما هو الدين فى نظرك ؟؟ أهو العبادات فقط ؟ واقف عند هذا الحد لان الاستقصاء فى الرد سيطول ويحتاج الى مجال اخر ووقت اخر . والله المستعان وعليه التكلان والله غالب على امره .

د . كامل زغموت
رئيس قسم العلاقات الاسلامية
قصر الدوحة

هوامش

(١) اى التى لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة .
(٢) ص ٥ .
(٣) الزمر ٣ .
(٤) الحشر ٧ .
(٥) النجم ٢ ، ٣ .
(٦) سورة الحج ٧٨ .
(٧) سورة النحل ١٢٣ .

أغنية الربيع

شعر: مبارك بن سيف آل ثاني



يا زهورَ الربيـــعِ قد عادَ لَيْلِى ... بالنـــدى والنجومِ والأمنيـــاتِ
وعشــقتُ الحبيبَ فى كل طيف ... وخيالٍ يزف أغلى الصـــفاتِ
فاسمعينى يا رفقتى .. يا طيورا ... واسمعى باغِمَ الظِّباءِ اللـــواتى
كُنَّ لى الشاهدات فى كلِّ لُقْيا ... فاكتمى الحُبَّ واحفَظِى هَمَساتى
إنْ يكنْ عندك الغرامُ ربيعـــا ... انشديه وهاتِ يَشْدُوك هاتِى
سوفَ يمْضِى الربيعُ بالزهْـرِ يوما ... وســأبْقَى .. تشدُّنى ذِكْريَـــاتِى

• • •

يا غديرًا ويا زهورَ الخـــزامَى ... يا ربيعًا .. ويا ليالى النَّـدامَى
قد الفت الربا طيورا ورَوْضــا ... فَعَلَامَ الرحيل هذا .. عَلَامَا ؟
هل بدرْبِ المنَى سئمت الليـالى ... واطل الفـــراق والبعد حاما ؟
فدعينى يا رفقتى .. يا طيورا ... فلقد أصْـبَحَ الفؤادُ حُطَـامَا
ولقد ضَاعَ فى زحَامِ الأمَـــانِى ... كل شىءٍ حسـبْتُه قد تَسَامَى
وغدا الخـــافقُ الطليقُ سجِينا ... بعد أن جَالَ فى سماك هيَـــامَا

• • •

يا ربيعًا لِمَ الرحيلُ شــهورا ... وهبوبُ النسيم نجْمِى وفَجْرِى ؟
فأنَا شــاعِرٌ كطيرِكَ أهْفُـــو ... حيث نَبْــعُ الغديرِ والماءِ يجرِى
وأرى الليْلَ أنجُمًا وشُمُوسًـــا ... ضاحكاتٍ على النُسَيْمَاتِ تسْرِى
لن يكونَ الفِرَاقُ يا فَجْــرُ لَيْلِى ... لن يكونَ البِعادُ سجْنِى وأَسْرِى
سوف أبقَى أعيشُ ذكرى ربيـعٍ ... سوفَ أبقَى أعيشُهُ كلَّ دهْرِى
يا ربيعًا متى رحَلت .. وطيفــًا ... عشتُهُ فى البِعَادِ .. لو كنتَ تدرى !

انتبهوا أيها السادة:



هذه الصحراء يجب وقف زحفها حتى لا يسيطر شبح الموت على الأرض وتختفي الخضرة الجميلة



بقلم: الدكتور محمد عاطف كشك

شهد عام ١٩٧٧ مولد علم جديد هو ما يمكن ان نسميه « علم الصحراء » Desertology وقد ساهمت فى قيام هذا العلم الجديد عدة عوامل كان أهمها كارثة الجفاف التى تعرضت لها منطقة الساحل الأفريقى بين عامى ١٩٦٨ ، ١٩٧٤ والتى نتج عنها موت عدة ملايين من البشر والحيوانات بسبب المجاعات والأوبئة ، وتحول مساحات شاسعة من الأراضى المنتجة الى صحراء جرداء . ولم يكن اهتمام العالم بمشكلة زحف الصحراء إلا جزءاً من الاهتمام العالمى الضخم والمتزايد بمشاكل البيئة والذى لم يكن انعقاد مؤتمر الامم المتحدة عن البيئة الانسانية (استكهولم) إلا مظهراً واحداً من مظاهره المتعددة . وقد كانت ضمن النتائج الهامة لمؤتمر استكهولم تكوين منظمة عالمية جديدة أطلق عليها « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » UNEP (مقر هذه المنظمة نيروبى ورئيسها منذ تكوينها حتى الآن عالم مصرى هو الدكتور مصطفى كمال طلبه) .

وقد قامت الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٧٤ بالدعوة لعقد مؤتمر عالمى لبحث مشكلة زحف وانتشار الصحراء فى العالم . وتم تكليف برنامج الأمم المتحدة للبيئة بالتحضير لهذا المؤتمر الهام . واستمر التحضير للمؤتمر لمدة ثلاث سنوات كاملة حتى تم عقده فى نيروبى فى الفترة من ٢٩ اغسطس الى ١٠ سبتمبر عام ١٩٧٧ وساهم فى اعماله حوالى ١٥٠٠ خبير وعالم سياسى يمثلون ٩٥ دولة و ٦٥ منظمة غير حكومية .

وخلال الجهود والدراسات المكثفة التى سبقت المؤتمر ومهدت له وتبلورت خلاله امكن التوصل الى عدد من البيانات والمعلومات والتوصيات الهامة التى تلقى الاضواء على طبيعة وحجم مشكلة زحف الصحراء . واهم النقاط التى توصل لها المؤتمر يمكن ان نجملها معا بشكل مختصر فيما يلى :

١ ـ مشكلة زحف الصحراء مشكلة خطيرة تهدد العالم بشكل خطير فهى تؤثر بشكل مباشر على ثلثى العالم وعلى العالم كله بشكل غير مباشر .

٢ ـ تغطى المناطق الجافه ثلث مساحة الكرة الارضية وهذه هى المناطق التى تنتشر فيها الصحراء بشكل سريع وخطير . والصحراء الزاحفة تتقدم لتغطى ٥ ـ ٧ مليون هكتار (حوالى ١٢ ـ ١٧ مليون فدان) من الاراضى الزراعية كل عام .

٣ ـ الصحراء الزاحفة تمثل خطرا شديدا على ظروف معيشة الجنس البشرى فهى تغطى مساحات شاسعة وتؤثر على الملايين من البشر . ورغم انتشار الصحراء بكثرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى افريقيا واسيا واستراليا وامريكا الجنوبية إلا أن انتشارها لا يعرف الحدود فتوجد مناطق متأثرة بالمشكلة حتى فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وبعض مناطق اوربا .

٤ ـ إن ظاهرة انتشار الصحراء ليست ظاهرة جديدة فهى تحدث منذ القدم لكن الجديد انها وصلت الآن إلى معدلات انتشار عالية نتيجة الضغط البشرى على الارض المتاحة . ومنذ اكثر من ٥٠ سنة بدا بعض المفكرين والعلماء التنبيه الى مخاطر زحف الصحراء فى الصين وفى روديسيا وجنوب افريقيا ومناطق اخرى . لكن العالم لم يعط هذه المشكلة ما تستحقه من عناية واهتمام الا فى أواخر السبعينات مع تصاعد الاهتمام بقضايا البيئة الانسانية بشكل عام .

٥ ـ كما سوف يتضح لنا فيما بعد فان هناك اجماع علمى على ان الانسان هو الصانع الاول للصحراء وهو السبب والضحية فى نفس الوقت . وإلقاء اللوم على الانسان باعتباره صانع الصحراء ليس الهدف منه إيجاد متهم نلصق به التهمة بل ان له عدة نتائج علمية هامة فيما يتعلق بفهمنا للمشكلة وطريقة تناولنا لها وبالتالى طبيعة الحلول الممكنة لها .

التصحر ام انتشار الصحراء ؟

كلمة الصحراء مرادفه للموت او غياب الحياة .

لكن الصحراء الكاملة نادرة الوجود ، فحتى فى المناطق الجافة جدا يمكن ان توجد بعض صور الحياة . ولذلك فان الصحراء تعرف بانها المساحات التى تكون فيها الرقعة النباتية قليلة جدا او غير موجودة بالمرة والمطر فيها نادر والنشاط الحيوى ضعيف .

وعملية التصحر هى امتداد او تكثيف لهذه الظروف وهى بذلك شكل من اشكال تدهور الارض والموارد الطبيعية وانتشار الجفاف والبوار فى مناطق كانت قبل ذلك منتجه .

والصحراء ليست حالة استاتيكية حيث انه يمكن نشر الحياة فى الصحراء وبالعكس يمكن للصحراء ان توسع جبهتها فتغطى مناطق جديدة وتستبعد منها إمكانيات الحياة .

والسؤال الهام هنا : هل انتشار الصحراء ظاهرة طبيعية والانسان فى هذه الحالة هو الضحية ؟ أم أن الصحراء هى من صنع الانسان نفسه ؟ ؟

ولقد حاول مؤتمر نيروبى التصدى للاجابة على هذا السؤال . وكان هناك تردد بين مصطلحين لتسمية الظاهرة : انتشار الصحراء Desertization ام التصحر Desertification بعد مناقشات قصيرة حصل مصطلح التصحر على قبول عالمى . والخلاف هنا لم يكن مجرد لفظى فمصطلح انتشار الصحراء يعنى ان عملية زحف الصحراء عملية طبيعية مناخية فى المقام الاول لا يمكن للانسان ان يتحكم فيها . فى حين ان المصطلح الثانى ـ التصحر ـ يعنى ان الانسان هو الصانع الاول للصحراء بضغوطه الشديدة على الارض واستعماله لها استعمالا احمق .

وقد استندت الابحاث والدراسات التى تؤكد المساهمة الرئيسية للانسان فى صنع الصحراء على عدة حقائق .

● هناك دلائل كثيرة تشير الى ان الصحراء فى تقدم سريع مستمر فقد وجدت فى بعض كهوف جبال منطقة الصحارى الافريقية نقوش ورسوم على الاحجار لحيوانات مثل الفيلة والزرافات . وكذلك زراعات تحتاج إلى ظروف اقرب إلى الظروف الحالية فى المنطقة الاستوائية الرطبة . وهذه الحيوانات الاستوائية غير موجوده الآن بالمرة فى هذه المناطق . كما ان الزراعة فيها اختفت تماما وحل الرعى محلها مما يدل على انها كانت مناطق رطبة ثم جفت .

● هذا التغير السريع لا يمكن رده إلى تغير المناخ فهناك اتفاق بين معظم المتخصصين على ان تغيرات المناخ مسالة لا يمكن الاحساس بها فى مدى زمنى قصير فهى تستغرق مئات القرون ولذلك فان انتشار الصحراء خطا يلام عليه الانسان . ومما يؤكد ذلك حدوث تدهور سريع جدا للنظم البيئيــة فى المناطق المتاخمة وهو مالا يمكن تفسيره فى ضوء التغيرات المناخية التى تحدث تدريجيا وببطء شديد .

● يشهد التاريخ ان هناك حضارات كثيرة عظيمة اعتمدت على الزراعة وغطتها الآن رمال الصحراء وكما فى وادى دجلة والفرات .

وهكذا فان تحليل ظاهرة التصحر يقود إلى اكتشاف ان أهم الأسباب الفعالة لها هو سوء استخدام الامكانيات المحدودة للأرض وخاصة فى المناطق الجافة وشبه الجافة . فالارض فى هذه المناطق ذات إمكانيات محدودة ولكن الضغوط عليها كثيرة . وعندما نجبر الأرض على ان تعطى اكثر مما تستطيع فانه قد تستجيب الضغط وتعطى لفترة قصيرة جدا ولكننا بذلك نستنزفها وندمرها ونحولها من أراض منتجه ـ ولو فى حدود متواضعة ـ الى صحراء جرداء كفت عن العطاء .

رغم توفر عدد من العوامل الطبيعية (متعلقة بالمناخ والتربة والطبغرافية)

الصحراء تغزو العالم

تؤثر على مدى وسرعة انتشار الصحراء إلا ان العوامل الانسانية تكتسب اهمية خاصة من حيث سرعة وضخامة تاثيرها ومن حيث انها هى التى يمكن تعديلها والتحكم فيها .

والعوامل الانسانية التى يمكن ان تقود الى تدهور الاراضى والموارد الطبيعية وبالتالى انتشار الصحراء كثيرة منها :

● استعمال كميات كبيرة من مياه الرى او كميات اقل مما قد يتسبب فى ظهور مشاكل الاراضى الغدقة ومشاكل الملحية والقلوية .

● سوء استغلال الارض بزراعتها بكثافة اكثر مما تحتمل او بانــــواع من النباتات غير ملائمة او استعمال طرق خدمة غير مناسبة ، كل ذلك قد يعجل من تدهور الارض .

● زراعات المنحدرات وريها يعرضها للانجراف الشديد بواسطة المياه وترك الاراضى الجافة عارية يعرضها للانجراف الشديد بواسطة الرياح . والانجراف يزيل من الأرض اخصب طبقاتها ويتركها اشبه ما تكون بالصحراء .

● الضغوط الانسانية والضــــغوط الحيوانية الشديدة والتى تفوق قدرة الأرض على الاستيعاب تجعل الانســـان والحيوان يتحولان الى آفة ضارة ينتج عنها تدهور شديد للارض .

● تجريف الاراضى الزراعية بواسطة الانسان او ترك مخلفات الصناعة تؤثر عليها كل ذلك يعجل بتدهور الارض وتحولها الى صحراء لاعطاء لها .

المناطق المعرضة لزحف الصحراء

حرص مؤتمر نيروبي على إقرار ما سمى « خطة العمل لمقاومة زحف التصحر » وقد بدات الخطة توصياتها بان عملية التصحر يجب تقديرها وتقييمها ، وبالفعل كانت من اولى المهام التى شغلت العلماء والمنظمات العلمية هى رسم خرائط للصحراء الزاحفة ولان عملية التصحر عملية ديناميكية وليست موقفاً ثابتاً فان رسم خرائط لها عملية صعبة للغاية اشبه ما تكون بمحاولة رسم خرائط للعربات التى تجرى فى شوارع القاهرة . ومع ذلك فان المحاولة كانت ضرورية ، ولذلك فقد اسندت مهمة اعداد خريطة العالم للتصحر إلى اربع منظمات دولية لديها خبرة كبيرة فى عمليات الحصر والتقييم وإعداد الخرائط هى منظمة الاغذية والزراعة وبرنامج الامم المتحدة للبيئة ومنظمة الارصاد الجوية العالمية واليونسكو ، كما تم إشراك عدد من بيوت الخبرة العالمية فى اعداد الخريطة التى تم انتاجها بالفعل لتشير إلى المناطق المعرضة لزحف الصحراء ومدى الخطر فى كل منطقة من العالم هل هو خطر شديد ام متوسط ام قليل .

ورغم انه يصعب فى هذا المجال إعطاء امثلة من خريطة العالم للتصحر او البيانات المستخلصة منها إلا انه يمكن الاشارة الى بعض الارقام التى لها دلالات واضحة ، فقد بينت الخريطة مناطق العالم المعرضة لخطر تصحر عال ، وعال جدا ، اى أن انتشار الصحراء فيها سوف يتم بسرعة شديدة لو ظلت الظروف الحالية بدون تغير . وهذه المساحات هى على النحو التالى فى القارات المختلفة .

● امريكا الجنوبية ٥٠٠ مليون فدان (١٠٪ من المساحة الكلية) .

● امريكا الشمالية والمتوسطة ٥٤٠ مليون فدان (٦٪ من المساحة الكلية) .

● افريقيا ١٤٠٠ مليون فدان (٢٢٪ من المساحة الكلية) .

● اسيا ٢٠٠٠ مليون فدان (١٨٪ من المساحة الكلية) .

● استراليا ٤٨٠ مليون فدان (٢٦٪ من المساحة الكلية) .

● اوربا ١٢ مليون فدان (٥ر٪ من المساحة الكلية) .

ومن خريطة العالم للتصحر ووثائق مؤتمر نيروبى يمكن إيجاز الملاحظات التالية :

● ان خطر التصحر يهدد العالم كله حتى فى المناطق التى لا توجد بها صحراء طبيعية كما هو الحال فى اوربا .

● ان اكثر قارات العالم عرضة لخطر التصحر هى افريقيا واسيا واستراليا والى حد ما امريكا الجنوبية .

● ان المساحات المعرضة للخطر فى العالم كله مساحات شاسعة . والعالم الآن يبحث عن كل شبر من الاراضى يمكن استغلاله لسد احتياجات الاعداد المتزايدة من السكان . وبالطبع فان الموقف الراهن فيما يتعلق بازمات الغذاء والطاقة سوف يزداد سوءاً لو تركنا هذه المساحات الشاسعة تغزوها الصحراء ، وتستبعد منها الحياة .

الموقف فى مصر والشرق الأوسط

تتعرض مصر والبلاد المحيطة بها ـ لموقف شديد الخطورة فيما يتعلق بمشكلة زحف الصحراء ، ومن فحص خريطة العالم

للتصحر يتضح لنا ما يلي :

● تقع مصر في المنطقة شديدة الجفاف من العالم وخطر التصحر في معظم مناطقها خطر عال جدا .

● تتميز المناطق المأهولة بالسكان في مصر (وهي مركزة في الوادي والدلتا) بضغط سكاني شديد حيث الكثافة السكانية تفوق بمراحل الحدود الحرجة الخاصة بكثافة السكان في المناطق الجافة .

● جميع الأراضي المصرية وخاصة الأجزاء الشمالية منها عرضة للتمليح والقلوية وعرضة للانجراف بواسطة الرياح .

هذا ما تقوله خريطة العالم للتصحر عن الموقف في مصر . ولكن هناك عدة ملابسات وظروف خاصة بمصر لم تبينها الخريطة تجعل الموقف اكثر خطورة ، نذكر من هذه الملابسات والظروف ما يلي :

١ ـ تغطي الصحراء الفعلية حوالي ٩٧٪ من مساحة مصر فنحن نمارس الزراعة في تخوم الصحراء أو في قلب الصحراء . وفي مثل هذه المناطق تكون الأرض لها قدرات كامنة محدودة يجب ان تؤخذ في الاعتبار عن استغلال هذه الأراضي ، ونحن حتى الان لا نعطيها للأسف اى اعتبار .

٢ ـ الزراعة المصرية زراعة مكثفة جدا لكي تقابل الاحتياجات المتزايدة للسكان والزراعة المكثفة لها كثير من المخاطر على الارض .

٣ ـ ما زالت الزراعة المصرية ـ ويجب ان تظل ـ تمثل اسهاما اساسيا في الاقتصاد القومي (حوالي ٣٠٪ من اجمالي الناتج المحلي في حين انه في الولايات المتحدة الامريكية ٣٪ فقط) اى ان اى خطر يواجه الزراعة سوف يكون تاثيره في الاقتصاد المصري عشرة اضعاف ما يمكن ان يصيب الاقتصاد الامريكي من خطر مماثل .

٤ ـ معظم الفلاحين المصريين فقراء يملكون مساحات صغيرة من الارض وليس في مقدورهم اتخاذ اى إجراءات أو تخصيص أى استثمارات لحفظ وصيانة اراضيهم ، ووسائل الدولة ومساعداتها في هذا الصدد قاصرة الى حد بعيد .

٥ ـ تتميز مصر بموقف خاص بها وهي ان الزراعة في معظم مناطقها تتم في شريط ضيق جدا محاط بالصحراء من كل جانب وهناك دلائل كثيرة تؤكد وجود إضافات من رواسب الصحراء على الأراضي المصرية الخصبة ، ورواسب الصحراء رواسب ضارة فهي خشنة جيرية قليلة الخصوبة . وقد ازداد تاثير هذه الرواسب بعد إنشاء السد العالي وحرمان الأراضي المصرية من طمي النيل الذي كان يقلل من التأثير الضار للرواسب الصحراوية . وبناء على الدراسات والأبحاث المتاحة فقد قمت بتقدير الخسائر الناشئة عن إضافة رواسب الصحراء إلى الأراضي المصرية ووجدت انها في حدود ١٠٠ مليون جنيه سنويا . واذا كانت الخسائر بمثل هذا الحجم فان المشكلة تستحق بذل الجهد والمال لوقفها خصوصا إذا كان الحل معروفا وهو اقامة حزام واق من الأشجار على جانبي وادي النيل والدلتا يحمي اراضينا من زحف الصحراء . هذا بالاضافة إلى أن الخسائر الناتجة عن مشاكل التمليح والقلوية (وهي صورة من صور التصحر) قد تم تقديرها بواسطة الدكتور الجبلي بما يزيد عن ٥٠٠ مليون جنيه سنويا وهذه ايضا لها حلول معروفة وتستحق الاستثمار فيها فهو استثمار مضمون العائد . ناهيك عن الخسائر الناتجة عن الانجراف وتجريف الأراضي وسوء استخدامها . وبذلك فانه يمكن بمنتهى الاطمئنان تقدير الخسائر الناتجة عن التصحر في مصر بما لا يقل عن الف مليون جنيه سنويا .

خطة العمل لمقاومة زحف التصحر

كان من النتائج الهامة لمؤتمر نيروبي إقرار ماسمي « خطة العمل لمقاومة زحف الصحراء » . وقد اشترك في إعداد هذه الخطة أكثر من ٥٠٠ خبير وعالم من مختلف انحاء العالم امضوا فترة سنتين كاملتين من العمل المكثف والدراسات الجادة . وتقع الخطة المعتمدة من المؤتمر في ٩٠ صفحة وتحتوي على ٢٨ توصية بخصوص استعمال الارض ، وصيانة للموارد المائية ، وصيانة وإعادة تكوين الغطاء النباتي ، وسياسات التوطن البشري في المناطق المتاثرة بزحف الصحراء ، وتنظيم استخدام مصادر الطاقة التقليدية والبحث عن مصادر جديدة . كما تضمنت الخطة توصيات بخصوص تعليم وتدريب وإعلام السكان فيما يتعلق بمشكلة التصحر ، وتوصيات بخصوص التعاون الاقليمي والدولي .. الخ وقد وضعت الخطة عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء نهائيا .

● وما يمكن ان يقال هنا ان هناك في مصر قصور شديد في تنفيذ بعض بنود خطة العمل لمقاومة زحف التصحر ، وخاصة في مجال الابحاث والدراسات وكذلك في مجال الاستثمارات اللازم توجيهها لمقاومة التصحر . هذا بالرغم من ان مصر ـ قبل غيرها ـ يجب ان تبذل جهودا جبارة في هذا المجال نظرا لضخامة حجم المشكلة بها ونظرا لانها يمكن ان تستفيد من الجهود العالمية في هذا المجال وخاصة ان هناك اثنين من خيرة ابنائها يحتلان منصبين هامين في مجال الاهتمام العالمي بمشاكل البيئة وهما الدكتور مصطفى كمال طلبه المدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة ، والدكتور محمد عبد الفتاح القصاص رئيس الاتحاد الدولي لصون الطبيعة والمحافظة على الموارد الطبيعية ولكل منهما قيمة عالمية كبيرة .

والان ارجو ان اكون قد استطعت في هذا الحيز الصغير ان الفت الانظار الى واحدة من اخطر المشاكل البيئية ، تهدد الانسان في مصدر غذائه وكسائه المباشر . وعندما وضع العالم عام ٢٠٠٠ كهدف يتم فيه وقف زحف الصحراء لم يكن ذلك مجرد امل ولكنها في الأساس مسألة حياة أو موت وفي مصر يجب ان نسعى بايدينا واسناننا لتحقيق هذا الهدف وإلا فان كل امالنا في الثورة الخضراء سوف تحبط في هجوم الثورة المضادة « الصفراء » .

ولان مشكلة تدهور الأراضي وتحولها الى صحراء عملية غير عكسية اى أنها متى حدثت فانه لا يمكن تصحيحها من الناحية العملية . ولان الارض مورد غير متجدد اى انها ليست كالهواء ما تستهلكه منه في التنفس يتجدد باستمرار بما ينتجه النبات من اكسجين في عملية التمثيل الضوئي . لان الارض مورد غير متجدد فاننا بسوء استغلالنا للاراضي وتسرعنا في سبيل تحقيق الامن الغذائي للجائعين حاليا ، قد نضيع الأمل الباقي في اى امن غذائي لأجيال المستقبل !!

د . محمد عاطف كشك

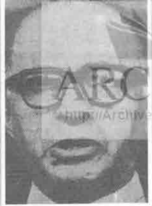
عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

بقلم : عصام شريح



عيزر وايزمن


مناحيم بيجن

لمع اسم عيزر وايزمن مرة اخرى فى الشهر الماضى منذ انزوائه عن مسرح الحياة السياسية فى الكيان الصهيونى فى أيار (مايو) ١٩٨٠ ، كخليفة محتمل لمناحيم بيجن فى زعامة حزب حيروت ، إن لم يكن فى رئاسة الحكومة ، وربما زعامة الحزب والحكومة معا ، فقد اعلن وايزمن نفسه عن نيته فى تشكيل حزب جديد (حزب وسط) فى العام الجديد فى حال تقديم موعد الانتخابات العامة للكنيست الحادى عشر ، وعلى اية حال فان هذه ليست هى المرة الاولى التى يلوح فيها وايزمن باعتزامه إنشاء حزب حيروت فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٠ ، فقبيل استقالته من وزارة الحرب عرض على موشي دايان (قبل وفاته) تشكيل حزب جديد برئاسة دايان ، وخلال الحملة الانتخابية للكنيست العاشر تردد مرارا أن عايزر وايزمن ينوى تشكيل حزب جديد مستقل ، لكن الانتخابات انتهت دون أن يرى الحزب المزعوم النور .

وفى الشهر الماضى سلطت مجلة «هعولام هزيه» الاسرائيلية التى يراس تحريرها «يورى افنيرى» ، الاضواء على عيزر وايزمن وعلى ما يجرى داخل حكومة بيجن وحزب حيروت من تنافس شديد على وراثة بيجن فى زعامة الاثنين . وقالت المجلة فى مقالة كتبها «شلومو فرنكل» : إن اريئيل شارون (وزير الحرب) واسحق شامير (وزير الخارجية) ، يكنان كراهية عميقة لعيزر وايزمن بسبب تخوفهما من احتمال عودته الى مسرح السياسة ، ولان مثل هذه العودة تعنى وضع نهاية لاحلامهما فى وراثة بيجن ، واضاف

«فرنكل» أن وايزمن يحظى بتأييد واسع داخل حزب حيروت ، مما يفتح المجال واسعا امامه لخلافة بيجن فى رئاسة الحكومة والحزب معا ، واستشهد الكاتب على ذلك بتأييد عدد كبير من رجالات حزب حيروت لوايزمن ، ومنهم دافيد ليفى (نائب رئيس الحكومة ووزير الاسكان حاليا) ، ويعقوب ميريدور (وزير المواصلات) ، ومردخاى تسيبورى ، وحاييم كوفمن ، وميشا ريسر ، ومئير شتريت .

استقالة وايزمن

ونعود الى عرض اسباب استقالة وايزمن من منصب وزير الحرب فى حكومة بيجن فى السادس والعشرين من ايار (مايو) من عام ١٩٨٠ ، ولو بشكل مكثف وسريع ، لما فى ذلك من خلفيات تساعد على فهم افكار وطروحات عيزر وايزمن ، فقد اشار وايزمن فى كتاب الاستقالة الى ان السبب فى تنحيته عن منصبه كوزير للحرب إنما يعود الى الخلافات «الآخذة بالاتساع والتعميق» بينه وبين مناحم بيجن وبقية الوزراء ، حول عدد من الموضوعات ، ولكنه تحاشى تقديم إيضاحات حول هذه الخلافات مكتفيا بالتلميح اليها من بعيد ، حيث قال مخاطبا بيجن «إن الكثير من الامور اصبح موضوع خلاف بيننا ، كما ان تحفظاتى قد ازدادت إزاء سياسة الحكومة بالنسبة لموضـــوع الســـلام ، وخطتهـا الاقتصادية واسلوبها بالنسبة للقضايا الاجتماعية ، وطريقة ادائها لعملها ، وقد احسست انه اخذ يتبلور فى باطنى إدراك بان طريقنا لم يعد واحدا واننى لن استطيع الاستمرار فى حكومتك» . اما الخلاف الوحيد الذى اوضحه ، وهو السبب المباشر للاستقالة ، فهو اعتزام الحكومة تقليص ميزانية وزارة الدفاع ، فقد اوضح وايزمن فى مذكرة الاستقالة انه يرفض مقترحات الطاقم الوزارى بهذا الشان ، لان «الجيش الاسرائيلى لا يمكن ان يدار وفقا لمتغيرات مؤشر الاسعار الشهرى ، ووفقا للتغيير الذى يطرا على مزاج اعضاء الطاقم الوزارى للشئون الاقتصادية ، وان معالجة ميزانية الدفاع تعكس جيدا طريقة اداء الحكومة لمهامها فى جميع المجالات » ، واما بالنسبة لموضوع الخلاف حول السلام مع مصر ، فقد أشار اليه وايزمن فى كتاب استقالته بشكل غائم مكتفيا باتهام حكومة مناحم بيجن بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام ، وبالتالى تفويت «فرصة نادرة» على حد وصف «وايزمن» .

اما مناحم بيجن فقد جاء رده على عيزر وايزمن لاذعا وحاسما وسريعا ، حيث اتهم مصر بعدم الرغبة فى السير فى طريق السلام بسبب مقترحاتها حول «القدس وجوهر الحكم الذاتى ومسالة الامن» ، مما يهدد امن ومستقبل اسرائيل على حد زعمه. ثم انتقل بيجن الى تسديد السهام الى وايزمن شخصيا ، حيث قال مخاطبا وايزمن :«إن شخصيتك غير مسئولة لدرجة غير معقولة ، فمن خلال حبك للظهور لدى دول اجنبية معينة ، اوحيت كانك الوحيد الذى يجرى وراء السلام فى حكومة تتالف ممن يسعون الى إفشاله ...» ، ثم انهى بيجن انتقاداته اللاذعة لوايزمن بقوله : «لقد اتيحت لك الفرصة ، وربما كنت بين الذين منحوك إياها ، بجعلك تشغل منصب وزير الدفاع ، الهام فى حكومة اسرائيل ، وفى فترة بالغة الاهمية ، لكنك بسبب قصر نظرك وطيشك ، حاولت إبعادى عن منصبى علنا ، وعن طريق التلفزيون اثناء وجودى فى الولايات المتحدة ، فى مهمة «قومية» هامة .. وقد حصدت فى مسعاك هذا فشلا ذريعا ، ولقد اعطيتك فرصة نادرة ، لكنك اضعتها بسبب طموحاتك التى تتجاوز حدود المعقول» !! «صحيفة عل همشمار ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٠» .

حقيقة الخلاف

لقد حاول عيزر وايزمن ان يصور نفسه داعية سلام مع مصر بصورة خاصة عن طريق إظهار رئيس الحكومة مناحم بيجن فى موقف المتصلب والرافض للسلام كفكرة اصلا ، ومن خلال هذه الصورة المزيفة فى الواقع ، اراد وايزمن ان يطرح نفسه «حمامة سلام» وسط «صقور» حكومة بيجن وربما صقور حزب العمل المعارض ايضا ، لكن يكفى لدحض صورة الحمامة هذه ، ان نشير الى ان عيزر وايزمن كان بين اولئك المسئولين الاسرائيليين الذين بلوروا «سياسة اليد القوية» التى انتهجتها اسرائيل وماتزال ضد المواطنين العرب سواء فى الاراضى المحتلة فى عام ١٩٤٨ او فى الاراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وهى سياسة القمع الدموى وهدم المنازل والاعتقالات الجماعية والطرد والابعاد خـــارج الضـــفة الغـــربية وقطـــاع غـــزة المحتلين ، ثم إذا كان وايزمن «حمامة سلام» بين «صقور الحروب» كما يزعم ، فلماذا يطالب بتخصيص المزيد من الاموال لوزارة الحرب ؟! كما ان من الاهمية بمكان ان نشير الى ان رئيس بلدية نابلس (المقال من منصبه) كان قد صرح بتاريـــــخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ ، ان وايزمن عندما كان وزيرا للحرب «هددنى شخصيا بالتصفية الجسدية اذا استمررت فى التعاون مع رؤساء البلديات الاخرين لمواجهة مشروع الحكم الذاتى» !!

اما حقيقة الخلاف بين وايزمن وبيجن ، فان كتاب الاستقالة ورد بيجن عليه ، جاءا ليشكلا الستارة التى تحجب اهداف الاثنين ونواياهما الحقيقية ، وهى نوايا صهيونية فى المحصلة الاخيرة وان اختلف الاسلوب فى محاولة تحقيقها . فقد اعادت صحيفة «هارتس» الاسرائيلية استقالة عيزر وايزمن من منصب وزير الحرب الى الخلاف فى وجهات النظر السياسية بينه وبين بيجن ، الشخصيتين المركزيتين فى الحكومة ، وبصورة خاصة الى اتجاه كل منهما للاستفادة من «وهم السلام» ، ففى الوقت الذى اعتبر فيه بيجن هذا الامر بمثابة ثغرة لتحقيق افكاره بخصوص ضم «جميع اجزاء ارض اسرائيل الغربية» الى اسرائيل عن طريق صفقة تبادلية ، راى وايزمن فيه فرصة لتثبيت وجود اسرائيل فى المنطقة عن طريق ما يصفه «بالاعتراف العربي» : وقالت «هارتس» : «إن إيجاد حـــل وسط بين وجهتى نظر بيجن ووايزمن امر لم يكن مستطاعا ، وكان لابد للتعايش الواهى بين رئيس حزب حيروت ، وبين الرجل الثانى فى الحركة ان يصل الى نهايته» .

افكار رجراجة

يشير عيزر وايزمن الى ان حرب تشرين الاول اكتوبر من عام ١٩٧٣ ، او «حرب يوم الغفران» بالتسمية الاسرائيلية ، كانت العامل الذى احدث تحولا فى تفكيره من الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، ويتحدث وايزمن فى كتاب اصدره بعد استقالته من حكومة بيجن فى ايار (مايو) ١٩٨٠ ، يتحدث عن الآثار التى خلفتها تلك الحرب لدى كل من العرب واسرائيل ، فيرى انها

عيزر وايزمن

صاحب الآراء الزئبقية

ضاعفت من ثقة العرب بانفسهم ، فيما كان الاسرائيليون يعتقدون ان العرب سيفكرون طويلا قبل ان يشنوا حربا جديدة ضد اسرائيل ، إلا ان حرب اكتوبر ، علمت العرب ان بامكانهم تحقيق بعض الانتصارات العسكرية فيما لو توفرت لهم بعض الشروط ، ولكن دون ان يتمكنوا من سحق اسرائيل وإلغائها من الخارطة كما كان يحلم بعض قادتهم سابقا . ويضيف وايزمن ان بين الدروس الاخرى التى استوعبها العرب من حرب «يوم الغفران» ان اسرائيل ليست تلك القلعة الحصينة التى لا يمكن اقتحامها ، وانها صاحبة جيش لا تحصى فيالقه المكونة من جنود متميزين . فقد اطاحت حرب عام ١٩٧٣ بوهم اسمه اسرائيل ، واصبحت هذه فى نظر العرب مجتمعا مفككا تتنازعه الخلافات الداخلية وينتظر «الدولة» مصير شبيه بمصير «الدولة الصليبية» ، ثم ان العرب كانوا يعتقدون ان عنصر الوقت يعمل لصالحهم ، وقد جاءت «حرب يوم الغفران» لترسخ هذه القناعة لديهم ، إضافة الى ان استخدام العرب لسلاح النفط قد جعل منهم قوة اقتصادية لا يستهان بها بعد اليوم ، كما جعلهم «النفط» ذوى نفوذ سياسي وقوة استراتيجية .

ثم يشير وايزمن الى ان العرب غيروا من تكتيلهم ضد اسرائيل بعد حرب اكتوبر، اى ان هذا التكتيك الجديد اتسم «بالاعتدال» قياسا على الفترة السابقة التى كانت تتسم بالتصريحات والخطب العنيفة ، ويقول ان العرب قادوا حملة «كاذبة» من اجل السلام ، فصوروا سياسة اسرائيل فى شكل متصلب !!! ، بينما ابرزوا سياستهم فى شكل معتدل ، وتوصلوا بهذا التكتيك الى اقناع حكام الغرب انه لابد من إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة !!

وفى نقطة اخرى فى الكتاب يتطرق وايزمن الى مستقبل اسرائيل فيشير الى ان اسرائيل لن تضمن المستقبل إلا إذا اقامت روابط مع العالم الاسلامى ، إذ ان من الخطا ان تعتمد اسرائيل على الاقليات فى الشرق الأوسط ، وفى هذا المجال يشير وايزمن الى علاقات اسرائيل مع من يصفهم «بالمسيحيين فى لبنان» ، فيعزو هذه العلاقات الى «اسباب انسانية فقط» !! وبالنسبة للحكم الذاتى (الفلسطينى) يقول وايزمن ان بيجن طرح مشروع الحكم الذاتى من منطلق رغبته فى الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية ، وانه راى فى هذا المشروع وسيلة لمنع الانسحاب الاسرائيلى من هاتين المنطقتين . ويصف وايزمن بيجن هنا بالمستبد برايه ، فهو ليس بالرجل الذى يمكن ان يتعامل مع زملائه من خلال ارائهم ، بل انه يسعى دائما لان يكون رايه هو الحكم الفاصل فى كل قضية ، مستغلا منصبه كرئيس للحكومة فى هذا السبيل . ويضيف وايزمن فى تصويره لشخصية بيجن بقوله ، إن بيجن هو من طراز رجال السياسة الذين لا يحتاجون الى مستشارين ويكفيه بعض المساعدين فقط ، لانه لا يتحمل اراء ومقترحات تتعارض مع رؤيته «التوراتية» للامور ، ثم يصف الوزراء فى حكومة بيجن ، بانهم فئة من الناس تفكر كما يفكر رئيسها بيجن ، وقد تعلموا ان يتجاوبوا مع رغباته دائما .

وبالاضافة الى افكار عيزر وايزمن هذه التى ضمنها كتابه «المعركة من اجل السلام» ، نجد ان الرجل يشير لماما الى القضية الفلسطينية ، ونعثر على عبارة له فى مقالة كتبها اصلا لموسوعة الجيش الاسرائيلى تحت عنوان «الجيش والأمن» فى عام ١٩٧٨ ونشرتها صحيفة «معاريف» بعد ثلاث سنوات ، حيث يقول إن رئيس اركان الجيش (فى عام ١٩٧٨) مردخاى غور رافقه فى إحدى زياراته للقاهرة ، للاشتراك فى مداولات اللجنة العسكرية المشتركة ، وقد اتضح هناك ان غور فهم بسرعة ان القضية الفلسطينية هى المشكلة الاساسية . وفى مقابلة مع التليفزيون الاسرائيلى بتاريخ ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٨١ حث وايزمن حكومة بيجن على تغيير سياستها لكى يصبح بالامكان إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وقال انه «لا يعارض اقامة كيان فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة» !! وفى نفس المقابلة قال وايزمن ايضا ان الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى «لم تحل شيئا» واضاف ان المشكلة النووية فى الشرق الأوسط ينبغى ان تحل باتفاق سياسى فى المنطقة .

وإذا اخذنا هذه الآراء على محمل الجد ، دون النظر الى خلفياتها ـ وهى توفر فرصة لتاكيد وضمان وجود اسرائيل من خلال اعتراف عربى بها ـ فان اراء عيزر وايزمن تبدو متطورة فعلا لكن بالاضافة الى تلك الخلفية التى اشارت اليها صحيفة «هارتس» بوضوح بتاريخ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٨٠ كما اسلفنا ، فان افكار وايزمن التى سبقت عام ١٩٧٧ ، تلقى اضواء اكثر سطوعا على مفاهيمه الرجراجة ، والتى لا يمكن تقييمها خارج اطار الانتهازية السياسية التقليدية ، فلقد كان وايزمن هو الذى مد اليمين الصهيونى فى حزب حيروت بالافكار التى ساعدت على انجاحه فى انتخابات عام ١٩٧٧ بعد تحالفه مع حزب الاحرار وتشكيل «الليكود» ، حيث كان «حيروت» يعانى من افتقاره الى نظرية بشان امن الكيان الصهيونى ، فجاء انضمام وايزمن اليه بما يحمل من افكار فى هذا الشان ، بداية انطلاق من نقطة العجز نحو تكوين نظرية أمنية لاسرائيل من وجهة نظر اليمين المتطرف . وقد اخذ هذا اليمين فعلا بالترويج لافكار وايزمن وتتمثل هذه الافكار باختصار فى قول وايزمن ان شمال سيناء اهم لاسرائيل من شرم الشيخ ، وان غزة اهم لها من ثيران ، وانه لا يجوز لمصر ان تعود الى سيناء ، إلا اذا جردت هذه من السلاح المصرى ، اما عن الضفة الغربية فان غور الاردن يشكل الحدود الشرقية لاسرائيل ، واما هضبة الجولان فان وايزمن يصر على نزع سلاحها ايضا إذا تحقق السلام .

ويفصح وايزمن عن افكار اخرى فى مقالته « الجيش والامن » التى اشرنا إليها انفا ، فيكشف النقاب في سياق حديثه عن غزو جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ ، عن عدد من المعلومات الجديدة والمهمة ، ومنها الأسباب الحقيقية وراء خلق واحتضان ظاهرة سعد حداد فى جنوب لبنان ، والسخرية من الدوائر الاسرائيلية التى حاولت تغليف ظاهرة حداد هذه بغطاء الدوافع الانسانية لحماية الجيب الانعزالي ، كما يكشف النقاب كذلك عن مخططات اسرائيلية لايجاد امتداد اقليمي اسرائيلي من جبل الشيخ وحتى البحر المتوسط ، والتاكيد على ان عملية اجتياح

الجنوب اللبناني في عام ١٩٧٨ ، كان يتوجب ان يشمل مدينة صور ايضا . وقد قال وايزمن عن احتضانه لسعد حداد : «إنني لم ابع للامريكيين وللعالم المرأة الحامل القادمة من جنوب لبنان لتلد طفلها المسيحي . وإنما اعتبرت الامر ضمانة افضل لامن مستوطنات مثل « مسغاف عام » و «معيان ـ باروخ ... ولم يكن من قبيل الصدفة انني التقيت بحـــداد منذ ولايتي (كوزير للحرب) » .







موشي ديان — اريل شارون — اسحاق شامير



من هـو ؟

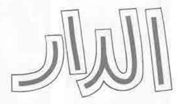
ولد عيزر وايزمن في تل ابيب في عام ١٩٢٤ ، وتجند في سلاح الجو البريطاني سنة ١٩٤٢ ، والتحق بمدرسة الطيران في روديسيا (زيمبابوي حاليا) . وبعد تسريحه من الجيش البريطاني ، درس العلوم الجوية في بريطانيا لمدة عام ، ثم أصبح في مطلع عام ١٩٤٨ طيارا في البالماخ (الجناح العسكري لعصابة الهاغاناه) ، وتوجه إلى تشيكوسلوفاكيا في مطلع ايار (مايو) ١٩٤٨ مع مجموعة صغيرة من الطيارين لدراسة طائرات ميسر شميدث ونقلها الى فلسطين ، ثم عين قائدا لاول سرب قتالي في سلاح الجو الاسرائيلي ، وبعد ذلك رئيسا لدائرة العمليات في سلاح الجو ، وتوجه إلى بريطانيا في عام ١٩٥١ ، حيث التحق بمدرسة القيادة والاركان التابعة لسلاح الجو البريطاني ، ولدى عودته عين (في عام ١٩٥٣) قائدا لجناح طائرات ميتيور المقاتلة ، واصبح خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ ، قائدا لجناح جوي مقاتل ، ثم عين في اعقاب تلك الحرب رئيسا للقسم الجوي في سلاح الطيران ، ثم قائدا لسلاح الجو في تموز (يوليو) ١٩٥٨ .

وبتاريخ ٢٧/٤/١٩٦٦ ، نقل من منصب قائد لسلاح الجو ، لكي يعين رئيسا لشعبة الأركان العامة ، وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، انهى خدمته في هذا المنصب ، وترك الجيش ، إلا انه استدعي الى الخدمة مرة ثانية لدى اندلاع حرب عام ١٩٧٣ ، وعين مساعدا لرئيس هيئة الاركان العامة ، ثم ترك الجيش مرة اخرى لدى انتهاء الحرب . وفي ١٧/٥/١٩٧٧ اسفرت الانتخابات العامة في الكيان الصهيوني عن فوز كتلة الليكود اليمينية باكثرية مقاعد الكنيست التاسع ، الأمر الذي ادى إلى خروج حزب العمل من الحكم الذي تولاه منذ قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، وكان عيزر وايزمن ثالث ثلاثة بين زعماء الليكود الذي تشكل من توحيد حزبي حيروت والاحرار ، وكان الزعيمان الآخران مناحم بيجن وسيمحا ايرليخ ، وإزاء هذه النتيجة المفاجئة ، اصبح عيزر وايزمن وزيرا للحرب في الحكومة التي شكلها مناحم بيجن عقب تلك الانتخابات ، وبقي يشغل هذا المنصب ، إلى ان انفجر خلاف عنيف بينه وبين رئيس الحكومة مناحم بيجن حول اسلوب « السـلام مع مصـر » وقد تفاقم ذلك الخلاف إلى حد دفع عيزر وايزمن إلى تقديم استقالته من منصبه كوزير للحرب ، وذلك بتاريخ ٢٦/٥/١٩٨٠ ، وانصرف منذ ذلك الوقت إلى اعماله التجارية الخاصة (استيراد وبيـــع السيارات) .

بين الجمود والانفتاح !!

لقد طرحنا افكار عيزر وايزمن ، او بالأصح بعض مفاهيمه وافكاره ، من باب التعريـــف بالرجـــل ، باعتبـــاره احـــد الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في تاريخ الكيان الصهيوني ، وباعتباره احد الشخصيات المطروحة كبديل لمناحم بيجن في رئاسة الحكومة الاسرائيلية ، ولا شك ايضا أن التعريف بعيزر وايزمن يبدو امرا في غاية الاهمية في ضوء الشعار الصيني القديم « اعرف عدوك » ، ويبقى ان نشير بحذر شديد إلى ان ما توحيه افكار ومفاهيم عيزر وايزمن «المستحدثة» وخاصة بعد عام ١٩٧٧ ، من «انفتاح» ليست في الواقع إلا تعاملا اكثر عقلانية مع الآفاق الجديدة التي طرات على الصراع العـــــربي ـ الصهيوني منذ حرب اكتوبر المجيدة في عام ١٩٧٣ ، وبقدر ما تمثل من خروج على «الدوجمية» التي يتميز بها مناحم بيجن وأريئيل شارون واسحق شامير ويوسف بورج ، وربما كان في نشاة وايزمن المختلفة عن هؤلاء سبب بين اسباب اخرى عديدة في تخلي وايزمن عن الدوجمية والتعصب الأعمى للافكار التي اشتهر بها حزب حيروت ، حيث يقول بوري افنيري في مقاله نشرتها مجلة « ويرلد رفيو في اذار (مارس) ١٩٧٩ » ، يقول عن عيزر وايزمن إنه نشا وترعرع بين العرب الذين يشكلون جزءا من عالمه ، اما بيجن فلم تطا قدماه ارض فلسطين إلا عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره ، مما جعل العرب عنصرا غريبا تماما بالنسبة إليه ، إضافة إلى اختلاف في العقليتين ، حيث يعلق بيجن اهمية كبرى على العبارات والنصوص والصيغ ، ويبحث دائما عن معنى مختبىء وراء لفظ أو عبارة ... اما وايزمن فهو ينظر دائما الى صلب الموضوع ولا صبر لديه على القضايا الجانبية .

وعلى اية حال ، فخـــير وصـــف يمكن ان يوصـــف بـــه عيزر وايزمن هـــو انه صـاحب الآراء الزئبقيـــة .



الدار

قصة بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

انتهى ترتيب الدار وامتلات الغرف باثاثها . بعض هذا الاثاث كان مودعا عند اهل الزوجة وبعضه كان فى منزل تاج الدين ، الاخ الشقيق للاستاذ محيي الدين . إنه اثاث لائق على قدمه ، لم يحتج لغير نفض الغبار عن قماش مقاعده ومسح خشب الخزائن بخرقة مبلولة لياخذ مكانه فى البهو ، وغرفتي النوم ، وغرفة جلوس الأسرة ، كان عشر سنوات لم تنقض على اخراجه من هذه الحجر وإيداعه في منزل شقيق القاضي المتقاعد ومنزل حميه .

قالت ام بشار ، زوجة الاستاذ محيي الدين ، تخاطب ابنها الذي انتهى من غسل يديه وعاد إلى غرفة الجلوس :

ـ هذا لتتعلم يا ولدي ان الرزق نصيب مقدر ، وان تستفيد مما تتعلم .

كان بشار ، ولدها ، قد عاد إلى الدار منذ قليل ، فرحا بتسجيل اوراقه في المدرسة الثانوية المجاورة ، في الصف الحادي عشر وإن كان اكثر اترابه من سنه ينتسبون الى صف البكالوريا . لم يرد على كلمات امه ، ولعله لم يفهم ما تقصده منها ، وقام ليزيح الطاولة الواطئة من مكانها الجانبي كي تتوسط الغرفة . وتولى الأستاذ محيي الدين ، القاضي المتقاعد ، التعليق على كلام زوجته وقد خيل إليه ان لهجتها فيه لا لا تخلو من مرارة . قال :

ـ لنحمد الله على كل حال يا امراة . الأولاد بصحة جيدة ، ونحن مستورون .

قالت : وهل تكلمت بشيء لا يرضي يا ابا بشار ؟ اردت لولدنا ان يستفيد من اخطاء ابويه ، فلا يقع فيها .

قال الأستاذ محيي الدين ، ببعض الحزن : شكرا يا ام بشار ان اشركت نفسك ، ولم تقولي خطا ابيه وحده .

قال بشار ، وقد اثرت به لهجة ابيه فاراد ان يسري عنه : انتما لا تحسبان لي حسابا . الدار لا تعجبكما وانا مسرور بالعودة إليها . غرفتنا ، انا واختي ، لاتزال على حالها ، وإن وجدتها اصغر مما كنت اتصور . لا ، لم تصغر الغرفة ... نحن كبرنا . كم كان عمري ، يا ابي ، لما تركنا الدار والبلدة الى الخليج ؟ .

فاضت نفس الاب بالعطف . واحس ببعض الراحة ان ما يجرحه هو وزوجته من امر الدار لا يقلق ابنهما البكر . قال :

ـ كان عمرك سبع سنين . وانت الآن فى السابعة عشرة . عشر سنوات من عمرنا قضيناها في تلك البلاد البعيدة .. الطيبة . لا يمكنني أن اقول عنها إلا انها طيبة .

قالت ام بشار : الحق معك . إنها طيبة ، ولا ذنب للناس هناك فيما جرى لنا هنا ، كنت انت مقدرا عندهم . فهم لا يذكرون القاضي المستشار إلا بالثناء والاحترام . وكانت نساؤهم يفسحن لي صدر المجلس فى الاستقبالات والاعراس قائلات : اوسعن لزوجة المستشار .. اكرمن زوجة المستشار .

قال بشار ، مقاطعا امه ، فى خبث : والحر يا امى ، والرطوبة ، وزوابع الغبار ..

قالت الام : هذا لم يكن بيدهم . المنزل الذى خصصوه لسكنانا كان من احسن المنازل . وراتب ابيك ...

وسكتت للحظة ، فاكمل الاستاذ محيى الدين الكلام قائلا ، كانما كان يحدث نفسه :

ـ لم تكن لي شكوى من ناحية الراتب . اعطونى المتفق عليه وفوقه علاوات . وزاد راتبى عاما بعد عام زيادة ما كنت اتوقع الحصول عليها لو أننا ظللنا هنا . وما اقتصدته . فوق ما صرفناه . كان كذلك اكثر مما كنت اتوقع . ما ذنبهم هناك فى الجنون الذى أصاب الدنيا هنا ، حين ارتفع ثمن كل شيء ؟

قال الصبى ، بمرح : إلا ثمن الانسان . انت قلت هذا اكثر من مرة .

فرد الأب جادا : لعلى لم اقصد حياة الإنسان يا بنى ، بل قصدت جهده . وليس جهد اى انسان ... بل الانسان الشريف .

فتدخلت الزوجة قائلة : كانك نادم على انك كنت انسانا شريفا يا ابا بشار .

قال القاضي المتقاعد ، بلهجة احتجاج : انا ؟ متى سمعت منى هذا ؟

قالت متضاحكة : لا تغضب منى . وكذلك لا تحمل هما عنى . اعرف أن نصف ما اصابنا كان من فعل الظروف التى ما لنا قدرة عليها ، ونصفه لانك تصرفت عند سفرنا ، قبل عشر سنين . تصرف رجل شريف .

وهنا قال بشار ، مخاطبا ابويه معا : قبل لحظات قال ابى انى بلغت السابعة عشرة . صرت رجلا . ولكنكما تعاملانى كطفل . وتتكلمان امامى بكلام مبطن . ما هو هذا الهم الذى يشغلكما ويحاول كل منكما ان يحمله عن الاخر ؟

تطلعت المراة الى زوجها بنظرة ذات معنى ، ثم التفتت الى ابنها وقالت :

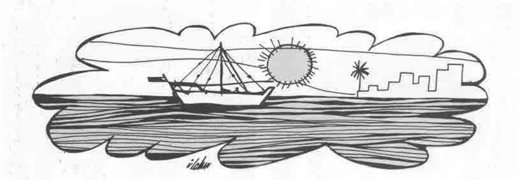
ـ غير معقول أن لا تكون عرفت همنا يا بشار يا ولدى .

اضاف الأب موضحا : همنا اننا ، بعد عشرة اعوام من التغرب ، ومن العيش فى قوة ومناخ لا يرضى ، عدنا الى دارنا بالذات .

قال بشار : وهل هذا هم ؟ ما دخل عودتنا الى دارنا بكونك رجلا شريفا يا ابى ؟

زفر الأب وظل ساكتا بينما قالت ام بشار : اسمع يا ولدى . كنا نسكن هذا البيت ، ونملكه ، حين كلفوا اباك بمهمة . اصدروا قرارا بنقله قاضيا معارا الى البلد الخليجى الذى تركناه منذ شهر ...

قال الأستاذ محيى الدين : بل قولى له



الحقيقة ، انا المسئول . فكرت بانكم ستكبرون ، وستصبح الدار صغيرة علينا . وكنا فوق ذلك فى ضائقة . ولاحت لي فرصة لتحسين مواردنا فالتمست قبول طلبى . انا الذى تقدم الى الوزارة بطلب الاعارة .

قالت : لا فرق بين ما اقوله انا وما يقوله ابوك . كان علينا دين . فلما قبل طلبه قال لي ان الدنيا فيها حياة وممات ، وانه لن يسافر الى ذلك البلد البعيد وفى عنقه قرش لانسان ، ولهذا فانه ينوى بيع الدار ليفى ديونه . دائنوه كانوا من اقاربنا ، ولا يصعب عليهم الانتظار الى ان تتيسر الامور ، إلا أن اباك يا بشار قاض ... رجل شريف .

وعلى الرغم منها تسرب عرق من المرارة الى لهجتها وهى تلقظ جملتها الاخيرة . فقال القاضى المتقاعد كالمعتذر عن ذنب اتى به :

ـ من يملك معرفة المستقبل وما يجرى فيه ؟ المستقبل بيد الله . تصرفى فى تلك الأيام ، يا ام بشار ، كان معقولا . غير المعقول هو ما جرى فى هذه السنين العشر.

وهنا قال الصبى : ولكننا عدنا الى دارنا القديمة . انا ، ومعى سعاد وهناء ، مسرور بالعودة اليها وباننا بعدنا عن غبار تلك البلاد الخانق وعن رطوبتها الفظيعة . إذن انتم لم تبيعوا الدار قبل عشر سنوات .

قالت الام : بل باعها ابوك يا ولدى ، ووفى ديونه .

قال الأب : انا لا الومك اذا لم تعجبك تلك السنوات العشر . ولكننا اضطررنا الى الهجرة . كان علي ان افى الدين ، كما كنت احلم بان استبدل هذا البيت بمنزل اوسع إذ بدأ يضيق بنا ، امك وانا وانت واختيك .

قالت الامراة ، مكررة ما قاله زوجها فى اول حديثهما مع صبيهما :

ـ الحمد لله على الصحة والستر يا رجل .

قال الأستاذ محيى الدين : بل ليعرف بشار . ألم يقل انه اصبح رجلا ؟ اسمع يا بنى . بعنا الدار وعشنا عشرة اعوام فى الغربة التى تحملناها نحن وضايقتكم ، انتم أولادنا . لم يسهل عليكم العيش فى حرارة تلك البلاد ولا تقبلتم رطوبة الجو فيها ولا غبرتها الخانقة . مرضت انت ، ومرضت اختاك ، اكثر من مرة . ومع ذلك بقينا هناك اكثر مما كنا نتوقع . كل ذلك طمعا بان نعود بكم الى دار اوسع وحياة ارغد . وجمعنا يا بنى مالا . كنا نقدر اننا جمعنا ثروة كبيرة . ولكننا حين عدنا وجدنا فى بلدنا التى غادرناها منذ عشرة اعوام ازمة لم تكن فيها عند مغادرتها ...

فسال بشار : اى ازمة يا ابى ؟

فاجابت الام قائلة : ازمة المساكن .

قال الصبى : ولكنى ارى فى كل مكان عمارات وبيوتا جديدة . بعضها جاهز للسكن وبعضها قيد البناء .

قال الأب : الصحيح ان الازمة ليست فى وجود الدور وإنما فى غلاء تكاليف بنائها وغلاء اثمانها . بحثنا عن الدار التى كنا نحلم بشرائها لتتسع لنا ولكم يا اولادى ، ولكننا لم نجدها . او اننا وجدناها ووجدنا معها ان الثروة الوفيرة التى جمعناها فى تلك السنوات الكثيرة لا تكفى ثمنا لها . وفى اخر الامر ...

وسكت الاب فردد بشار جملته الاخيرة سائلا : وفى اخر الأمر يا ابى ؟

فلم يرد الأستاذ محيى الدين . وكان زوجته وجدت ان عليها ان تتولى الجواب ، فقالت وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عطوف :

ـ صرنا نبحث عن دار تؤوينا ولا تضطرنا الى النزول ضيوفا على الاقارب . وفى اخر الامر وقعنا على بيت يتلاءم وما استطعنا ان نجمعه فى سنوات الغربة العشر . ولا تحسب يا ولدى اننا وجدناه بسهولة . تعذبنا كثيرا حتى وقعنا عليه .

قال بشار : واين يقع البيت ذاك ؟

قال الاب : الم تعرف بعد ؟ انه هذه الدار . الدار التى نحن فيها الآن . بعناها قبل ان نسافر وعدنا اليوم فاشتريناها ... بغربتنا وشقائنا فى عشرة اعوام كاملة !

تطلع الصبى فى وجه ابيه لحظة ، ثم اطرق براسه وردد بصوت خفيض كانه يحدث نفسه :

ـ عشرة اعوام كاملة !

اما الاب فتابع يقول : عندما تتذكر امك انى بعت الدار قبل سفرنا لاقضى ديونى وتلومنى على ذلك فالحق معها . انها قاست من الغربة اكثر منى . ولكنى لو لم اتصرف كما يتصرف الشرفاء من الناس للامتنى ايضا . انا اعرفها .

فاعترضت ام بشار قائلة : ليس كل الشرفاء يصيبهم ما اصابنا . لعلها القسمة والنصيب ... الحظ .

وهنا قام ابو بشار ، الاستاذ محيى الدين القاضى المتقاعد ، من مكانه وخطا فى غرفة الجلوس كمن يريد ان يختم الكلام فى الموضوع . وقال وهو يتصنع الابتسام :

ـ الحظ .. ربما . ولعله حظ الشرفاء يا ام بشار . انفقنا من عمرنا عشر سنوات فى الغربة والعناء ، ورجعنا الى حيث انطلقنا.

هذا ليعلم بشار اى هم لنا فى عودتنا الى هذه الدار . انه مسرور بالعودة اليها ، وهذا ما يجعلنا نحمد الله . نحمده على ما قسم لنا ، وعلى الصحة ، يابنى ، والستر .



جون كيندى

جمال عبد الناصر

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي

بقلم: جمـــال الكـنـاني

لولا قناعتى بان مجلة الدوحة الغراء تلتزم البعد عن السياسة تماما ، لكان لى شان اخر فى معالجة الوثائق التاريخية التى يحتويها هذا المقال ، ولقدمناها دليلا ماديا على الفرق الشاسع بين شخصيتين مصريتين كان لهما على السياسة العربية اثر عميق .







ديجول

نيكسون



باتريس لومومبا

ايزنهاور

داج همرشلد

كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى نيويورك أيام الحملة الانتخابية للرئاسة ، وفيها وقف نكسون مرشح المحافظين امام كيندى مرشح الديموقراطيين .. ونتيجة انتخابات الرئاسة الامريكية ، التى تتحكم فيها اسرائيل دائما ، تهم مصر والعالم العربى بطبيعة الحال ، ورتبت شبكة التليفزيون الامريكى سلسلة مناظرات بين مرشحى الحزبين ، وحرص جمال عبد الناصر على متابعة تلك البرامج .. واتفق رايه إذ ذاك مع اراء اغلبية الامريكان الذين حكموا بتفوق كيندى فى تلك المناظرات ، بان كيندى هو الذى يفوز بالرئاسة ، وقد فاز فعلا .. وكان عبد الناصر رغم اعجابه بشخصية كيندى ، يتمنى ان يفوز نكسون الذى كان نائبا للرئيس ايزنهاور ايام العدوان الثلاثى على مصر ، وكان لايزنهاور فى تلك المناسبة موقف مشرف .

جاء نجاح جون إف كيندى وبدء رئاسته فى اعقاب الخلاف الذى دب بين عبد الناصر وخروشيف حول الوحدة العربية ، مما اتاح الفرصة إذ ذاك للولايات المتحدة لاعادة بناء بعض ما تهدم من الجسور السياسية بينها وبين مصر ، واصدرت الولايات المتحدة القانون رقم ٤٨٠ مما مكن الحكومة الامريكية من ارسال القمح الى مصر فى الفترة بين ٥٩ – ١٩٦٠ ..

استمع عبد الناصر لخطاب الافتتاح الذى القاه كيندى فى يناير ١٩٦١ فى الاحتفال بتنصيبه رئيسا ، واعجب بما قال الرئيس الشاب وخاصة اشارته الى الجيل الذى ولد فى القرن العشرين وقدرته على تفهم شئون القرن العشرين ، كما اعجبه قول كيندى لكل مواطن امريكى « لا تسأل عما يمكن لوطنك ان يعطيك ولكن اسأل عما يمكن ان تعطيه انت لوطنك » .

وظهرت فى الجو شائعات ، وتسربت الاخبار لعبد الناصر فعرف ان الاسرائيليين فرحون مغتبطون لانتخاب كيندى لانه قطع لهم وعودا سرية بمدهم بالسلاح بعد ان كان ايزنهاور من ناحية وديجول من ناحية قد عوقا ارسال الاسلحة الى اسرائيل .. ولعب « الفار فى عب » جمال وساورته الشكوك ولكنه كان مضطرا الى بناء نوع من العلاقة مع كيندى ..

• •

فى ٢٠ فبراير ١٩٦١ كتب عبد الناصر اول خطاب منه لكيندى . فكان الحلقة الاولى فى حوار استمر طويلا بين الرجلين .. كان موضوع هذا الخطاب هو مقتل لومومبا الذى سبب حزن عبد الناصر وغضبه وايمانه بان امريكا لعبت فيه دورا .. واتسم الخطاب بالدبلوماسية ولكنه لم يدع مجالا للشك فى عمق شعور كاتبه إذ قال :

« الولايات المتحدة مسئولة الى حد كبير عن نجاح الامم المتحدة .. وكثيرا ما يكون موقفها من تلك المنظمة عاملا حاسما يقرر فشلها او نجاحها .. من ذلك ان الامم المتحدة فشلت فى حل قضية فلسطين لان امريكا لم تقدم لها اى عون او مساعدة . ومن ناحية اخرى ، احرزت الامم المتحدة فوزا فى اثناء ازمة السويس عام ١٩٥٦ لان امريكا لم تتخل عن مسئولياتها تجاه المنظمة الدولية وغضت نظرها عن العلاقات السيئة اذ ذاك بين مصر وامريكا .

ومن المؤسف حقا اننا لا نستطيع ان نصف الدور الذى لعبته امريكا فى الكونغو على نحو ما وصفنا دورها فى السويس حين وقفت بجانب المبادىء دون النظر عن الصداقات والعداءات ..

ورد كيندى على عبد الناصر فى ٣ مارس ١٩٦١ بخطاب اتسم بالاحترام والمجاملة دون ان يتجرد عن الحزم .. وشرح الرئيس الامريكى نواحى الاتفاق بين وجهتى النظر بصورة عامة وقال « من واجب امريكا ان تلعب دورا اكبر ، وليس اصغر ، فى إعادة الهدوء للكونغو . كما يجب إبعاد الكونغو عن نطاق الحرب الباردة .. ولعلكم تتفقون معى كذلك فى ان الاغتيال السياسى سواء اكان موجها للمستر لومومبا واتباعه ، او كما حدث مؤخرا ، لخصومه على ايدى جماعة ستنالى فيل ، يجب ان يخضع لتحريات وتحقيق لا هوادة فيه وان نشجبه بكل قوة ونحن متفقون كذلك على ان اى عون يصل الى الكونغو عن غير طريق الامم المتحدة ، سواء اكان من الرجال او المال او المواد يجب ان يعتبر تدخلا بالغ الخطورة ، ويجب تحريمه تحريما باتا » .

ثم قال : « ولا اكون صريحا اذا انا لم اذكر ان الاعتراف باى هيئة غير الحكومة الشرعية التى اعترفت بها الامم المتحدة يعتبر فى راينا نيلا من كرامة المنظمة الدولية وحدا من سلطتها ، كما انه يزيد من احتمال نشوب حرب اهلية وما يتبع ذلك من تدخل اجنبى »

بين جمال عبد الناصر وجون كيندي



لقد اكدتم ياسيادة الرئيس « المسئوليات الخاصة » التى ترون انها تقع على عاتق حكومتى بالنسبة لصيانة دستور الأمم المتحدة . واقترح بدورى ان دولا اخرى وخاصة الدول غير المتحازة ذات النفوذ ، فرادى وجمعا ، عليها مسئوليات ثقال وأمامها فرص خاصة .

الولايات المتحدة كفيلة برعاية مصالحها ولكن نظام الامم المتحدة هو الذى يضمن الامن لكل شعب . والدول التى تعتمد على هذا النظام الى حد كبير ، كوسيلة لصيانة كيانها واستقلالها يجب ان تلعب دور القيادة فى تجسيم مساندتها الكاملة وابرازها لاستمرار عمل الامم المتحدة فى الكونغو . وبهذه الطريقة وحدها يمكن حل مشاكل الكونغو والمحافظة على الامم المتحدة كقوة كبرى بناءة تدعم السلام والتطور المنتظم الرتيب فى شئون العالم . وانا ارحب بكل لفتة تشير الى مساندتكم الشخصية لانجاز هذه المهمة العاجلة ..

انا اقدر ما بعثتم الى به من تمنيات طيبة وابادلكم إياها » .

• •

كانت الرسائل المتبادلة بين عبد الناصر وكيندى بعد ذلك ، كما كانت اللقاءات بين عبد الناصر وداج همرشلد ، هى الترمومتر الذى تقاس به العلاقات بين مصر وامريكا وكانت درجة حرارتها ترتفع حينا وتنخفض احيانا ..

اهم الاحداث التى تلت ما وقع فى الكونغو . كانت قيام بعض رعايا كوبا المقيمين فى الولايات المتحدة ، تلقائيا ، او بايعاز من الحكومة الامريكية او بموافقتها المستترة . بحملة فاشلة لغزو بلادهم بقصد الاطاحة بنظام فيديل كاسترو .. وكان كاسترو يتمتع اذ ذاك بتاييد عبد الناصر وتيتو ..

وكتب عبد الناصر خطابا لكيندى يعلن تأييده لكاسترو .. ورد كيندى على عبد الناصر فى ٣ مايو ١٩٦١ بخطاب جاء فيه :

« لم يتهم احد قواتنا الامريكية المسلحة بالتدخل فى الموقف الكوبى . إذ لو ان هذه القوات تدخلت ، لكانت النتيجة مؤكدة لاشك فيها .. وما الاحداث المحزنة التى وقعت فى كوبا مؤخرا الا مثلا اخر ، من عديد ما ورد فى التاريخ ، على ان عددا من المواطنين ممن يقدسون الحرية ، حملوا السلاح لتخليص وطنهم وانقاذه من الظلم والطغيان والاضطهاد ..

لقد جازف نفر قليل من الوطنيين الكوبيين الذين صمموا على اعادة الاستقلال السياسى لوطنهم ، بحياتهم وواجهوا جيشا يفوقهم عددا وعدة بدرجة ساحقة فقتل منهم من قتل واسر وهرب من اسر او هرب لينضم لحركة المقاومة التى تعتصم بالجبال لمواصلة الكفاح .

ولسوف تواصل حكومة الولايات المتحدة بذل اقصى جهد لضمان عدم اشتراك اى امريكى فى اية عملية تجرى داخل ارض كوبا ، لكن الامريكيين وهم شعب يقدس الحرية ، لابد يتاثرون بما حل بجيرانهم فى كوبا من ضيق وبؤس . ولا يسع الامريكيين الا ان يتعاطفوا مع اولئك الذين اضطروا لاستعمال القوة لانقاذ وطنهم من العسف والطغيان .

وانت ، سيدى الرئيس ، وبوصفك قائدا ثوريا تعرف تماما تلك العوامل والظروف التى تستطيع اثارة الرجال وتغيير وجه الشعوب .. وهناك ادعاءات باطلة بان هؤلاء الاحرار الذين بذلوا جهدهم للاطاحة بنظام كاسترو ، ما هم الا مرتزقة اجراء .. ومع ذلك فان اخر رسالة صدرت عن قائد هؤلاء الثوار ، كانت رده على شخص ساله عما اذا كان يطلب مساعدة للجلاء عن ارض كوبا والعودة الى امريكا فقال « كلا .. لن ارحل عن هذا الوطن » .. ابهذا يجيب مرتزق اجير ؟ هذه اجابة وطنى غيور .

ولاهل كوبا انفسهم ان يتخذوا القرار الاخير . وانا وغيرى من الامريكيين على ثقة بان الكوبيين لابد يكسبون النضال من اجل الحرية .

اعضاء الثورة الكوبية التى اعطت السلطة لكاسترو قد غدروا بالاهداف التى اعلنتها ثورتهم وكانت اهدافا نبيلة تعاطف معها الامريكيون .. وبلغ الغدر ان سجون كوبا قد امتلات اليوم كما لم تمتلا من قبل بالمساجين السياسيين .. ولقد اعدم اكثر من ٦٠٠ شخص دون النظر الى شرع او قانون .. وهذا العدد يتزايد يوما بعد يوم . واكره اكثر من ١٠٠٠٠٠ كوبى على الهرب من بلادهم بسبب انتهاك حقوق الانسان منذ تولى السيد كاسترو حكم البلاد .

والثورات الوطنية الصادقة مثل الثورة المصرية ، لا تخلف مثل تلك الاثار السيئة .. الثابت ان عدد من سجن او نفى او انضم للمعارضة من بين اعضاء اول وزارة الفها السيد كاسترو نفسه يبلغ اليوم ٢٣ وزيرا ، يضاف اليهم وزير اخر تم اعدامه .. والأمريكيون لا يستطيعون اخفاء عطفهم وتعاطفهم مع من يقاومون مثل هذا الطغيان .

ولقد حدث لاشك تدخل فى شئون كوبا الداخلية .. فهناك دولة عظمى تعادى العالم الحر ، سعت عن طريق كاسترو ونظامه الى استغلال امال اهل كوبا ومطامحهم . لتحقيق اهدافها الاستعمارية فى الحرب الباردة . ولعلك تذكر إنى قلت للشعب الامريكى يوم ٢٠ ابريل اننا غير مستعدين لقبول اية نصيحة بشأن « التدخل من قوم طبعوا بصماتهم على شوارع بودابست الدامية الى ابد الابدين » ..

ورد جمال عبد الناصر على ذلك الخطاب بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦١ وجاء فى رده :

« دعنى اخاطبك من وحى حديث شريف ورد عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم معناه ان صديقك هو الذى يخلص لك وليس هو الذى يؤمن بك فقط .. بعبارة اخرى انا ارى فى الظروف الحاضرة ان من واجب من يهمهم مستقبل العالم ان يتبادلوا الاراء فى وضوح وصراحة واخلاص .. وانا استهل خطابى بهذه الديباجة لكى اتحرر من قيود اللغة الدبلوماسية التقليدية » .

وجاء فى رسالة عبد الناصر بعد ذلك ..

« لاحت لى فرصة لقاء الدكتور فيديل كاسترو ، رئيس وزراء كوبا ، مرتين . وتحدثنا طويلا ولمست اخلاصه لما عبر عن رغبته فى تاسيس علاقات ودية بين بلاده وبلادكم وهى جارتهم القوية المتقدمة .

وشعرت ان مشكلة العلاقات بين بلادكما تكمن فى الحاجة الى دراسة اعمق لمشاكل الشعوب التى تصبو الى بناء حياتها الاستقلالية . فى الوقت الذى تمر بتاريخها لحظة تفجر ثورى ، وتمتزج فى اتجاهها رواسب الماضى بامال المستقبل فى جو يتاثر بعناصر مقاومة التغير الثورى من ناحية وظروف الحرب الباردة وما ينجم عنها من توتر عالمى من ناحية اخرى .

والمالوف فى مثل هذه الظروف ان اى تدخل اجنبى يزيد الموقف تعقيدا ، وخير ما يمكن عمله هو السماح لتلك الشعوب

ـ دون التدخل فى شئونها ـ بتنظيم نفسها وشق الطريق الذى تختار بمحض إرادتها ، وهذا ما تستطيع هذه الشعوب انجازه بنفسها دون عناء .

كان أملى عندما تسلمتم زمام الحكم ، أن تقوم حكومتكم بمحاولات جديدة نحو كوبا لا تتأثر بالظروف السيكولوجية السابقة التى سادت العلاقات بين قطريكما قبل فترة رئاستكم وخاصة واننا لسنا استعدادا من جانب حكومة كوبا للاستجابة لمثل تلك المحاولة .

ومن واجبى هنا أن احيطكم علما بما شعرنا به فى الجمهورية العربية المتحدة وما احس به غيرنا فى انحاء العالم وهو ان الولايات المتحدة لم تكن بعيدة تماما عن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى كوبا . وهذا راى لا يحتاج الوصول اليه اى عناء فمجرد النظر الى الصحافة الأمريكية او الاستماع الى التصريحات الرسمية لبعض موظفى الحكومة الامريكية . تكفى للكشف عن مدى التدخل الامريكى فى الأحـــداث الكوبية والكشف عن ادق تفاصيل ذلك التدخل .

وانتم لاشك تدركون فداحة الصدمة التى اصابت الراى العام العالمى ، ولكنى اشعر ـ بكل اخلاص ـ ان علاج تلك الصدمة لا يكون بانكار ما حدث ولكن بمواجهته فى صراحة والعمـــــل على ان لا تتكرر مستقبلا .

ولقد اعجبت كثيرا بشجاعتك المعنوية لما أعلنت انك تتحمل مسئولية الموقف الذى اتخذته حكومتكم تجاه كوبا ، وشهدنا بعد تلك نقطة تحول نبعت مما بدا لنا فى وقت ما كانه اندفاع من السياسة الامريكية نحو صراع سافر لا مناص منه مع حكومة كوبا . ونسجل هنا كذلك تقديرنا لعدم تدخل القوات الامريكية المسلحة فى احداث كوبا وتصميمك فى كل تصريحاتك على عدم تدخلها . وفى رأينا ان هذا الاتجاه انقذ الموقف فى كوبا من تدهور سيىء العواقب وانقذ السلام العالمى من مأساة ظن ان تفاديها امر مستحيل » .

● ●

ومرت الايام وتعاقبت ونسي كينيدى او لعل الاحداث العالمية الأخرى انسته ما كان فى كوبا ، ثم انه لم يستطع مقاومة جذب اكبر مغنطيس سياسى فى العالم وهو الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط فكتب لعبد الناصر فى ١١ مايو ١٩٦١ خطابا يعبر فيه عن صداقته ومساندته للدول العربية . ولكن بيت القصيد فى الخطاب كان الخلاف العربى الاسرائيلى .. قال كينيدى :

« انا ادرك ان القضية تنطوى على مشاعر واحاسيس ومعتقدات عميقة راسخة وان حل المشكلة صعب عسير .. على ان الحكومة الامريكية ومعها الشعب الامريكى تؤمن بامكان إيجاد تســـوية انسانية ، وهى مستعدة لبذل جزء من المجهود وحمل نصيب من المتاعب التى تصحب مثل تلك التسوية . ذلك اذا رغبت الأطراف المعنية رغبة اكيدة فى اشتراكنا .

ونحن راغبون فى حل المشكلة المأساوية للاجئين الفلسطينيين على اساس اعادتهم الى وطنهم او تعويضهم عن ممتلكاتهم ، وفى ايجاد حل مناسب لمشكلة تنمية موارد مياه نهر الأردن وتحقيق تقدم فى نواح اخرى من نواحى هذه المشكلة العويصة المعقدة » .. وكان فى الرسالة كلام معاد يؤدى نفس المعنى .

ورفض عبد الناصر ذلك « الطعم » اولا فلم يرد على الخطاب حتى يوم ١٨ اغسطس ١٩٦١ ، معتذرا عن التأخير بحجة ان لخطاب كينيدى من الاهمية ما يبرر الروية فى فحصه والتأنى فى صياغة الرد .. وكان الرد طويلا فيه وصف مسهب لموقف العرب من القضية الفلسطينية . وصاغ جمال رده صياغة دبلوماسية دون ان يترك مجالا للشك فى ارائه وخاصة فيما يتعلق بالسياسة الامريكية ، وقال ان وعد بلفور لليهود بوطن قومى فى فلسطين كان ضربا من الاحتيال ، تعاقب كل محاكم العالم من يرتكبه وان ذلك الوعد الخسيء يعطى الشيء لغير مالكه دون حق .. ثم قال « ومن المؤسف ، سيادة الرئيس ، ان الولايات المتحدة القت كل ثقلها فى هذه القضية ضد القانون وضد العدالة .. ويرجع السبب فى ذلك الى عوامل داخلية ، اهمها محاولة الحصول على اصوات اليهود فى انتخابات الرئاسة وهى محاولة لوثت السياسة التى يتبعها فى الشرق الأوسط اغلب رؤساء الحكومة الامريكية .. ولقد قرات ان سلفك المستر هارى ترومان ، وهو الذى وضع كل ثقله وبالتالى ثقل الحكومة والشعب الامريكى ضد حقوق العرب المشروعة ، لم يجب على من حاولوا اقناعه بتعديل وجهة نظره ، الا بسؤالهم فى بساطة « هل للعرب اصوات فى الانتخابات الامريكية ؟ » ..

واستطرد عبد الناصر فى حديثه وشرح فى خطابه كيف احتل الاسرائيليون مساحات شاسعة من أرض فلسطين تحت ستر الهدنة التى فرضتها الامم المتحدة ، واشار الى اخطار التوسع الصهيونى وكيف تستعين القوى الامبريالية باسرائيل وتستعملها أداة ضد الوحدة العربية .. وقال لكينيدى إنه إنما يتحدث بصراحة ويعتـــذر إن تجـاوز حـدود اللياقة الدبلوماسية ثم قال « كم حاولنا ومازلنا نحاول مد ايدينا لمصافحة الشعب الأمريكى لكنى مع شديد الاسف اجد يدى معلقة فى الهواء احيانا » .

واشار عبد الناصر بعد ذلك الى صفقة الأسلحة التى عقدت بين مصر والاتحـــاد السوفيتى فقال ان بسببها « تغير جـــو العلاقات بين قطرينا فاصبح عاصفا .. وقامت محاولات لتشويه سياستنا الوطنية وشنت علينا حرب سيكولوجية من محطات الاذاعة التى حاولت النيل من عزيمة شعبنا وإضعاف مساندته لحكومة الثورة . وبلغت الحملة ذروتها لما سحبت امريكا وعدها بالمساعدة على بناء السد العالى فى اسوان وهو وعد قطعته الحكومة الامريكية على نفسها بكامل حريتها وخلقت طريقة سحب ذلك الوعد وضعا لم يستطع الشعب قبوله دون رد فعل ..

وسرد عبد الناصر قصة العـــلاقات المصرية الامريكية واشار لتقدير مصر لموقف امريكا من قضية العدوان الثلاثى على مصر وذكر انه حار فى تعليل فشل امريكا فى إعادة تقييم سياستها فى الشرق الاوسط بعد انهيار حلف بغداد ، ثم قال :

« دعنى اناشد شبابك وشـــجاعتك يا سيادة الرئيس ، فلقد حان الوقت لتفتح امريكا عينيها لترى ما يجرى من احداث فى منطقتنا .. والعلاقات بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط اهم من اى انتخابات محلية ! » .

كان يمكن لكينيدى ان يتخذ من ذلك الخطاب مرجعا يهتدى به وهو يعامل مصر فقد رسم فيه جمال عبد الناصر سياسته واهدافه بكل وضوح كما اكد عدم شرعية الدولة اليهودية ومعارضـــته للتوسـع والعدوان الصهيونى واصراره على صيانة

بين جمال عبد الناصر وجون كينيدي





استقلال مصر ودعم الوحدة العربية دون التسليم لأى ضغط او التفريط فى ذرة من الحرية .

● ●

وعلى الرغم من تلك الرسائل التى كان يمكن ان تقرب بين وجهات النظر وتصفى الجو بين مصر وامريكا ، تلبدت السحب واكفهر جو السياسة بين القطرين مرة اخرى فى اواخر عام ١٩٦١ فى وقت كانت امريكا تعيد التفاوض مع مصر بشـــان احتياجاتها ـ اى مصر ـ من القمح .. وكان من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى ، وفى مقدمتهم « اللوبى » الصهيونى ، من يطالب برأس عبد الناصر وتجويع شعبه :

زاد الطين بله ان كيندى بعث برسالة شفوية ، عن طريق سفيره « بادو » اشار فيها الى سباق التسلح الذى يجرى فى الشرق الاوسط والى ان بعض اعضاء مجلس الشيوخ يضغطون عليه لاعتقادهم بان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الأسلحة ، بالعملة الصعبة التى يوفرها من وراء ما يصله من قمح امريكى ..

وادرك عبد الناصر لتوه ما فى الرسالة من تهديد مقنع فوجد على كيندى دون ان يعلن غضبه لكن الشكوك ساورته من جديد تجاه نوايا ذلك الرجل وخاصة وان تلك الرسالة وصلت عبد الناصر ايام انهيار الوحدة بين مصر وسوريا وكان جمال فى حزن شديد على انفصام تلك الوحدة .

لكن للسياسة مستلزمات تفرض احيانا على رجل الدولة .. وتناسى عبد الناصر ما كان ، وفى ربيع العام التالى تبادل مع كيندى عددا من رسائل المجاملات من ذلك انه هنأ الرئيس الامريكى بنجاح رحلة « جون جلين » رائد الفضاء .

● ●

نختار بعد ذلك من بين ما تبـــــــادل الرئيسان من رسائل ، رسالة كيندى ورد عبد الناصر بخصوص قواعد الصواريخ التى اقامتها روسيا فى كوبا ، وكادت ان تقدح زناد حرب كونية ثالثة .

رسالة كيندى حول ذلك الموضوع كانت بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٦٢ وكانت رسالة موجزة جاء فيها « الدليل على ان حكومة الاتحاد السوفيتى اقامت فى كوبا قواعد للصواريخ النووية الهجومية دليل لا يقبل الشك ، بل وان العمل يجرى لبناء المزيد من تلك القواعد وسنطلع سفيركم لدينا على تفاصيل ذلك . والسوفيت يعلمون ذلك رغم التصريحـــات التى ادلى بهـــا المستر خروتشيف واكدها لى شـــــخصيا وزير خارجيته المستر جروميكو ـ من ان روسيا لن تعطى كوبا غير اسلحة دفاعية . ولعلكم تذكرون انى صرحت علنا فى الشهر الماضى انه « اذا حدث فى اى وقت ان تحول تكديس الاسلحة الشيوعية فى كوبا الى قاعدة عسكرية هجومية ذات طاقة لها دلالة بالنسبة للاتحاد السوفيتى فان امريكا ستتخذ كل ما يلزم من اجراء لحماية امنها وامن حلفائها .

فلابد إذن من فرض حظر وحصار نووى فورى لمنع الاتحاد السوفيتى من وضع اى صواريخ هجومية اضافية فى كوبا وامل ان يكون فى هذا الاجراء ما يؤدى الى سحب الصواريخ التى نصبت فعلا .

ولقد عبرت للمستر خروتشوف عن املى فى استئناف مفاوضات سلمية .

هذا وقد طلبت عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن وعلمت من سفيرنا لدى الامم المتحدة ان يتقدم نيابة عن حكومتى بقرار يطلب فيه سحب قواعد الصواريخ وغيرها من الاسلحة العدوانية من كوبا على ان يتم ذلك تحت اشراف مراقبين من الامم المتحدة .

وفى هذه الاجراءات ما يمكن الولايات المتحدة من رفع الحصار الذى ضربته وامل ان تصدر تعليماتك لممثلكم فى نيويورك بالقيام بعمل فعال الى جانبنا ومساندتنا فى الامم المتحدة بصورة لا تقبل الشك . وستعمل وزارة خارجيتنا على اطلاع سفيركم على جميع تطورات الموقف » .

ورد جمال عبد الناصر على تلك الرسالة بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٩٦٢ مبينا اعتراضاته وتحفظاته بشان الحصار الذى فرضته امريكا وقال :

« تسلمت رسالتكم المؤرخة ٢٣ اكتوبر بكثير من القلق وتسلمت مرفقاتها ـ التصريح الرسمى الموجه للشعب الامريكى بخصوص الموقف فى كوبا . وانا اقدر حقا جهودكم فى ايضاح النوايا الامريكية لمن يهمهم مجريات الحوادث وقضايا السلام فى العالم .

وارى انه لا مجال الان لبحث مختلف وجهات النظر فى نوعية وطبيعة القواعد التى تواجدت فى كوبا واثارت شكوككم ، ولا مجال فى الوقت عينه لبحث الاجراءات الامريكية التى اتخذت نتيجة لذلك كما انى لا اجد الان ما يبرر مثل هذا البحث الذى اصبح الان لحسن الحظ ، عديم الاثر على قلق الناس على السلام وعزمهم على صيانته وجهودهم فى داخل الامم المتحدة وخارجها ، ولا على الحكمة والتقييم الصحيح والشعور بالمسئولية الذى تحلت به اطراف هذا النزاع .. وهذه العوامل كلها تتالف لتحفز على التطلع الى المستقبل وترك الماضى ..

على انى اود ان اســـــجل عــــددا من الملاحظات :

كلنا لاشك يقدر جميل استجابتك لاوثانت ، السكرتير العام للامم المتحدة بالوكالة ، ويقدر التعاون الذى لقيه من الوفد الامريكى لدى الامم المتحدة . ومازلنا نؤمن مع الكثيرين من محبى السلام بان خير ضمان لافضل الحلول للمشاكل هو التعاون باخلاص داخـــــل اطـــار الامم المتحدة .

وكلنا يقدر كذلك عميق التقـــدير ان الاجراءات الامريكية ـ بصرف النظر عن رأينا فيها ـ قد نفذت بطريقة تجردت تماما عن كل تحد عدوانى .

ونقدر وعدك بعدم غزو كوبا عسكريا ، ونرى ان ذلك الوعد كان عاملا اكيدا اسهم فى تخفيف حدة التوتر .

ونحن نؤمن بان الولايات المتحدة بمالها من قوة ومكانة تستطيع اكثر من غيرها دعم السلام فى العالم . وهى فى هذا الصدد تحمل مسئولية تاريخية امام الجنس البشرى ، لأن السلام الذى يقوم على اساس من العدل مطلب انسانى يسبق كل ما عداه ، فهو لا يصون الحياة فحسب بل يكرمها كذلك .

ارجو ان تتقبل يا عزيزى الرئيس اطيب تمنياتى .. » .

جمال عبد الناصر

ومرت الازمة بسلام ولكنها تركت بصماتها على قلب خروتشوف وعقله وسمعته . ومات بعدها كيندى .. قتلته رصاصة مغتال لم يرحم شبابه .. أو لعله كان احد الساخطين على سياسته .

جمال الكنانى

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الأساطير

يصف الله سبحانه فى سورة النحل موقف الماديين الوثنيين بمكة ـ وهم المشركون الذين لا يؤمنون بالله وحده .. ولا باليوم الاخر ـ من دعوة التوحيد فى الالوهية ، فى قول القران الكريم :

ـ الهكم اله واحد .

ـ فالذين لا يؤمنون بالاخـــــرة (وهم الماديون) قلوبهم منكرة (اى لدعوة التوحيد هذه) وهم مســـتكبرون (اى متعالون عنها .. ولا يعيرونها اهتماما) .

ـ لا جَرَمَ (اى حقا ، ومن غير شك) : ان الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُون ، انه لا يحبُّ المستَكْبِرِين (اى المتعالين المغرورين بقوتهم وجاههم) .

ـ واذا قيل لهم : ماذا انزل ربكم ؟ (اى اذا ما سئل هؤلاء عن القران) قالوا : اساطير الاولين ..

وفى ايات اخرى فى السور المكية يردد القران دعوى المنكرين له ، بانه اساطير الاولين ، واساطير الاولين هى قصص السابقين ، التى ياخذ ما فيها مكان العقيدة فى نفوس السامعين ، والمرددين لها . وهى قصص يلعب فيها الخيال .. والاختلاق دورا كبيرا . ويستهدف من اختلاقها : التاثير على الافراد فى مجتمع ما ، وضمان تبعيتهم لاتجاه معين ، يراد لهم ان يسلكوه وكثيرا ما تختلق هذه الاساطير فى المجتمعات البدائية او المتخلفة . والذين يختلقونها هم رجال الدين ، لمصلحة الكبراء والزعماء فى هذه المجتمعات .

ومن شان الاساطير ان لا تقف امام الواقع ، والتحليل للوقائع ، والمكيون ـ او الماديون والوثنيون على عهد الرســـول عليه السلام ـ كانوا لمعارضتهم له صلى الله عليه وسلم فى رسالته : يتهمون كتاب الله الذى انزل اليه : بانه اسطورة من اساطير الاولين ، اى لا يقف امام الواقع والتحليل العلمى لما جاء فيه ، وما زال هذا الاتهام يكرر اليوم .. وسيظل يقال : غدا ، وبعد غد ، طالما : ان الوثنية المادية تنكر الايمان بالله واليوم الاخر .

ويكشف القران عن طبـــائع الوثنيين الماديين الذين يرون فى كتاب الله : انه من اساطير الاولين ، فيما يقصه بقوله :

ـ ومنهم من يستمع اليك (اى من المكيين المشركين) .

ـ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفى اذانهم وقرا (وهؤلاء الذين يستمعون اليك اغلقت افهامهم وعقولهم فلم يعد لهم منفذ يتيح لهم ان يفهموا ان سمعوا ، وصمت اذانهم كذلك ، فلم تعد امامهم فرصة ليسمعوا حتى يعقلوا او يفهموا ما يسمعونه . وهذا كناية عن انهم من اول الامر ليسوا على استعداد للنظر ، ومراجعة الامر ، ومحاولة استخلاص منهج سليم فى حياتهم ، غير ما الفوه عن الاباء ، او غير ما تمليه عليهم انانية الزعامة وغطرسة الصدارة والوجاهة) .

ـ وان يروا كل اية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاءوك يجادلونك (اى يحاجونك فى دعوتك الجديدة) يقول الذين كفروا (ويعنى القران هنا بالذين كفروا هم هؤلاء الذين اغلقت افهامهم وصمت اذانهم) : إِنْ هذا إِلا اساطير الاولين (اى هذا القران ، ان هو الا من الاباطيل والترهـــات والاكاذيب القديمة) .

ـ وهم ينهون عنه (اى يبعدون الناس عن الايمان به ، بما لهم من زعامة وجاه) وينأون عنه (اى ويبتعدون هم عنه كذلك ، تحت تاثير اتجاههم المادى فى الحياة) وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون (وفى واقع الامر بموقفهم من القران هذا الموقف لا يسيئون الا لانفسهم بالهلاك والفناء ، وان لم يحسوا بانهم فى طريقهم الى ذلك ..

● وياتى القران ـ فيما ياتى به ـ برد على مثل هذا الاتهام ، بقوله :

ـ وانه لتنزيل رب العالمين (اى ان القران ليس من الاكاذيب والاباطيل الماضية .. بل هو منزل من عند مالك الكون كله) .

ـ نزل به الروح الأمين (وهو جبريل عليه السلام) .

ـ على قلبك لتكون من المنذِرِين . بلسانٍ عربى مبين ..

وكون القران من رب العالمين هو تحدٍّ لأنْ توجد فيه اية ثغرة ينفذ منها باطل ما :

ـ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ـ تنزيل من حكيم حميد ..

حتى لا ننسى :



بقلم : يوسف الخطيب

إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

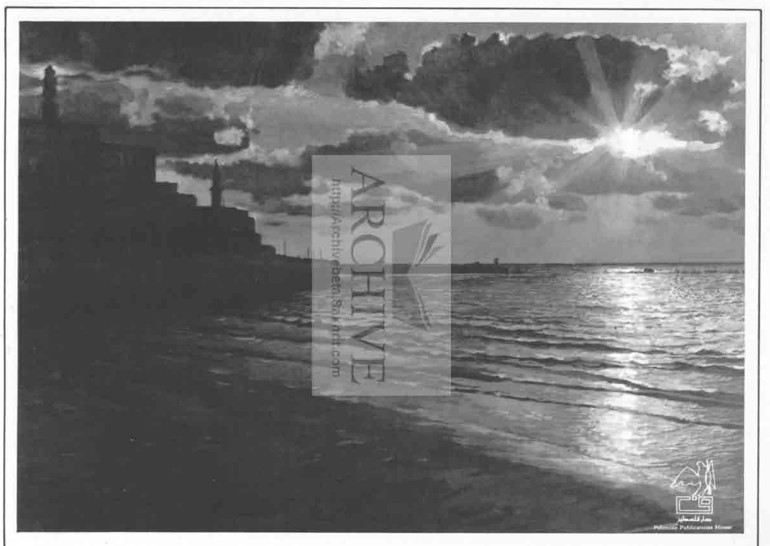
تقع مدينة يافا على نشز هين من الارض بشكل ما يشبه النتوء الصغير الذى يعترض انتظام خط الساحل الفلسطينى ، فى منتصف المسافة تقريبا بين حيفا فى الشمال ، وغزة فى الجنوب . وتشرف يافا من موقعها هذا على زرقة البحر الابيض المتوسط غربا ، وعلى بحر اخر من الخضرة اللامتناهية المفعمة باريج البرتقال شمالا وجنوبا ، بينما تحد هذا البحر الاخضر سفوح جبال القدس على مبعدة حوالى اربعين كيلومترا من جهة الشرق .

تبلغ يافا من العمر قرابة اربعة الاف وخمسمائة سنة ، منذ ان ارسى اجدادنا العرب الكنعانيون اول حجر فيها على شاطىء البحر ، وسموها منذ ذلك الزمن السحيق باسم « يافى » بمعنى الزاهى ، او الفاتن ، او الجميل . وهكذا فان يافا الكنعانية ، اى العربية ، تعتبر من اقدم موانىء العالم القديم . ولقد ظلت تحتفظ بهويتها العربية هذه طيلة تلك القرون العديدة . الى ان تبدل كل شىء ، دفعة واحدة ، اعتبارا من اوائل القرن العشرين فقط ، عندما تنازلت وزارة الخارجية البريطانية عن التراب الوطنى الفلسطيني فى سنة ١٩١٧ ـ كما لو كان هذا التراب من الاملاك الخاصة التابعة للتاج البريطانى ـ من اجل ان تقيم عليه الحركة الصهيونية وطنا قوميا لاتباع الديانة اليهودية من شتى انحاء العالم . وطبيعى ان هذا ، منذ البداية تماما ، هو اخطر مطعن فى شرعية الاساس الذى تقوم عليه « دولة اسرائيل » حتى لو قدر لها ان تستمر عشرات السنين الاخرى على ارض فلسطين .

وعلى امتداد عهد الاحتلال البريطانى البغيض الذى استمر ثلاثة عقود ، والذى وضع الوطن الفلسطيني خلال هذه المدة قطعة اثر اخرى بين انياب حلفائه الصهيونيين ، فان مدينة يافا بوجه خاص قد لعبت دور الرمز العربى فى مقاومة اطماع الغزاة العنصريين ، وذلك بحكم اقتطاعهم للاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من ارضها الطيبة . بغية تضخيم مستوطنة « تل ابيب » واشباعها حتى التخمة بالمهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية على وجه الخصوص . فهكذا وقعت يافا ، منذ البداية فى موقع المصادمة الحادة المباشرة مع الغزاة العنصريين ، هؤلاء الذين اجتاحوها كقطعان الذئاب الجائعة عشية تاسيس « اسرائيلهم » فى سنة ١٩٤٨ ، فشردوا حوالى ٩٥٪ من سكانها العرب خارج الحدود وحولوها مع الزمن الى ما يشبه الخرابة الاثرية الهائلة الملحقة بمدينتهم « تل ابيب » التى لا تزيد فى الحقيقة عن كونها مجرد امتداد ليافا الجديدة شرقا وشمالا .

فى هذه اللقطة الجزئية لراس يافا بالبلدة العتيقة ، وهى ماخوذة من الشمال الشرقى باتجاه الجنوب الغربى ، يبدو لنا فى مقدمة الصورة تماما اتصال مويجات البحر برمال شاطىء الرشيد ، نسبة ، على الارجح ، الى الخليفة العربى هارون الرشيد ، ثم يبدو لنا ، فى قمة الراس الى يسار الصورة ، برج دير الكازانوفا ، حيث شهد القديس بطرس رؤياه الشهيرة بضرورة السعي الى قيسارية للاجتماع بقائد المئة ، ومن ثم للانطلاق بالتعاليم المسيحية الى جميع الامم ، عوضا عن تخصيصها باليهود دون غيرهم : « والان ارسل الى يافا رجالا واستدع سمعان الملقب بطرس » (راجع الاصحاحين العاشر والحادى عشر) .

ثم على استقامة الدير غربا يظهر جامع البلدة القديمة شبه متصل برصيف مينائها الاثرى العريق ، ويحدثنا المقدسي ، من القرن العاشر الميلادى ، عن البلدة القديمة وجامعها ، ومينائها : « يافا على البحر صغيرة ، الا انها خزانة فلسطين . عليها حصن منيع بابواب محددة ، وباب البحر كله حديد . والجامع مشرف على البحر ، نزه ، وميناؤها حديد » .



مدينة يافا .. البلدة العتيقة حيث تتصل امواج البحر برمال شاطئه الرتيبة

السيف العربي

رحلة مع الإبداع الفني

بقلم: نديم خشفة



الخنجر او «الجنبية».. حملها العرب في الجزيرة العربية .. وكانت رمزاً للشجاعة والرجولة والاعتزاز بالنفس

لا يذكر السيف إلا وتذكر معه بطولات العربى الذى انطلق من صحرائه ، فنبه الدنيا من غفوتها ، وانهض العقول من غفلتها .

وكما فتن الحصان العربى الغربيين ، كذلك فعل السيف العربى ، فنسبوه إلى اقرب العـرب اليهم ، ودعـوه السيف الدمشقي .

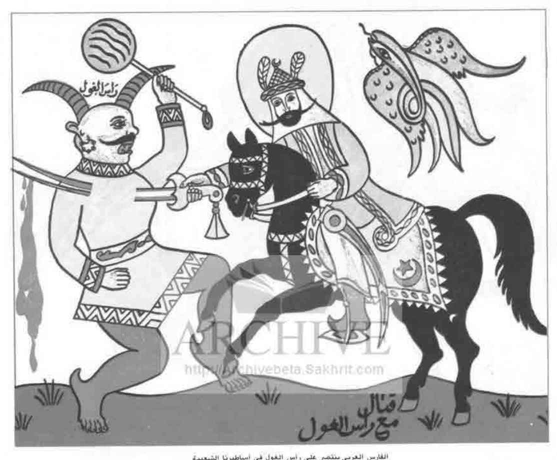
ولا يتصور الغربيون العربى إلا رجلا محاربا وفارسا على صهوة جواده الاصيل ، شاهرا سيفه الرهيف .. فكان همهم ان يترجل الفارس ، وان ينثلم السيف او يغمد .. فهل تحقق حلمهم ؟

لم يكن السيف لدى العربى زينة يتحلى بها في حله وترحاله ، بل اداة حرب ورمز



الى اعلى : فارس مملوكى فوق صهوة جواده الاصيل ، يحمل بندقيته وسيفه كما رسمه الفنان العالمى « كارل فيرنيه » .. وإلى اليمين لقطة يتضح فيها مدى براعة الصانع الدمشقى فى نقش هذا الخنجر وجرابه (الجنبية) .

السّيف العربيّ
رحلة مع الإبداع الفني



الفارس العربي ينتصر على راس الغول فى أساطيرنا الشعبية

عزة ، ومجالا لاظهار الابداع الفني ، والبراعة الصناعية ..

فالسيف نصل .. والسيف مقبض .. والسيف غمد .. والسيف حمائل .. وهذه الأجزاء الأربعة ، على ضيقها ، كانت مجالا رحبا للابداع العربى ، اما النصل فقد نسبه العرب الى الهند :

ولقــد ذكرتك والرماح نواهــل
مني وبيض الهنــد تقطر من دمي

ونسبه الغربيون إلى دمشق . واشتهر لديهم الفولاذ الدمشقي ، المسقى ، المائل إلى السواد ، وحكوا عنه الأساطير ، وعكف علماء الكيمياء والمعادن المحدثون على تحليل مكوناته ، وخاصة في فرنسا وروسيا ونشرت الصحف مؤخرا اهتمام عالم اميركي بتركيبة ذلك الفولاذ الدمشقي .. فهناك نوعان من الفولاذ ينسبان الى دمشق ، احدهما خليط من الفولاذ القاسي والفولاذ اللين ، نتيجته فولاذ أصم لا رنين له ، وهو معروف لديهم .. واخر رائــع الرنين ، يجهلونه ، ويصنفونه حسب لونه : الأسود اللامع ، والاسود الخراساني ، والشامي .. اما تركيبه الكيميائى فهو : ١,٥ كربــون و ١٠ر٠٪ إلى ٢٥ر٠٪ فسفور ، وهما السبب فى سهولة كسره . وهذا الفولاذ من فلز يسمى « ووتز » . يحمى حتى الاحمرار ثم يبرد ببطء شديد ، ومصدر « الووتز » ضواحي حيدر اباد ، يصنع في نواحى مختلفة من الهند ، ثم تنقله القوافل إلى خراسان فاسيا الصغرى ، او تنقله السفن إلى الخليج العربى الذي كان مصدراً هاماً من مصادر الفولاذ الهندي :

قد زرته وسيوف الهــند مغمدة
وقد نظرت إليــه والسيوف دم

وعرف السيف رحلة طويلة قبل أن يصل إلى يد العربى فيجعله اداة حرب بهرت العالم ، ومن المحتمل ان تكون الصين مهده الاول ، أو أسيا الوسطى ، ثم انتقل إلى اليابان فالهند ، ثم وصل إلى الشرق العربى فتبدل شكله وتغير تركيبه ، وتغير معهما مصير الحضارة ..

ووصل السيف Le SABRE الى أوروبا فى بداية القرن الثامن عشر . أوصله إليهم المجريون والبولونيون . ولم تكن أوروبا تعرف سوى تلك السيوف الثقيلة



نقوش ايات قرآنية تحث على الجهاد فوق سيف عثمانى (٩١٤ ـ ١٥٠٩) .

سيف عثمانى موجود فى المتحف الحربى بباريس

الحمل ، السيئة الصنع ، التى تشبه خيولهم السمينة ، البطيئة الحركة ..

الصانع الدمشقي

إلى جانب الديباج الدمشقي والزجاج الدمشقي والفولاذ الدمشقي ، اشتهر الترصيع والتعشيق والنقش على المعادن DAMASQUINE . ويستعمل الصناع المهرة لذلك المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، أو الأحجار الكريمة ، وربما استعملوا المعادن الرخيصة كالنحاس والحديد والرصاص ، او اضافوا إليها العاج والصدف والعظم . ولا يتسع المجال لشرح المهارة الفنية التى ميزت الصانع الدمشقي ولا تزال ..

وانتقل هذا الفن إلى البندقية فى القرن الخامس عشر للميلاد ، نقله بعض العمال المشارقة ، وعرف هناك باسم AZZIMINI تحريفا لكلمة « العجمي » العربية ، وانتشر بعدها فى اوروبا كلها ..

إننا لا نؤرخ هنا لهذا الفن ، لكن الصور المنشورة تعطينا لمحة مشرقة عن ازدهاره فى البلاد العربية والاسلامية .

ولا يفوتنا منفذ اخر دخل منه التأثير العربى الى اوربا : الأندلس .

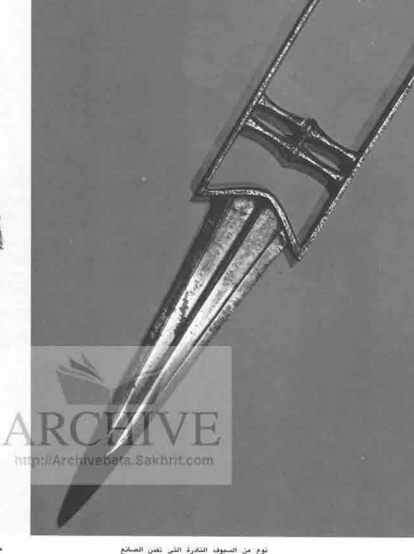
فقد ازدهرت دار الصناعة زمن الخليفة الاموي عبد الرحمن الثاني (٨٢٢ ـ ٨٥٢) فى مدينة طليطلة . ويروى أن الصناع كانوا يعملون فى ظلام الليل ليتاكدوا من درجة احمرار الفولاذ قبل تبريده التدريجى بالماء ...

وحفظت لنا المتاحف الإسبانية بعضا من تلك السيوف . وخاصة ذلك السيف المسمى باسم : « البوعبدلي » . نسبه إلى عبد الله محمد BOABDIL ، اخر ملوك غرناطة (١٤٨٢ ـ ١٤٩٢) .

وعبد الله هذا هو الذي ترك غرناطة وفى اذنيه صدى صوت عائشة امه العظيمة :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

وقد استخرج أحد هذه السيوف من



نوع من السيوف النادرة التى تفنن الصانع العربى فى صنعها على هذه الصورة الدقيقة

مقبض هذا السيف على شكل جواد .. انه قطعة نادرة تجمع بين القوة والفروسية

مقبرة الملك « دون سانشيه » الرابع المتوفى سنة (١٢٩٥) للميلاد . وهو سيف مستقيم النصل ذو حدين ومقبضه مزين بزخارف اندلسية وهو تقليد للسيوف العربية التى عرفت قبل هذه الفترة بزمان طويل . وقد كتب عليه اسم (الله) ونقش عليه شعار بني نصر، من ملوك الطوائف : (ولا غالب إلا الله) . وهو الشعار الذى ما يزال يزين المباني المغربية المبنية على الطراز الأندلسي أو المورسكي .

براعة المماليك

وبعد فترة طويلة ال حكم الشرق إلى المماليك ، فاحسنوا العناية بالسيف وبرعوا فى استعماله . وشهد لهم بذلك الجنرال ادوار كوبير EDOUARD COLBERT

فقال : « لقد رايت واصحابي بعد معركة الصالحية ـ كثيرا من جنودنا قد قطعت رؤوسهم او اكتافهم او معاصمهم ، ورايت احد الجنود قد قطعه السيف من كتفه حتى حقويه ، وقد جربت بنفسي سيف المماليك ، فكنت اقطع به عنزة او نعجة او كلبا بضربة واحدة ، وكلمة « الضرب » لا تصلح للتعبير عن استعمال هذا السيف . فانه ينسرب انسرابا ولا يحتاج الا إلى قليل من الجهد وكثير من البراعة ، وقد كان المماليك يتدربون بان يمسك اربعة رجال قطعة واسعة من الموسلين ويحركونها فى الهواء حتى تنتشر ثم يطلقونها ويهربون عنها ، ويندفع إليها الفارس بسيفه فيقطعها شطرين بضربة واحدة قبل أن تسقط إلى الارض » .

ولا نرى سببا يدعونا للشك فى شهادته ، خاصة وانها شهادة عدو لا صديق !

الفرسان العثمانيون

ولو تابعنا السيف العربي فى رحلته فسوف نراه مشهرا بيد الفرسان العثمانيين ، وهم على مانعلم جنود من الامبراطورية العثمانية تضم الترك والعرب وغيرهم ..



« البالا » سيف نادر .. زينه اشهر الخطاطين بجمال خطوطهم ويعتبرونه اقوى السيوف واكثرها صلابة

قالوا عن السيف

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
(ابو تمام)

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
(المتنبي)

إذا عربي لم يكن مثل سيفه
مضاء على الاعداء ، انكره الجد
(الشريف الرضي)

بيض صنائعنا ، سود وقائعنا
خضر مرابعنا ، حمر مواضينا
(صفي الدين الحلي)



لوحة بيعت في لندن عام ١٨١٣ ، تمثل تدريب المماليك على الضرب بالسيف في سفح جبل المقطم

وعرف المحارب التركي بشدة البأس ، واحتفظت اللغة الفرنسية الى اليوم بهذه الجملة « قوي كأنه تركي » تعبيرا عن هذه الشهرة ، وعندما تألق نجم الامبراطورية العثمانية كان ذلك بفضل الفارس « الصباهي » ، وتحتفظ المتاحف ومجموعات الأفراد بالعديد من تلك السيوف العربية ، التي كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بأقلام الخطاطين المعروفين بجمال خطوطهم ، كما نوع الاتراك اشكال السيوف فابتكروا (البالا) و (اليطقان) وغيرهما

نقوش العصر الحديث

وقد انتشرت في الجزيرة العربية عادة حمل الخنجر او (الجنبية) وهي رمز الرجولة والشجاعة والاعتزاز بالحرية ، حتى لقد قال قائلهم : « إنا لنولد والجنبية على صدورنا والبندقية في ايدينا » .. وقد وجد فيها بعض المحللين النفسانيين رمزا لتفوق الرجل على المرأة ، لا مجال للدخول في تفاصيله !!

وهناك عدة أسماء أطلقها العرب على السيف ، وترك لنا التاريخ اسم « الصمصامة »» و « ذو الفقار »سيف الامام علي ابن ابي طالب (كرم الله وجهه) وهو السيف ذو الشعبتين الذى دخل فى الأساطير والرسوم الشعبية ..

وقد نقشت على بعض نصال وقراب هذه السيوف الجملة التالية :

« لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار »

كما ألف الفنانون نقش آيات قرآنية ، أو حكم شائعة تحث على الجهاد والقتال في سبيل الله والوطن ، والدفاع عن الشرف والاباء ، وبلغ الامر بالشريف الرضي أن قال :

إذا عربي لم يكن مثل سيفه
مضاء على الأعداء أنكره الجد

فهل نحن جديرون بأن ننتسب الى أولئك الأجداد العظام ؟ كلنا أمل !

نديم خشفة — الجزائر

صالح غريب



ممر قصير يؤدي إلى الباب الرئيسي للبيت الخليجي وعليه نقوش من الداخل والخارج

نقوش خليجية اعلى النافذة او (الدريشة) كما يسمونها فى منطقة الخليج

البحث عن الحضارة في نقوش الخليج

عندما بدأت بشائر الثورة الفرنسية بالظهور ، تساقطت الحدود الوهمية التى كانت تحجز الثقافات الاوروبية عن بعضها البعض ، فقبل هذه الحركة كان من السهل واليسير على الرجل العامى ، ان يتعرف على لوحة رسمها فنان اسبانى ، او مبنى بني فى اسبانيا وطابعه هولندى او بمعنى اخر ان كل مكـــان كان يملك طابعـــا يميزه ، وبعد هذه الحركة زادت تنقلات الفنانين والمعماريين واجتيازهم لحدودهم الأصلية ، وما كان لا يبنى إلا فى هولندا بدا يظهر فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا ، والأسلوب الأسبانى فى الرسم بما فى ذلك اسلوب الفنان « جويا » اصـــبح الذوق المؤثر فى فن الرسم فى فرنسا وعليه ظهرت المدرسة الرومانسية ، وهنا اخذ الفنانون ينذرون المجتمع من ضياع هويته ، وظهور هوية لا تنتمى الى احد ، او الى منطقة ، ولكن حركة الانتقال الثقافى كانت اقوى من نذر الفنانين فتلاشت دون ان تضع حدا للمشكلة ، والمشكلة ذاتها تتكرر فى ايامنا هـــذه ، وبنفس الظروف الســـابقة الا ان الحيز الجغرافى هو الخليج العربى ، وحركة الانتقال الثقافى مصدرة من العالم شرقه وغربه . فهل نياس لاننا وجـــدنا ان إنذارات من سبقونا من فنانين باءت بالفشل وبالتـــالى نداؤنا سيلاقى نفس المصير . طبعا لا نستطيع اطلاق الأحكام قبل اوانها وأرجو ان نكون افضل حالا مما كان عليه الفنانون الفرنسيون ، وذلك لان وسيلة الاتصال فى ذلك العصر كانت الصالون من خلال اللوحة وبعض الصحف . وأما اليوم فوسيلة الاتصال التى نستطيع ان نطلق من خلالهـــا انذارات اكبر فعاليـــــة من العصر الســـــابق هى الصـــحف ، التلفزيون ، الاذاعة ، والمعارض . فالاذاعة والتلفزيون هما وسيلتان لو كانت بين يدى الفنانين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لافترضنا ان انذارهم وصل الى الناس ولنجحت دعوتهم فى احتفاظ البلدان بانماطها المميزة . ايا كانت هذه الافتراضات فما يهمنا الآن ان منطقتنا تمر بنفس الظروف ، فكل شىء ينتمى الى المنطقة بدأ يتراجع فى وجه المتغيرات القادمة من كل الاتجاهات .ولذا فان هناك كتابا على وشـــك الانتهاء ، يقـــوم بتاليفه الفنان التشكيلى القطرى محمد علي ، عن النقوش الجسية فى الخليج وقد استوحيت مقدمة هذا اللقاء عندما سالته عن الهدف الذى جعله يقوم بتاليف هذا الكتاب ، فكان مما قاله : «ان المنطقة تمر بمرحلة انتقالية ، لا يمكن التكهن بنتائج هذه المرحلة ، ولكن احس بالتشاؤم لما نرى من غزو معمارى وثقافى ، اتى على سمات الانسان والمنطقة ومحاها ، ولم يبق لنا ما يذكر بسمات الانسان وسمات المنطقة إلا بعض المحفوظات فى المتاحف ، وهذا نذير شؤم لا اشك فى ان احدا من اهل المنطقة سيسعد له ، كما أن اختفاء طابع المنطقة برمته فى فترة قصيرة (منذ اكتشاف البترول) لنذير بان نراجع انفسنا ونتامل ما ستكون المنطقة عليه بعـــد فترة من الزمان ، وسنجد اننا المسئولون امام الاجيال القادمة لضياع ثقافة المنطقة ، لذا فان العمل على انقاذ ما تبقى هو مسئولية تخص الفرد ، والمؤسســـــة الجماعيـــة



صورتان ... الاولى لنقوش تفصيلية موجودة في زخرفة منطقة الخليج ... والثانية لطراز معماري حافظ على التشكيل القديم

كمؤسسات الدولة كل ضمن تخصصه » .

● سؤالي الأول كان عن تفاصيل الكتاب ما الأهداف التي ينوي أن يقوم الكتاب بأدائها ؟

- بما اننا عرفنا الدوافع التي من أجلها قمنا بعمل هذا البحث فانني أتمنى أن يصل الكتاب الى المكان المناسب الذي يستطيع أداء مهمته على أكمل وجه ، فمثلا يحوى الكتاب على أكثر من مائة وخمسين نموذجا للنقوش الخليجية والتي قمت برسمها رسماً هندسياً بنسبها الحقيقية والاصلية . وهذه النماذج جمعت على مدى أكثر من سنتين من مصادرها الاصلية ، واقصد بالمصادر الأصلية البيوت القديمة الواقعة في المساحة الجغرافية الممتدة من الكويت الى عمان ، وهذه البيوت اما أن تكون اطلالا ، أو شبه مسكونة ، وهذه النقوش تتوحد في النمط والاسلوب الفني في جميع أجزاء الخليج ، فلذلك يمكننا اعتبار الكتاب مصدراً مصنفاً لنقوش المنطقة ، يستطيع المصمم المعماري الاعتماد عليه كمصدر نقي وصحيح للنقوش الخليجية بدلا من الاقتباس من الكتب المتعددة ، والتخبط في اقتباس نقوش لا تنتمي الى المنطقة ، ورغم أن النقوش الخليجية تنطبق عليها مزايا النقش الاسلامي ، فوجود مثل هذا المصدر أو البحث سيملأ فراغاً أحوج ما يكون اليه المصمم المعماري ، ومن خلال تنقلي بين بلدان الخليج لجمع مصادر البحث وجدت أن كثيراً من الابنية الحديثة حاول مصمموها استخدام النقش القديم ولكن مع الأسف استخدموا نقوشاً أبعد ما تكون الى روح المنطقة ، وذلك باستخدام العناصر الهندية ، والفارسية وغيرها ..

● ذكرت في حديثك أن النقوش الخليجية تنطبق عليها المزايا الاسلامية ولكنها تحوى سمات تميزها عن الهندية والفارسية وغيرها فما هي الظروف التي تسببت في خلق هذا الطابع الخاص ؟

- إن الأرض ، أو الحيز الجغرافي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، كالمناخ المصاحب للأرض ، وجيولوجية الأرض ، وموقع هذه الأرض على البحر ، أو في وسط الصحراء ، هو الدافع الرئيسي للثقافة ويصاحب هذا الدافع دافع في مستواه هو العقيدة ، أو الدين ، فهذان العنصران ، لهما قوة كبيرة في تشكيل نمط وفن وثقافة المجتمع ، فمثلا الظروف التي تعايش معها الانسان القديم في بلاد ما بين النهرين اختلفت عما هي عليه في بلاد مصر القديمة وهذه كانت السبب الرئيسي في أن الفن في بلاد ما بين النهرين يختلف عما عليه في مصر . وهذه الحقيقة تنطبق على طبيعة الفن في الخليج فطبيعة الأرض ، وتقاليد الانسان ، والمناخ والخامات المتاحة للانسان اختلفت عن الهند وفارس ، لذا ما انتجه الفنان في الخليج يحوى سمات محلية لا تملكها منطقة سواها ، فهذه النقوش اسلامية لانها تحمل المزايا الاسلامية وأهم هذه المزايا ، اللولبية ، أو التطور من المركز في حركة لولبية أو حلزونية الى ما لا نهاية ،

● هل استطعت إيجاد اى معان لهذه النقوش ؟

- من خلال قراءاتي لآراء المستشرقين في الفن الاسلامي ، والبحث في آرائهم عن معاني النقوش الاسلامية ، وجدتهم يتفقون في أن المعاني لهذه النقوش قد ضاعت لقدم هذه النقوش ، وذلك لان الحضارة الاسلامية احتوت جميع الحضارات التي كانت سائدة في المنطقة وهذه الحضارات كانت تمنح معاني ورموزا لنقوشها ، ولكن الاسلام عندما جاء استخدم هذه النقوش على أساس انها تزيينية بدون أن تستخدم معانيها التي وجدت من أجلها فمثلا هنالك بعض الوحدات الزخرفية كانت الشعوب البدائية تضعها على مداخل معابدها وبيوتها منعا للارواح الشريرة ، أو لجلب الحظ ، وهذه المعاني تناقض المنطق الاسلامي ، فلذلك تلاشت . وبالرغم من ذلك مازالت هنالك وحدات تحتاج الى الدراسة لاكتشاف جذورها التاريخية وأهميتها المعنوية ، وقد لاحظت أن الحرفيين يطلقون على زخارفهم بعض التسميات البسيطة الساذجة مثل الوردة - بيذانة - سنكل - نقر الحمام الخ هذه التسميات .

وكم كان بودي أن يستمر هذا اللقاء ، فتداعى الكلمات وحيوية البحث ، وأهميته، كل هذا لا يكفيه هذه المقالة ، ولن يرويه إلا ظهور الكتاب ، فتمنيت للفنان التشكيلي القطري محمد علي أن يستطيع تحقيق هدفه من خلال هذا الكتاب ، ونرجو أن يرى هذا الكتاب النور في أسرع وقت .

صالح غريب



الطاهر وطار

صوت جديد في الأدب العربي الجزائري

لم يعد الروائى العربى الجزائرى الطاهر وطار بحاجة لتعريفه الى القارىء العربى فى الشرق الأوسط بعد أن أصبحت أعماله الابداعية فى القصة والرواية تشكل ظاهرة أدبية متميزة برزت - أشبه بالطفرة المفاجئة - على ساحة الأدب المعاصر لتسهم فى بلورة ملامح المرحلة الجديدة للفن الروائى الذى يجتاز نقطة تحول حاسمة بين عصرين تؤذن بميلاد انسان عربى جديد من أحشاء مخاض عسير فى محيط الصراع بين النقائض

ساعات طويلة أمضيناها فى بيته فى الجزائر العاصمة «نتشاكى حر القلوب الظماء» كما يقول شاعرنا القديم عبر شحنات من التوتر والتامل والاستشراف . كانت العملية الفنية عند «وطار» شاغلى الأكبر فيما دار بيننا من حديث : موقعها من المدارس الادبية الحديثة ، قدرتها على تجاوز الاشكال الكلاسيكية ، توظيف التراث العربى والعالمى فى إطار قضية التراث المعاصر ، اختيار البطل : «بولرواح» فى رواية «الزلزال» «واللاز» فى الرواية التى تحمل اسمه و «الحاج كيوان» فى روايته «عرس بغل» .

وكانت البداية حول المعركة التى تخوضها فرنسا ضد التعريب فى شمال افريقيا . وتتابع الحوار ليغطى قضايا أساسية يكثر حولها الجدل . وسوف يمضى وقت طويل قبل أن تستقر المفاهيم الجديدة وتتبلور الرؤية فى تجربة الابداع المعاصرة .

وفجاة التمعت فى خاطرى فكرة : لماذا لاأسجل إجابات الطاهر وطار حول تجربته ولاسيما انه اطلعنى على المسودات الأولية لبعض رواياته ومن بينها رسوم تخطيطية تتعلق بمعمار العمل الفنى الذى يبدا به خطوطه الاولى فى الكتابة ؟ ولم اتردد رغم انها اول مرة تملكنى مثل هذه الرغبة فى التسجيل ، وهى ليست رغبة بقدر ما هو شعور بالمسئولية نحو المهتمين بالرواية العربية الحديثة وبالجيل النامى من المثقفين

، وارتباط هذه المسئولية عندى بمحاولة الاسهام فى دفع الحركة الفكرية والادبية بعيداعن الشباك التى تنصب لها ليتخلى الادباء عن دورهم الاجتماعى ، تحت تاثير افتراضات زائفة للقيم الثقافية والفكرية مهمتها توليد فكر وسلوك مناقضين لعناصر واقعنا الحى وانتمائنا الحقيقى ، وبعيدين عن الرؤية الواعية للتاريخ .

الشهداء يعودون

● نعلم أن الكاتب والناشر الفرنسى مارسيل بوا ترجم لك المجموعة القصصية «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» . وافاجا الآن بقولك إنه أبدى أسفه لعدم ترجمة ونشر رواية «عرس بغل» التى تشكل منعرجا هاما فى مسيرتك الفنية . هل هى عودة الى «الفرنكوفونية» ؟ أم أن ثمة دوافع وأسبابا أخرى وراء هذا الموقف ؟

- كانت إجابة مارسيل بوا واضحة بحيث أغنانا عن التفسير ، إذ كتب انه يأسف لعدم نشر هذا العمل لسببين هما :

١ - أن الرواية تستلهم التراث الاسلامى .

٢ - انها تتناول مرحلة الخمسينات (لا يخفى انها فترة المد التحررى الصاعد فى العالم العربى خاصة وفى افريقيا عامة بل فى العالم الثالث) .

ويفهم من هذا أن هنالك عناصر صهيونية تسيطر من مراكز قوة فى فرنسا على الحركة الأدبية والسياسية ، فضلا عن تغلغل الروح الصهيونية فى المناخ الفكرى والثقافى ، وللقضية جانبها الآخر الذى يكمل حلقات المسلسل فى



وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب !

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

شكل (١) نموذج لجزء ضئيل من الجزيء او الشريط الوراثى الحلزونى ، والواقع ان الاشرطة الوراثية فى كل خلية من خلايا الانسان والحيوان والنبات تتكون من ملايين فوق ملايين من هذه اللفات الحلزونية وبين شقى الشريط تكمن درجات كيميائية هى لب شفرة الحياة فى المخلوقات .

لا ريب ان العلم باسرار الحياة ، يبصرنا ببديع صنع الله ، ويفتح عقولنا على اتقان في الخلق له مغزاه ومعناه ، فنرى فيه افكاراً اصيلة ، ونظما فريدة ، وسننا صامدة لا خلل فيها ولا فوضى .

وكلما تعمق العلماء التجريبيون فى ايات الخلق اكثر ، تجلت لهم الحقيقة بصورة أقوم ، وعرفوا انهم يقفون امام كنوز من المعرفة تشير إلى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، ولا يتدبر ذلك إلا أولو الألباب ! .

ولقد تحير العلماء السابقون فى سر التنوع الهائل بين الكائنات ولم يستطيعوا له تفسيراً ، ولا لأصوله تعليلا ، لانهم كانوا ينظرون إلى ظاهر الخلق ، ولم يعرفوا شيئاً عن باطنه ، وهم في ذلك معذورون ، لان زمانهم لم يكن مهيأ للكشف عن الأصول الكامنة في الكائنات فهذه ، تحتاج الى وسائل علمية متطورة ، لتغوص بها الى لب الحقيقة .

وفي زماننا هذا ، لا يختلف اثنان من العلماء على أن الكائنات جميعاً قد ورثت صفاتها التي تجيء بها الى الحياة من خلال أشرطة وراثية سجلت عليها شفرات كيمائية اربع ، وكل شفرة منها تتكون من عناصر اربعة هي : الكربون والاوكسيجين والايدروجين والنتروجين ، ولا شيء غير ذلك (شكل ١) .

تصورات صعبة

وطبيعي ان احداً لا يستطيع ان يستوعب ان ذلك التنوع الهائل بين الكائنات يمكن ان يتاسس على هذه العناصر والشفرات الاربع ، اذ كيف تشكلت حقا ، لتعطينا كل هذا الطوفان الدافق من الكائنات ، وبكل سلالاته وانواعه وعائلاته ورتبه ؟

ان ذلك قد نشا على اساس فكرة الشفرة ، والشفرة (الكود Code) ليست غريبة علينا ، خاصة فى عصرنا الحديث ، فمن الممكن استخدامها كلغة تعبير مختصرة (كالشرطة والنقطة في التلغراف ، أو الواحد والصفر في الحاسبات الالكترونية ، أو الشفرة المستخدمة في الحروب .. الخ) .. ومع ذلك ، فهناك فرق جوهري بين شفرة كيمائية تؤدي الى كائنات

مختلفة ، وشفرة بشرية تتحول الى لغة تصلح للتفاهم .

وفكرة الشفرات الكيمائية الأربع الموحدة بين الكائنات ، قد نشأت اساسا من تالف العناصر الاربعة في جزيئات مختلفة في الأشرطة الوراثية التي تحتويها خلايا جميع المخلوقات . ويعني هذا ان تلك الأشرطة مبرمجة بشفرات محددة . ولابد من ترجمة هذه البروجرامات ، لتتحول إلى خطة عمل .. إلى مخلوقات شتى !

ولقد كانت شفرة الحياة من اعظم التحديات التي جابهت العلماء لفترة طويلة ، وكانما هي بمثابة لغة سرية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد . ولاشك انها تحتاج لعقول على قدر كبير من الذكاء لفك طلاسمها ، ومعرفة مضمونها .

والواقع ان مضمون الشفرة معروف من زمن ولكن من غير المعروف هو كيفية ترجمة الشفرة ، لتتحول الى برامج او خطط تصلح لادارة كل العمليات الحيوية المتناسقة ، لتنشا على اساسها ظاهرة الحياة ، وهي ـ بلاشك ـ أروع وأجمل ظاهرة في هذا الركن من الكون العظيم !

وشفرة الحياة هى : ا ، ث ، ج ، س .. وهذه الحروف هى اختصار للمركبات الكيميائية الاربعة : ادينين ، ثايمين ، جوانين ، سيتوزين ، وهو ما سبق ان قدمناه في دراسة سابقة على صفحات هذه المجلة ، ولاباس هنا من تذكرة مختصرة ، باصول هذه الشفرة ، فهى تتراص مثنى مثنى فى اشرطتها الوراثية على هيئة درجات فى سلم كيميائى طويل ، وحتى لا ندخل فى التفاصيل ، فعليك ان تلقى نظرة اخرى على الشكل (١) لانه يغنى عن اى كلام يمكن ان يقال فى هذا المجال .

ومن طبيعة هذه «السلالم» الكيميائية انها تنشق طوليا الى نصفين ، وهى لا تنشق بذاتها ، بل هناك خميرة أو انزيم يقوم بهذه المهمة ، ويمكن تشبيه هذه العملية بفكرة الزمام المنزلق (السوستة) الذى يفتح ويغلق على حسب الحاجة ، فاذا فتحناه ، ظهرت أسنانه على الجانبين واذا اغلقناه ، تداخلت الاسنان ، وكذلك الحال مع الأشرطة او السلالم الكيميائية ، فاذا انشقت طوليا ، ظهر لها ما يشبه الأسنان على الشقين ، وقد تراصت بمئات الالاف أو الملايين ، لكن هذه الأسنان ليست إلا مركباتنا الكيميائية الاربعة ا ، ث ، ج ، س .. ومن الممكن قراءتها ، لكنها أصعب قراءة على اية حال ، وقراءة الشريط الذى

شكل (٢) نموذج صغير من الشريط الوراثى الموحد الشفرة فى كل الكائنات ، وهو هنا منشق الى نصفين ، وكل نصف يكمل ذاته بالشفرة المناسبة (اى «ا» ترتبط دائما مع «ث» وكذلك «ج» مع «س») وبهذه العملية يصبح الشريط الواحد شريطين متماثلين او «توامين» ، ليحتفظ بصفات المخلوق الذى يحويه عن طريق انتقال كل توام الى كل خلية جديدة فى عمليات الانقسام .

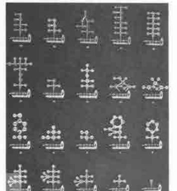
لا يزيد طوله عن جزء من الف من المليمتر يحتاج الى فرقة كاملة من العلماء ، والى سنين طويلة من الجهد المتواصل ، فالعلماء هنا لا يرون الشفرة كما نرى نحن النقط او الحروف ، بل يقرؤونها بطريق عويص غير مباشر ، وهذا يحتاج الى تحليلات كيميائية دقيقة ومضنية ، والحديث فيها قد يتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن العلماء قراوها على اية حال ، واذا اردنا كتابتها بلغتنا لكانت هكذا على سبيل المثال : سثاجثسسثاثثججسسا .. الخ .. الخ ، وعلى الشق الأخر لابد ان تنتظم الشفرة هكذا : جاثثسا ججا ثاا سسججث .... الخ .. الخ (شكل ٢) .

وربما تكون قد لاحظت ان الشفرة «س» على احد شقى الشريط ، لابد وان يقابلها «ج» على الشق الآخر ، والشفرة «ا» يقابلها دائما «ث» ، لأن هذه الشفرات تتقابل ازواجا ازواجا ، وكانما هذه لباس لتلك (انظر شكل ٢) ، ويرجع ذلك الى هندسة فراغية جزيئية تسرى فى تكوين الشريط طوليا ، فيكون هذا الحرف قالبا للذى يقابله ، فيلبس فيه ، ويتاخى معه ويرتبط .. فالف لثاء ، وسين لجيم ، ولا شىء غير ذلك !

ترجمة البرمجة

وعند هذه الحدود وقف العلماء حيارى ، إذ ماذا تعنى هذه الشفرات الاربع التى جاءت متراصة بالملايين فى اشرطة دقيقة

وفيك الباعث والمبعوث وكل مسجل ومكتوب!



شكل (٣) الصيغة او التشكيل الكيميائى للاحماض الامينية العشرين . ويمكن تشبيهها بحروف لغتنا التى نكون بها كلماتنا ، وعندما تتجمع هذه الاحماض بالعشرات والمئات حسب خطة مبرمجة على الاشرطة الوراثية ، وبتباديل كثيرة جدا ، يمكن تكوين ملايين فوق ملايين من انواع البروتينات المختلفة ، ليؤدى كل بروتين منها وظيفته المقدرة فى الحياة .

غاية الدقة ؟ .. وكيف يمكن تفسير التنوع الهائل بين الكائنات على هذا الأساس الذى يبدو كطلاسم لا طعم لها ولا معنى ؟ .

ان حل هذا اللغز العويص يحتاج الى عقول ذكية ، وبحوث رائدة ، وتجارب تتسم بالعمق والأصالة ، وبدون الدخول فى التفاصيل التى قد تجرنا الى متاهات نحن فى غنى عنها ، وقع العلماء على كنز ثمين من الأسرار ، إذ وجدوا ان هذه المركبات الاربعة قد اصبحت بداية لغة جديدة ذات رموز ثلاثة ، اى من الممكن تحويل المركبات الأربعة الى ٦٤ شفرة ثلاثية بتباديل مختلفة .. فالشفرة الثلاثية «ااا» تعنى شيئا مختلفا عن «سسس» ، او «ااث» ، او «اثا» ، او «ثاس» ، او «جسا» ، او «ججس» .. الخ .. الخ ، وانت تستطيع ان تكتب هذه الشفرات الثلاثية الأربع والستين بسهولة على هذا الأساس .

ولاشك ان كل سر مكتشف يقود الى اسرار جديدة اعمق واجمل ، وبحيث يبدو لنا ان الحياة ما هى إلا مخزن هائل من ادق الالغاز . وطبيعى ان هذه الشفرات الثلاثية لها هدف ومعنى ، وهدفها ان تشرف على تكوين لغة اخرى جديدة ، هى لغة البروتينات ، وعلى البروتينات تتاسس كل عمليات الحياة ، ولهذه ايضاً ـ اى البروتينات ـ حروفها المفككة ، ولابد من جمعها كما يجمع الطابع فى المطبعة حروف لغتنا او اية لغة اخرى ، لتتحول الى كلمات فجمل ففقرات يمكن بها تبادل المعلومات ، وكذلك الحال مع البروتينات ، فلها حروفها العشرون ، وما الحروف هنا إلا الاحماض الامينية . وكلها تتكون ايضا من ذرات كربون وايدروجين واوكسيجين ونيتروجين (عدا حرفين او حامضين امينيين منها يضاف اليهما الكبريت) لكن هذه الذرات تتشكل فى انماط مختلفة ، لتعطى احماضا امينية متنوعة (شكل ٣) .

والواقع ان كلا من الشفرات الثلاثية والاحماض الامينية هى بمثابة العملة الموحدة بين كل انواع الكائنات . وهى التى تستخدمها فى تكوين ما تحتاجه من بروتينات ، لكن كل كائن يشكل بروتيناته على حسب الشفرات الوراثية المسجلة على اشرطته .. ولهذا جاء كل شريط مقسما الى فقرات كثيرة متجاورة (اى جينات) ، وكل فقرة مسئولة عن تكوين نوع واحد من البروتين ، ولكل بروتين رسالة محددة لا يحيد عنها ولا يميد .

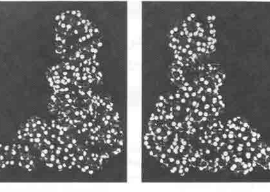
ان جسم الانسان مثلا يستطيع ان ينتج مائة الف نوع من البروتينات المختلفة على اقل تقدير ، وفى تقدير اخر مبالغ فيه حوالى مليون نوع .. وقد تكون الجزيئات البروتينية صغيرة او متوسطة او كبيرة او عملاقة .. فمنها ما يتكون من عدة احماض امينية متالفة لا تزيد عن عدد اصابع اليدين . ومنها ما تتالف احماضه بالعشرات ، والكبير منها بالمئات . ولابد ان تجمع جمعاً صحيحا ، لان وضع حامض واحد محل اخر فى جزيء به عدة مئات من الاحماض الامينية ، يعتبر خطا جسيما ، لانه يؤدى الى مرض وراثى يصبح من الصعب علاجه .. ان اخطاءنا فى كتاباتنا قد تغتفر ، او يمكن تصحيحها بسهولة تامة لكن الاخطاء فى جمع احماض او «حروف» هذه البروتينات يؤدى حتما الى كارثة فى حياة المخلوق ، لكن هذا موضوع طويل ومثير ، وقد نتعرض له فى دراسة اخرى قادمة .

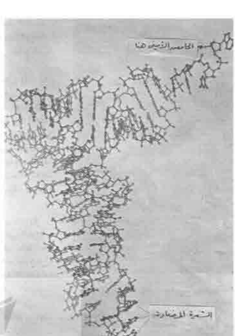
اسطول النقل الجزيئى

وطبيعى ان حروفنا او احماضنا الامينية العشرين لا تتجمع بذاتها اعتباطا بل لابد من تنظيم صارم تسير على هداه ، والتنظيم مصدره الاشرطة الوراثية فى النواة ، وعلى اقسام محددة من هذه الأشرطة تطبع جزيئات شبه وراثية بمواصفات محددة ، وبعد طبعها تخرج من النواة الى ساحة الخلية ، لتصبح فيها بمثابة اسطول للنقل الجزيئى ، ولكل ناقلة منها علامة مميزة ، وعلامتها شفرة ثلاثية ، وكل شفرة تتعرف على حامض امينى من العشرين ، فتشبك فيه ، او يشبك فيها ، فكانما نحن ـ فى الواقع ـ امام حشد هائل من الركاب (الاحماض الامينية) الذين تيسرت لهم سبل مواصلاتهم ذات الطرازات المختلفة من الناقلات .. ثم ان كل خلية تحتوى على مئات او ربما الاف الملايين من الاحماض الامينية المختلفة التى تنتشر فى ساحة الخلية بدون نظام ظاهر ، ويعنى هذا ان كل حامض يوجد بعشرات الملايين ، وغير مسموح للناقلة الواحدة إلا بنقل «راكب» واحد ، لتوصله الى هدفه ، ثم تعود فارغة لتنقل الراكب التالى من نفس النوع من الاحماض ، وهكذا تسرى الامور بنظام بديع فيه عبرة لأولي الألباب .

لقد قضى العلماء سنين طويلة فى فصل وتحليل ومعرفة التكوين الدقيق لكل ناقلة ، وما تخصصت فى نقله ، فتبين انها ذات تكوين معقد وغريب ، ولن ندخل هنا فى التفاصيل ، بل يكفى أن نعرض هنا نموذجا مفصلا لواحدة من اسطول النقل الجزيئى (شكل ٤) ولاشك ان نظرة عابرة على الناقلة ، توضح سرا غالياً من أسرار الحياة ، وتظهر لنا قدرة الله .. «وما قدروا الله حق قدره» .. حقا وصدقا ، لانهم لا يعرفون ما يخفى على حواسهم ، ولو عرفوا لقدروا ، وهنا يحق القول الكريم «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» .

ولكى نوضح ما يجرى فى ساحة الخلية ـ اى خلية تشاء ، من اى مخلوق تريد ـ كان لابد ان نضرب مثلا من واقع حياتنا ، ولنتصور ان هناك حشدا هائلا من سيارات الركوب ذات الطرازات المختلفة ـ مرسيدس وبيجو وفيات وفولفو وفورد ومازدا وعشرات غيرها ، وان هناك حشدا اكبر من ركاب ذوى أزياء مختلفة ، فمنهم من يضع على راسه عمامة او عقالا او طربوشا او قبعة او طرطورا .. الخ .







شكل (٤ أ) طراز من الناقلات الذى تم طبعه او «صبه» على جزء محدد من الشريط الوراثى . وقد استطاع العلماء معرفة تكوينه الدقيق ، وهو يحمل فى احد طرفيه الشفرة الثلاثية التى يتعرف بها على واحد من الاحماض الموجودة فى شكل (٣) .. وفى شكل ٤ ب تجسيد لفكرة بناء الناقل كما تمخضت عنه البحوث الرائدة .

ولنتصور ان لكل زى طرازا محددا من وسيلة النقل ، فذوو القبعات مثلا لهم الفيات ، والمرسيدس لذوى العقال .. وهكذا .. صحيح انهم جميعا بشر ، وصحيح ان كل وسائل النقل سيارات ، لكن النظام فى الركوب يحتاج الى هذا التحديد من البداية .

وقد يبدو ان هذا تصور مبالغ فيها الى حد بعيد ، لكنه موجود فى كل خلية بالتاكيد ، ليس على هيئة ركاب وسيارات ، ولكن على هيئة جزيئات تخصصت فى نقل جزيئات ، ولاشىء غيرها ، ورغم ان الجزيئات لا تسمع ولا ترى ، إلا ان لها وسيلة للتعرف على بعضها ، وهذا ما كشف عنه العلماء الحجاب ، ليتبين لنا معنى النظام ، حتى ولو كان على مستوى جزيئات لا تدرك ولا تعقل ومع ذلك فقد تيسرت لها امورها من خلال شفرة ثلاثية تحدد هويتها ، وهى اشبه بالأرقام التى تحدد سياراتنا ، لكنها علامات كيميائية على درجة هائلة من الكفاءة والاتقان ، فالجزىء العملاق الذى يحمل الشفرة «ججى» على احد طرفيه ، متخصص فى نقل حامض أمينى اسمه جلايسين على الطرف المقابل ، والذى جاء بالشفرة «ججج» ينقل الحامض الأمينى فالين ، والشفرة «س س س» للحامض برولين ، والشفرة «ى س ج» لسيرين ، وهكذا تسرى الامور مع البقية الباقية من الاحماض العشرين .. واختصارا للموضوع ، فقد قدمنا هنا جدولا يشير الى جزء من هذه الشفرات الثلاثية ، وهى فى مجموعها تصل الى ٧٤ شفرة ثلاثية ـ كما سبق وذكرنا (شكل ٥) .

والى هنا قد يطرا على البال تساؤل : اذا كانت انواع الأحماض الأمينية عشرين نوعا ، فلابد أن يكون لها عشرون نوعا من الناقلات . فلماذا اذن هذا الاسراف فى العدد الزائد من طرازات الناقلات ـ اى الـ ٦٤ نوعا ؟

وهذا تساؤل وجيه ، والجواب ان لمعظم الاحماض الأمينية اكثر من طراز الناقلات ، بمعنى ان حامضا امينيا واحدا مثل السيرين له ناقلات بعلامات مسجلة على هيئة ى س ا ، ى س ج ، ى س س ، ى س ى ، وكذلك حامض ليوسين له اربع اخرى مختلفة ، ومنهاما له ثلاث ، او اثنان ، او واحد فقط ، كل هذا يتوقف على ان هناك احماضا مرغوبة فى التجميع اكثر من غيرها ، ولهذا تيسرت لها سبل مواصلاتها ، حتى لا تتعطل العمليات .. اى لا اسراف ولا تبذير !

لكن العلماء قد وقعوا فى حيص بيص عندما اكتشفوا أن القليل جدا من هذه الناقلات لا تتعرف على اى حامض من الأحماض العشرين ، ولاشك ان انتاجها فيه حكمة ، لأن نظم الحياة الرائعة قد علمت العلماء الحكمة ، ثم ان شيئا من هذه الأسرار لا ياتى هكذا عبثا ، ولقد تحقق ما كان يساور ظنونهم ، أن الناقلة المميزة بالعلامة «ى ا ا» او «ى ا ج» قد جاءتا لتكونا بمثابة الفصلة او الشرطة التى تحدد بها بداية جملة ونهايتها ، لأن البروتينات نفسها عبارة عن جمل او فقرات يتكون كل منها من عشرات او مئات الاحماض المتشابكة ، وكأنما هذه الناقلات تقف كعلامات فاصلة بين الطرازات البروتينية اثناء جمعها على مطابع الخلية ، وكأنما لسان حالها يقول : ابدأ «الكتابة» من هنا ، وتوقف هناك !

الرسل والمطابع

وقد يبدو هذا الكلام غامضا بعض الشيء ، لكن أصوله سوف تتضح عندما تتجلى لنا أدق آيات الخلق واعمقها غورا ، إذ مما لاشك فيه ان سؤالا ملحا قد طرا على البال : فالى اين يتوجه اسطول الناقلات بما يحمل من احماض امينية مختلفة ، وفى اى مكان تفرغ كل ناقلة حملها ؟

الواقع أن هدفها مطابع الخلية ، والمطابع مثبتة ومشيدة على حوائط او جدر

ثلاث قصص قصيرة

بقلم: محمد البساطي

١ التوت البري

اعتدنا ان نراها ـ تلك العجوز ـ ونحن فى طريقنا إلى القبور . تجلس امام عشتها على شاطىء النهر بجلبانها الاسود المهلهل ويجوارها المقطف والعصا . ما كانت تبدى اهتمامنا عندما يمر احد على الطريق .. حتى هؤلاء الذين يتقدمون ليضعوا فى المقطف شيئا .

كانوا يحكون فى طفولتنا عن الشياطين التى تحوم دائما حولها . والحرائق التى تشتعل من حين لآخر فى البلدة . والاطفال الذين يموتون خنقا وتطفو جثثهم على سطح النهر .

وكنا رغم تحذيراتهم والعقاب الصارم نجد طريقنا إليها . نتسلل فى الظهيرة ـ تلك الوقت الذى تخلو فيه الشوارع من الكبار ـ وكانت تهش فى وجوهنا . وتضرب بعصاها على جانبى ساقيها الممدودتين وتجمعنا حولها . وتسمح لنا بتسلق اشجار التوت التى تظللها . تلك الأشجار التى لم تلمسها يد قبلنا .

كان الاوغاد يطاردوننا حين نقترب من إحدى الاشجار فى البلدة ويلوحون بسقوطنا من فوقها . فلياتوا الآن ويروا كيف نقفز كالقردة بين الفروع . وفاجاتنا العجوز يوما بحبل جاءت به من داخل العشة . ووقفت تكتم ضحكاتها . وقذفنا بطرفه الى فرع الشجرة واخذنا نتارجح . كانت تدفعنا معنا . وتصهل وقد تناثر شعرها الاشيب القصير . وسرعان ما تتعثر منكفئة وسط تهليلنا . وترقد لاهثة امام العشة . ونتزلق الى النهر . كنا نغوص ونمد اقدامنا الى سطح الماء ، ونتسابق الى الشاطىء الاخر . لا نخشى قطع الحجارة التى كان الاهالى يقذفوننا بها ليخرجونا من الماء وكانما يفزعهم غرقنا . ونراها ، العجوز ـ ما كانت تخلو ابدا من الحيل ـ وقد جاءت بالواح من الخشب واخذت تقذفها الينا ـ تلك الالواح التى تنام فوقها بعد ان تغطيها بالقش ـ ونقفز اليها ونجذف باذرعتنا . ونراها تجرى على الشاطىء بجوارنا ، وتهلل حين يسقط احدنا من فوق اللوح .

عندما كنا نلمح احدا قادما على الطريق كنا نهرع اليها . وتخفينا داخل العشة . ونظل بالداخل نلهث رعبا ، نختلس النظر من بين عيدان الغاب حتى يبتعدوا .

ويحدث دائما ما يجعلنا نبتعد عن العشة . وتطول فترات ابتعادنا . ويستغرقنا البحث عن الرزق . ونمضى .

ونفتح بيوتا . ونرحل عن البلدة ونعود . ويكون لنا أولاد . وحين يتاخرون في العودة الى البيوت .. كنا نفتش فى وجوههم عن آثار التوت ولمعة الاستحمام . ويقسمون لنا من خلال بكائهم انهم لم يذهبوا إلى هناك .

ونراها ـ تلك العجوز ـ حين نمر بها وكان السنوات لم تغير منها شيئا . ونشعر بحركة الاولاد المضطربة داخل العشة . غير ان احدا منا لم يجرؤ يوما ان يتقدم ويسحب الاولاد من الداخل .

٢ الطفل

كل شىء كان معداً لمجيئه . الحجرة القبلية افرغت من اثاثها ، حيث تتدفق الشمس من الشرفة الواسعة ، وتمتد النباتات المتسلقة حول بابها ، وغطيت الجدران بالورق الملون . كان احد الجدران يبدو كبحيرة واسعة زرقاء يسبح فيها بط ويجع وزورق شارد . والجدار المواجه يبدو كمرعى فى ريف اجنبى به قطيع من الاغنام ناصعة البياض وفلاح مورد الوجه يلبس البنطلون والقبعة . وفرش السجاد السميك على الارض الخشبية ، ووضع سرير صغير بسياج فى احد الاركان ، وتناثرت اللعب فى الحجرة .. حصان ، مكعبات ، ارجوحه .

ومرت الشهور الاولى لم يحس به أحد . كان يصحو من النوم ويرضع ثم يعود للنوم .

وتساءل الاب وهو ينحنى فوقه .. ان كان يشبهه ؟

وقالت الام .. ان شكله يتغير كل يوم .

فى الشهر الخامس كان ينام وحده فى الحجرة ويترك الباب مواربا . كانا يتسللان على اطراف قدميهما لينظرا إليه وهو نائم ، ويبدو الطفل وكانما احس بنظراتهما .. كان يتمطى قليلا ثم يفتح عينيه . ويقول الاب :

ـ انه يعرفنـــا

ـ طبعـــا

كان الولد يشب ممسكا بسياج السرير ، وينحنى الاب مقتربا بوجهه ، ويحس بالاصابع اللينة تجرى على شفتيه وخديه ويغمض عينيه مستسلما .

وخرج يوما من الحجرة يجفف وجهه ضاحكا وقال :

ـ اللعين خمش وجهى .. انظرى !

كان وجهه ملتهبا ، واشار باصبعه إلى عينيه :

ـ هنا .. وهنا .

ـ سيكون ولدا شقيا .

وضحكا ، واندفعا إلى الحجرة . كان الولد يدلى قدميه من فتحات السياج ويصيح .

عندما بدا يحبو كانا يخرجانه من السرير ويغلقان النافذة ، ويقفان يصفقان ويتقافزان ، ويزحف الولد ذهابا وعودة وقد رفع راسه ملتفتا اليهما .

ـ يكفى اليـــوم .

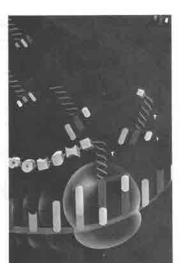
ـ اه . لن نرهقه .

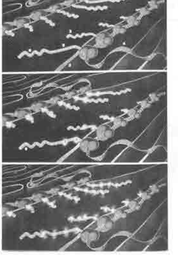
وخرج الاب يوما من الحجرة . كان يضحك منحنيا :

ـ انظرى .. هذه المرة مزق وجهى .

كانت آثار الاظافر محفورة على خديه .

ووقف أمام المرآة :





شكل (٦) يوضح بطريقة مبسطة للغاية عملية تكوين او «طبع» الاحماض الامينية فى جزيئات بروتينية .. والطبع يستلزم وجود شريط مبعوث بالخطة ليلبس فى الريبوسومات R او مطابع الخلية (اسفل الصورة) كما يستلزم وجود ناقلات T تتعرف على الاحماض الامينية بشفرة ثلاثية ، وتتجه بها الى الشريط المبرمج على المطابع ، فتتعرف شفرة الناقلة الثلاثية على الشفرة الثلاثية المقابلة على الشريط .. لاحظ وجود ناقلة وهى تلبس بشفرتها على الشريط المار فى المطابع ، وقد شبكت حامضها الامينى فى السلسلة البروتينية (الخضراء) التى بدات فى التكوين .. وحول الريبوسومات تنتشر بعض الناقلات ، فمنها ما افرغ حمولته ، ومنها ما يحملها وبها يتوجه الى الريبوسومة .. ولمزيد من التوضيح انظر شكل ٦ ب .

للجزيء الناقل للحامض الامينى على الشفرة الثلاثية للشريط المبرمج الموجود فى «الكومبيوتر» الخلوى ـ اى الريبوسومة او مطبعة الخلية ؟

نظنك لازلت تتذكر المبدا الاساسى الذى قامت عليه كل الشفرات ، سواء على الأشرطة الاساسية فى النواة ، او على الناقلات ، او على الشريط المبعوث ، او فى الأشرطة الريبوسومية التى تآلفت فى تكوين المطابع .. فهى دائما أربعة مختلفة ، اى زوجان .. وكل زوج منها يتآلف مع بعضه .. هى فى الشريط الاساسى من «أ» مترابطة دائما مع «ث» ، او «س» مترابطة دائما مع «ج» ، لينتج منها درجات فى سلالم كيميائية متتابعة تقدر بالملايين ، او عشرات ومئات الملايين .

لكن الامر ينطوى على اختلاف بسيط بين الأشرطة الباعثة ، والاشرطة الى ساحة الخلية ، فلكى لا يرقى المبعوث الى مرتبة باعثة ، قام الباعث بابدال حرف واحد محل حرف ، اى ابدل «أ» بالحرف «ى» (أدينين محل يوراسيل) ، وبهذه «السياسة» الكيميائية الحكيمة ، لا يحق للمبعوث ان يتصرف كباعثه !

وعلى هذا الاساس تتعرف الازواج على ازواجها فى ساحة الخلية .. «ى» فى الشريط المبرمج على المطبعة ، تتعرف على «أ» فى الشريط الناقل ، والعكس صحيح ، كذلك تتعرف «س» على «ج» والعكس ايضا صحيح .

خذ لذلك مثالا للتوضيح .. ان الناقل للحامض الامينى بالشفرة الثلاثية س‌س‌ا ، يتعرف على موقعه من الشريط المبرمج على المطبعة عن طريق الشفرة ج‌ج‌ى ، لان «س» دائما تلبس فى «ج» ، «أ» تلبس فى «ى» ـ كما سبق ان قدمنا .. كذلك لو جاء الناقل بالشفرة ج‌س‌ج ، فقالبه على شريط الطبع س‌ج‌س ، كذلك ى‌ج‌ى يقابلها ا‌س‌ا .. وعلى هذه الفكرة الجميلة يعرف كل ذى علامة هدفه وموقعة من المعمعة الهائلة التى تجرى احداثها فى كل خلية حية .

عود على بدء

بعد هذه الجولة السريعة فى قطرة من بحر أسرار الخلايا الحية ، يتضح ان بينها عوامل كثيرة مشتركة ، أو «عملة» عامة موحدة بين جميع الكائنات ، بمعنى انها تستخدم جميعا نفس الاحماض الامينية ، ونفس الشفرات الوراثية ، ونفس الاسطول الجزيئى الناقل ، ونفس الريبوسومات ، لتبنى بها البروتينات ، فلو انك اخذت جزءا من الشريط الوراثى (اى جينة) للانسان ، وزرعته فى ميكروب ، فان الميكروب يستطيع ان يترجمه ، ويعرف شفراته ، ويكون به نفس البروتين الذى يتكون فى جسم الانسان !

إن مثل هذه اللعبة الخطرة التى تتركز فى نقل صفة او صفات وراثية من مخلوق الى مخلوق اخر مختلف ، واكسابه صفة جديدة ، سوف تحدث ثورة هائلة فى علوم الحياة ، وهذا ما يعبر عنه العلماء بثورة الهندسة الوراثية ، لانها ستتمخض عن اهداف غريبة أشد الغرابة على عقولنا وزماننــــا ، لكن ذلك موضــــــوع طويل ومتشعب ومثير ، وسوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنتعلم على اى عصر غريب نحن مقبلون ، لكننا ذكرناه هنا ذكرا عابرا ، ليتبين ان الكائنات جميعا تجمعها فى الخلق اصول كثيرة مشتركة .

لكن بقي سؤال هام : كيف تجيء الانواع مختلفة ، رغم ان اصولها الكيميائية مشتركة ، وعلى راسها الأشرطة الوراثية المبرمجة بنفس الشفرة ؟

السؤال كبير ، والاجابة عليه اكبر ، لكن يكفى ان نذكر ان الاختلاف فى الانواع يرجع الى مضمون الشفرات ، ومرورها فى مراحل تطورية طويلة جدا ، فترتقى معلوماتها وتصقل بمرور الزمن ، حتى توجت مشوارها الطويل ، بظهور الانسان الحكيم ، الذى خلق «من سلالة من طين» .. وكذلك كل الكائنات ، لانها تكونت من نفس العناصر ، لتؤدى الى نفس الفكرة التى حلت فى ملايين الانواع .. كيف ؟

لهذا دراسة قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وندرك ان للخلق ظاهرا وباطنا ، وأنه ينطوى على فكرة موحدة ، تدل على وحدانية الخالق «ولكن اكثر الناس لا يعلمون» .

دكتور عبد المحسن صالح

جمال قطب

أعظم من صوّر المرأة في التاريخ



بيتربول روبنز (١٥٧٧ ـ ١٦٤٠)

مدينة « انتويرب » مسقط راس فناننا « روبنز » بلدة وادعة .. حالمة .. عريقة ، خرجت اجيالا ، من عمالقة الفن الذين اثروا عصر النهضة الاوروبى بكنوز الابداع الرفيع ! وقد عرفت هذه الابداعات فى تاريخ الفن (بمدرسة انتويرب) ، وكان اخر اساطينها هو (بيتر بول روبنز) . وتقع المدينة فى تلك المنطقة من الاراضى المنخفضة فى الشمال الاوروبى ، والتى يطلق عليها الان اسم بلجيكا ، فقد كانت هولندا وبلجيكا فى تلك الايام (القرن السادس عشر) ضمن مجموعة اقاليم متفرقة تحت حكم اسبانيا .

التحق الصبى روبنز ـ وهو فى الثالثة عشرة من عمره ـ عام ١٥٩٠ بمراسم الفنانين في المدينة مبتدئا مسيرة عشر سنوات حافلة ، قضاها متتلمذا على يد للشاهير انذاك ، وتفتحت موهبته وبصيرته ، واظهر نبوغا مبكرا جعله محط الانظار وموضع الرعاية الخاصة من اساتذته الفنانين ، واختلط بالعديد من الشخصيات ذوى الجنسيات المختلفة ، فاكتسب مهارات ومعلومات ولغات كثيرة ، حتى انه اجاد ـ بجانب لغته الفلمنكية ـ عدة لغات اخرى كالاسبانية والايطالية والانجليزية والفرنسية .

وعندما بلغ الثالثة والعشرين ، قصد ايطاليا لدراسة فنون عصر النهضة ، مبهورا بعبقرية ليوناردو دافنشي ومايكل انجلو ورفاييل وغيرهم من الاساطين . وتالق روبنز وذاعت شهرته فى روما وفلورنسا ، ثم قفل راجعا الى بلدته انتويرب لتبدا قصة امجاده الخالدة .. فقد سبقته اليها شهرته ونبوغه وتفوقه وغزارة علمه واتساع مداركه ! وكان طبيعيا ان تسارع الاميرة (إيزابيللا) وزوجها (البرت) ـ وكانا يحكمان انتويربا ـ إلى تعيينه رسام البلاط ومستشارا خاصا لهما

وللفن إيحاءاته وسحره الذى لا يقاوم ! ومراسم الفنانين فى ذلك الوقت كانت هى وكالات الانباء التى تعلن عن الجمال والفتنة الكامنة خلف الاسوار والاستار فى البيوتات العريقة .. فلا غرو ان تتطلع عيون الحسان إلى انامل الفنان الملهمة ، وتمثلت روائعه فى مخيلتهن تطوف العواصم العالمية وتزدان بها المتاحف فى اطر من ذهب !

وكم جلست الاميرة إيزابيللا امام روبنز ليرسمها فى كل الاوضاع ، مما شجع فاتنات الشمال الاوروبى كله لكى يطرقن بابه حبا فى الفن وطمعا فى الشهرة واملا فى الخلود ، ولهذا اطلق المؤرخون على فناننا روبنز « اعظم مصورى النساء فى التاريخ » . وفى عام ١٦٠٩ ، سعت إحدى العائلات إلى الفنان لكى يرسم ابنتها الجميلة المدللة ، وكان اسمها (إيزابيللا برانت) .. فتاة رائعة الجمال فى الثامنة عشرة من عمرها ، تتمتع بجاذبية وذكاء نادرين .. وترددت الفاتنة على مرسم الفنان وما هى الا جلسات معدودة ، حتى كانت قد ملات على الفنان كل حياته .. وكان لابد له من ان يتخذها زوجته وملهمته . ورفع الفنان شعاره الخالد : لتحيا المراة !

وصارت الزوجة الجميلة نموذجه الرائع ونجمة لوحاته الخالدة .. ومع استقراره الوجدانى ، اكتسبت لوحات الفنان طابعا رائقا يزخر بالحيوية والشفافية ! وتالق الفنان هائما بحب زوجته الفاتنة .. وعمت شهرته ارجاء الارض ، ويروى لنا التاريخ انه فى عام ١٦١١ ، رفض اكثر من مائة طلب لرسم كبار الشخصيات فى عصره من رجالات الحكم وسيدات الطبقة الارستقراطية ، ولم يكن ذلك تعاليا او تمنعا ، ولكن ، لان مرسمه كان محجوزا لعدة اعوام تالية !

وقد عرف عن روبنز انه كان يستقبل زائريه ، ويستمع إلى شخص يقرا له شيئا ويتامل لوحة لاحد تلامذته ، ويوجه انتقادات ونصائح لفنان اخر .. يفعل ذلك كله فى وقت واحد ! فلا عجب ان قال عن نفسه يوما « من بين الناس جميعا ، انا اكثرهم عملا ، واشدهم معاناة للارهاق ، كما انى افوقهم ذكاء واستمتاعا بالجمال » ! .. وماتت الزوجة الرقيقة الملهمة .. وكان روبنز قد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولم يزل قلبه ينبض بالدفء والتفتح على عالم الجمال ، فاحب صبية عمرها ستة عشر عاما هى (هيلين فورمان) .. وتزوجها .. طفلة ريفية ساذجة .. وكان هذا منطقيا مع نفسية الفنان وحياته ونفوذه وشهرته !

لقد زهد روبنز حياة البلاط والثراء ، ومل المظاهر الارستقراطية المتانقة ..

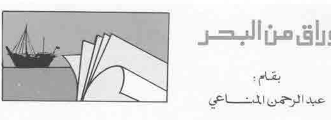
وكان لابد له من ان يعود إلى حياة البساطة على سجيتها وطبيعتها الوادعة .. فاثر تلك الطفلة البريئة على فاتنات عصرها .

إنه فنان .. واى فنان .. انه رجل الامجاد والتاريخ .. روبنز !



من روائع روبنز : ايزابيلا (١٦٢٥)

أوراق من البحر



بقلم :
عبد الرحمن المناعي

رحلة الآلام في الدفتر الأصفر !

لن يستطيع ان يعطي زوجته هذه المرة اكثر من « روبية » واحدة ! لقد اخبره كاتب « النوخذه » ان ديونه زادت بحيث تلزمه العمل لثلاثة مواسم قادمة بدون ان يقبض اكثر من روبية واحدة كل سنة !

شد اصابعه حول القطعة النقدية واقنع نفسه ان روبية واحدة تكفي زوجته لمدة شهرين وربما ثلاثة . وحمد الله كثيرا على انه لم ينجب ابناء حتى الآن .

بعد شهر

وُضِعَ في مقدمة السفينة . والكل ينظر اليه بأسى .

وقف رجل صارم ممسكا بكلتا يديه راسه ورجل اخر امامه يقلب مسمارا طويلا بين جمر التنور الملتهب . اخيرا تم كي صدغه ونام الجميع . وظل هو يتألم .. ينظر الى السماء . وينصت للامواج .. روبية واحده وها انا لا أستطيع سدادها ! شهر من البحث الدائم في أعماق الخليج عن اللؤلؤ ولا شيء . حتى تقيحت اذناه وقرر النوخذه كيها من جديد حتى يستطيع الغوص مرة اخرى !

بعد شهر

وضع راسه بين الحبال . اوثق حبل « الحير » في رجله . ونظر الى « الديين » المعلق حول رقبته . تحسس تلك البقعة الغائرة من القروح التى بدأت تشوه الجانب الأيمن من وجهه . وترك « الحير » يسحبه غائصا به إلى الاعماق بحثا عن « المحار » . لقد اوشك الموسم على الانتهاء ولا شيء ! حتى وجهه المشوه لم يعد يستدر عطف النوخذه المتجهم . والذى يزداد توتره بمرور الأيام . لم يعد يفكر وهو يبحث بين الصخور في غير زوجته والروبية .

بعد شهر

تركته زوجته الحانية يتألم على فراشه وذهبت إلى زوجة النوخذه تستجدى روبية اخرى . كى تشترى بعض الأعشاب لعلاج قروح زوجها التى استشرت حتى وصلت كتفه الايمن . اخيرا وبعد مشاورات متجهمة احيلت المسكينة إلى كاتب النوخذه ليمنحها الروبية ويسجل في دفتره الاصفر روبية اخرى على حساب زوجها .. حتى للوسم القادم ! !

من قاموس البحر والغوص

● يتعرض الغواص للآلام المبرحة فى اذنيه اثناء الغوص نتيجة دخول الماء فيهما . وبقائه مدة طويلة فى اعماق البحر . وعملية « الكى » حول الاذن . مهمتها ايقاف هذا النوع من الآلام الشديدة . لكنها لا تحول دون خراب الاذن إلى الأبد !

الروبية

●● عملة هندية تعادل الآن ١/٤ دولار امريكى ولكن قيمتها الشرائية ايام الغوص – اى ما قبل عام ١٩٤٠ – كانت تعادل ٢٥ دولارا أمريكيا .

النوخذة

●● هو قبطان السفينة . وربما يكون صاحبها انه شخص ذو دراية بالبحر ومناطق صيد اللؤلؤ . خبير بانواع اللؤلؤ وأوزانه كذلك عالم بفن الملاحة بواسطة الظواهر الطبيعية واصل الكلمة فارسيه من شقين « نو » وتعني سفينة « خدا » وتعنى رب اي رب السفينة .

الحير

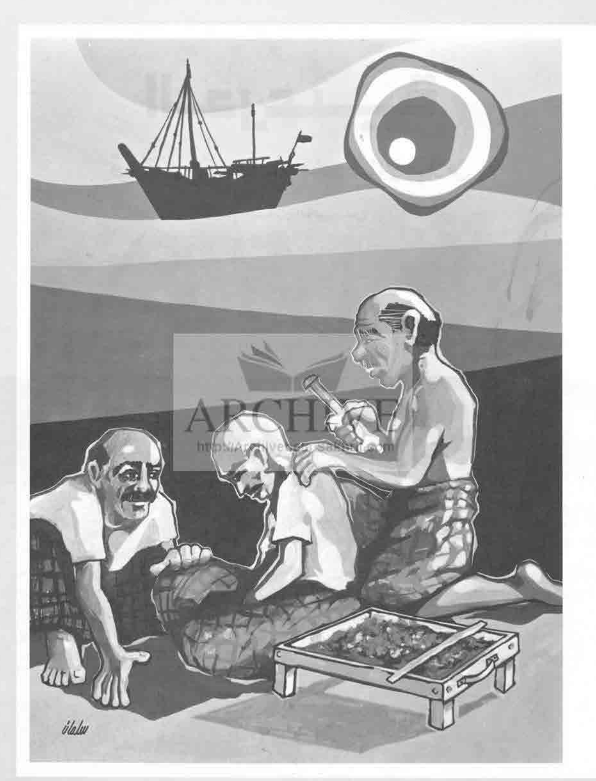
●● قطعة من الرصاص توضع برجل الغواص كي تسرع به نحو اعماق البحر .

الديين

●● سلة مصنوعة من الحبال توضع حول رقبة الغواص ليضع بها المحار .

المحار

●● الصدفة التى ينمو بداخلها اللؤلؤ



الدرعية

قصة مدينة بلغت أوج مجدها الإسلامي

بقلم : فوزي الخميس

لقطة نادرة لمدينة الدرعية من الجو .. وهي المدينة التي تقع في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية وتلك المنطقة ـ كما نعرف ـ لعبت دورا هاما في التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده





مازالت الحضارات البشرية كامنة فى ربوع المملكة العربية السعودية ، لأن العلم الحديث لم يبدأ بعد فى استنباطها والتعرف على كنهها ، فاذا أضيف الى ذلك ما تكتنفه طيات التاريخ المكتوب من عطاءات حضارية ، قدمتها هذه الأرض إلى العالم ، لوجدنا السبب فى أنها كانت بعد ذلك ، وبمشيئة الله تعالى ، مهدا لأسمى رسالات الهدى والخير لبنى الانسان ..

من هنا ، أسفر البحث العلمى المعاصر على أن عهد الاستقرار البشرى فى الجزيرة العربية ، يعود الى أقدم عصور ما قبل التاريخ ، وأن بوادر المكتشفات الجديدة حول مناطق المستوطنات الحجرية القديمة تؤكد أن بعضها يرجع زمنه إلى حوالى أربعين الف سنة ، وقد بات يقينا أن بعض مناطق الجزيرة قد ساهمت مساهمة فعالة فى قيام احدى الحضارات الأولى للانسان ..

وانطلاقا من أهمية ذلك ، قسم المجلس الأعلى للآثار فى المملكة العربية السعودية مناطق الآثار ، الى ست مناطق : الوسطى ، والشرقية ، والشمالية ، والشمالية الغربية ، والغربية ، والجنوبية الغربية ..

وتختلف الآثار حسب اختلاف المناطق ، وانتشار الحضارات التى سادت ثم بادت ، فمن الثموديين الذين عقروا ناقة الله فى الشمال الغربى من البلاد ، الى اليهود الذين احرقوا الاخدود فى الجنوب الغربى إلى مناطق عاد فى الربع الخالى ، الى غير ذلك من الشعوب والأقوام والحضارات ..

الا أن أكثر تلك المناطق أهمية هى المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية ، خاصة تلك الواقعة فى العمق من (وادى حنيفة) وعلى مسافة عشرين كيلومتر من قلب مدينة الرياض ، حيث كان موعدى مع مدينة « الدرعية » التى بلغت أوج مجدها فى عهد الداعية الاسلامى الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمى النجدى

لقطتان .. الأولى لبعض سكان المنطقة الوسطى بملابسهم المتوارثة اثناء الاحتفالات القومية .. واللقطة الأخرى لقصر « المصمك » بالقرب من الدرعية



اصل المدينة

ومدينة الدرعية ـ كما نعرف ـ تقع فى المنطقة الوسطى من المملكة ، وهذه المنطقة التى هى نجد تشتمل على : العارض ، والوشم ، سرير ، القصيم ، الخرج ، وادى الدواسر حيث تكثر التلال الشامخة ذات الكهوف والمقابر التى لم يجر التنقيب الا فى موقع واحد منها فقط هو قرية « الفاو » الوسطى .. اى انها تقع فى منطقة لعبت دورا هاما فى التاريخ العربى قبل الاسلام وبعده ، فهذه المنطقة هى التى كانت تسمى « اليمامة » والتى كان يمتد نفوذها السياسى الى حدود العراق شمالا واليمن جنوبا ، وكان سكانها قبل الدولة السلفية مجموعة من القبائل ابرزها قبيلة عنزة ، ممن كانوا يزرعون فى حدائق بيوتهم احراج النخل الواسعة واشجار الخوخ ، وعرف بها شجر التين ايضا ، واشتهر سكان هذا المكان بتربية الخيول الاصيلة ذات السلالات العريقة المعروفة جيدا فى انحاء شبه الجزيرة العربية ، ويقول ابن خلدون إن سوقا كانت تقام للعرب فى ذلك المكان من محرم من كل عام !

الا انه مع تحول التجارة الاوربية الى رأس الرجاء الصالح وهيمنة الاستعمار الغربى على الخطوط البحرية الاسلامية ، يبدو ان ذلك كان له الاثر فى الناحية الاقتصادية والفكرية فى شبه الجزيرة العربية ..

وقد زارها فى إبان مجدها عام ١٨٠٧ مبعوث من قبل المقيم الانجليزى التجارى فى الخليج ويدعى « مانستى » ، ومر بها « سادلير » الرحالة الانجليزى المبعوث من حكومة الهند الى ابراهيم باشا الذى كان ينسحب من البلاد قبيل عام ١٨٤٠ ، ووصف « سادلير » خراب الدرعية فى مذكراته المشهورة ، وزارها الرحالة المشهور « بالجريف » عام ١٨٦٢ فى الأيام الأخيرة من حياة الامام فيصل بن تركى ايام المرحلة الوهابية الثانية ..

فالدرعية مدينة تاريخية ، بمنطقة العارض من نجد ، نشأت اهميتها فى الدرجة الاولى بسبب موقعها الجغرافى على طريق القوافل ففى عهد الازدهار التجارى كانت تربط البحر الاحمر بالخليج وفى احسن حالاتها بلغ سكانها سبعين الف نسمة وفى اقل الحالات وصلوا الى ثلاثة وثلاثين الف !

ويعود السبب فى تسمية « الدرعية » بهذا الاسم الى ان مواطنا من اهل القطيف بالمنطقة الشرقية من المملكة ، ومن ضاحية فيها تسمى الدرعية نسبة الى الدروع ، قام قبل منتصف القرن التاسع الهجرى بزيارة لابن عم له فى « منفوحة » احدى ضواحى الرياض الآن ، وكان ابن عمه هذا يسمى (ابن درع) وهو زعيم قبيلة الدروع فى منفوحة ، فمنح ابن درع ضيفه وابن عمه قطعتى ارض تبعدان ١٢ فرسخا عن اراضيه فى اعالى وادى حنيفة ـ اشهر اودية نجد ـ وعندها بدأ الدروع يهاجرون ناحية ابن عمهم ويقطنون الوادى ، ومع تقادم العهد صار المكان يدعى بالدرعية !

ويؤكد المؤرخون أن هذا الضيف الذى وفد على ابن عمه فى منفوحة ، هو « مانع المريدى » ..

وعبر القرون اصبحت الدرعية قاعدة المنطقة ، بل عاصمة الامبراطورية ، تحكم لمدة خمسة وسبعين عاما ما بين الشام والعراق شمالا ، الى عمق اليمن وعمان جنوبا ، ومن البحر إلى البحر غربا وشرقا ..

وفى هذه الفترة كانت الدرعية منطلقا للدعوة السلفية التى نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واحتضنها الائمة الاعلام من ال سعود ، ولاقوا فى سبيل نشرها وإظهارها الكثير من العنت والارهاق فاعزهم الله بها ، وكانت لهم الكرة والعاقبة ..

الحركة الاصلاحية

وفى ذات يوم كانت الجزيرة العربية مقسمة الى قبائل تتصارع على الماء والكلا يسودها قانون الغاب الذى يجيز للقوى اكل الضعيف ، طرقاتها كانت غير امنة ، ومسالكها محظورة ، فى رمالها يكمن الخوف وفى سفوح جبالها وقممها تفوح رائحة الشر !

وكانت « نجد » مرتعا خصبا للخرافات ، وذهب فيها المسلمون الى الخزعبلات وعبادة الأموات وتعظيم السادة والكبراء وتقديس بعض الاشجار ، وراح الناس يحجون الى قبر زيد بن الخطاب .. كانت الحياة فيها وقتئذ لا تخرج عن قحط ومتاعب وجراد وغزو وجهل واطماع

نموذج من طراز البيوت القديمة فى المنطقة الوسطى التى مازالت تحمل طابعها الشبيه بالقلاع .. ومازالت مسكونة إلى الآن !

خارجية . وحتى المطر ـ اذا هطل ـ فانه يؤدى الى فيضانات تجرف البيوت كما حدث فى « العيينة » !

وفى اوج هذا الضياع والقتل فى «نجد» ولد عام ١٧٠٣ ميلادية محمد بن عبد الوهاب فى بلدة العيينة ، وكان ابوه قاضيا وجده قاضيا . وعلموه فى طفولته اصول الدين ، ووضعوا بين يديه المراجع الدينية والمؤلفات ، فشب متاثرا بابن تيمية ، وحج لمكة المكرمة قبل تمام العشرين . ودرس فى المدينة المنورة واراد بعد ذلك ان يسافر الى دمشق ، فمر بالبصرة ومكث فيها فترة واصل بعدها رحلته ، وكاد فى الطريق أن يموت عطشا لولا عناية الله ـ فعدل عن زيارة دمشق وعاد الى الاحساء ، ومنها قصد (حريملا) وظل مجاورا لأبيه القاضى المعزول الى ان توفى والده فبدا حركته الاصلاحية عندما ذهب الى بلدة العيينة وقابل اميرها عثمان بن معمر بن حمد ..

بدا محمد بن عبد الوهاب حركتـــــه الاصلاحية بقطع الاشجار المقدسة المنسوبة الى الاولياء ، وهدم القبر الذى يحج إليه الناس ، ونبذ البدع ، فغضب بنو خالد من حاكم العيينة وطلبوا منه تسليمهم محمد بن الوهاب ، لكنه لم يسلمه وخيره بما يراه ، فراى ان يذهب الى الدرعية فى ١٧٤٥ ميلادية حيث يعيش ويحكم امراء ال سعود فى قلعة الطريف ، فسكن الشيخ فى ضاحية « البجيرى » وبدا يدرس ويواصل دعوته ، واستجاب الأمير محمد بن سعود لهذه الدعوة ، واحتضن الشيخ ، وعاهده على السراء والضراء ، ونصرة الدين ، واحياء سنة الرسول الكريم ومن بعده فعل ابنه عبد العزيز الأول فزادت اهمية الدرعية ، مما زاد من غضب الأمراء المجاورين لها وبداوا فى محاربتها .

وانقلب الوضع تماما ـ كما يقـــــول المؤرخون ـ خاصة عندما استنفذ بنو خالد كل جهدهم ، وحاصروا الدرعية وضربوها بقنابل المدافع ، واستمر النضال من اجل هذه الدعوة فى ايام عبد العزيز بن محمد اكثر مما كان فى عهد ابيه ، وكذلك فى عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد ، الى ان تم فتح الأماكن المقدسة وسائر بلاد نجد والاحساء ، واصبحت الدرعية عاصمة دولة كبرى ، يعاكسها الأتراك ، ويتامر عليها الانجليز ، وينتدبان لها محمد على باشا !

تخليد الآثار والمعالم

وعند مدخل الدرعية استقبلني رجل قضى بين القصور والنخيل فى الدرعيـــة اكثر من سبعين عاما . وصحبنى فى جولة بين الأطلال والآثار .. انه على بن عبد الله بن منيع الذى اشار لى نحو المنزل الذى عاش فيه محمد بن عبد الوهاب .. وقال لى! إن هذا المنزل مضى عليه اكثر من مائتى عام ومازال مسكونا ، ولولا الحرج من سكانه لدخلنا اليه وشاهدناه من الداخل باعيننا !

وفى المدينة العريقة ، عرفت انه كما كانت الدرعية قاعدة للدولة السعودية الأولى ، كانت ايضـــــا منطلقـــــة للدولة السعودية الثانية ، فمنها انطلق المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الى الرياض عام ١٩٠٢ ، ووصلها ومعه ستون رجلا ، وتسلق قصر «المصمك» بعشرة من خاصته ، واقتحمه صباح اليوم الخامس من شوال عام ١٣١٩ هـ ، ودارت المعـــركة بينه وبين « عجلان » عامل بن رشيد على الرياض انذاك ، وبانتصاره تمت استعادة الرياض ..

والمعـــــروف ان قصر « المصـــمك » او « المسمك » الذى يتوسط مدينة الرياض ، امر بانشائه الامام عبد الله بن فيصل بن تركى قبل أكثر من مائة وعشرين عاما ..

وهذا القصر عبارة عن بناء ضخم شامخ سميك الجدران ، له اربعة ابراج فى جوانبه الأربعة وبرج خامس فى وسط المبنى وله بوابة كبيرة خشبية فى وسطها، الى الاسفل باب صغير يسمى (بالخوخة) .

وللمبنى طابع حربى ، له صفة القلاع والقصور المنيعة المحصنة ، ويعد نموذجا حيا لهذا النوع من العمارة التى انتشرت فى هذه الفترة من الزمان فى الجزيرة العربية ، فهو يمثل فن العمارة الحربية الاسلامية العربية فى القرن الثالث عشر الهجرى ..

وللعبرة والذكرى ، والمحافظة على اثار الدرعية ومعالمها ، وتمجيدا وتخليدا لذلك المنطلق العملاق الذى ترك فى مسامع الزمن دويا لا ينفك صداه ، ولا يمحى اثره ، فقد وافقت الحكومة السعودية على مشروع متكامل ، يبرز هذه الآثار ويرمم ما اكل عليه الدهر وشرب ، لتكون منطقة سياحية بارزة بمكتبتها وصالات عرضها ، واستخدام الصوت والضوء بها ، وبحدائقها وفنادقها . ولعل لنا عودة بعد انتهاء المشروع لنتحدث عنه بافاضة وعمق .

فوزى الخميس



الصيد بالصقور .. من العـــادات المتوارثة بين سكان المنطقة الوسطى



باب خشبى قديم فى المنطقة يتميز بطابعه الشعبى ومتانة ابواب الحصون !



الفنان الفلسطيني امين شموط .. يروى عذاب الفنانين التشكيليين في الارض المحتلة

الموت خارج الخيمة .. لوحة معبرة عن ماساة الوطن وتضحيات الانسان الفلسطيني من اجل استرداد أرضه

بقلم: حسن الملا

العشق المشترك للفنان الفلسطيني





قبيلة كرة القدم

الفريق الايطالي ملقى على الارض ، يقبل بعضه البعض عقب فوزه على فريق المانيا الغربية فى مدريد ، بثلاثة اهداف ضد هدف واحد



عرض وتلخيص :
مجدي نصيف



فريق البرازيل اثناء تسديده ضربة الجزاء الشهيرة ضد فريق ايطاليا في مباريات كاس العالم

اخرجت المطابع البريطانية عددا كبيرا من الكتب هذا العام ، عن كرة القدم ، وتناقش هذه الكتب التى تطبع لمشجعي الكرة بالآلاف ، العديد من القضايا ، من بينها تاريخ كرة القدم ، وتاريخ كاس العالم ثم اشهر اللاعبين وغير هذا مما يهم المشجعين .

لكن لعل اهم والطف هذه الكتب ، هو كتاب « قبيلة كرة القدم » بقلم ديزموند موريس والذى وصلت عدد صفحاته الى ثلاثمائة من الحجم الكبير .

وهو يقدم تحليلا عميقا رائعا لسوسيولوجية هذه اللعبة ، من خلال كتابته عن اللاعبين والمديرين والحكام والمشجعين واللعبة نفسها بقوانينها وعاداتها واحتفالاتها . إن الكاتب ينظر إلى اللعبة ، كاحدى نواتج « الجنس البشري » الذى قدمه من قبل فى كتابه الرائع « القرد العاري » . والكتاب الدراسة يشمل الى جانب التحليل العميق الجديد ، اكثر من ٦٠٠ صورة ملونة والعديد من الرسومات التوضيحية .

تقول الاحصائيات إن حوالي الف مليون من بني البشر قد التفوا حول اجهزة التليفزيون فى جميع انحاء العالم لمشاهدة المباريات النهائية فى كاس العالم . وهذا يعني ان ربع سكان كرتنا الارضية قد تركوا كل شيء ليتفرغوا لمشاهدة الكرة .

لمـــــاذا ؟

يقول ديزمونـد موريس فى كتابه إن « الحيوان البشري » فصيلة غير عادية . فمن بين كل الاحداث فى التاريخ البشري ، فان الحدث الوحيد الذى يجتذب أكبر عدد من الناس ، ليس حدثا سياسيا كبيرا ، أو احتفالا خاصا ببعض الانجازات الهامة فى الفنون أو العلوم . انه لعبة كرة بسيطة اسمها « كرة القدم » . لقد قالت الاحصائيات إن ربع سكان العالم قد ركزوا انتباههم فى المباريات النهائية على رقعة



قبيلة كرة القدم

صغيرة من العشب ، حيث يتبادل اثنان وعشرون شخصا ضرب كرة فى كثير من الجهد والتركيز .

وإذا كان هناك سفينة فضاء ، بها رواد فضائيون من كوكب آخر ، يراقبون هذا الحدث ، فكيف سيفسرون ذلك ؟ ماذا سيسجلون فى يوميات سفينتهم عن كوكب الارض وسكانه ؟ هل سيكتبون ان هذه رقصة مثيرة ؟ ام معركة تقليدية بين مجموعتين من الناس ؟ ام هو احتفال شعبى

على اي الاحوال فانه إذا اثار هذا الحدث فضولهم ، فسيقومون بعملية مسح شاملة للمدن البشرية فى انحاء العالم . وسيكتشفون بسرعة أن كل مستوطنة كبيرة قد شيدت بناية كبيرة . بفجوة خضراء فى وسطها ، يتقاذف عليها عدد من الرجال ، كرة ، ويمكن مراقبتهم فى فترات منتظمة يلجاون الى هذا التجويف الأخضر . واضح أن لتقاذف الكرة بعض المغزى لدى الجنس البشرى ، هاجس فريد لا يشاركه فيه اي من مئات الآلاف الأخرى من أشكال الكائنات الأخرى الموجودة على كوكب الارض .

ستكون المشكلة الكبرى لهؤلاء الغرباء من الفضاء ، هي اكتشاف دور هذا النشاط الغريب ، لماذا يقوم به الآلاف من الناس ، ولماذا يشاهدهم الملايين يقومون به ؟ وما الاشباع الذى يمكن أن ياتي به ؟ تبدو المسالة وكانها ليست أكثر من لعبة أطفال ، متعة غير ضارة تحصل عليها من إدراك انك « تركل » ذلك الشيء المستدير ، فتنتج حركة مذهلة اكثر بكثير مما ينتجه ضرب اي شيء اخـر .

هذا هو ما وضعه المؤلف ديزموند موريس فى اعتباره ، بعدما قرر أن يقوم ببحثه الخاص فى هذا المجال . وسرعان ما اتضح له بأن كل مركز من النشاط الرياضى ، كل ناد لكرة القدم ، منظم كقبيلة صغيرة كاملة بمنطقة قبلية ، رجال القبيلة الكبار ، والحكماء ، والأبطال ، والتابعين ، وغيرهم من رجالات القبيلة . « حين دخول ارضهم احسست كانني من أوائل المكتشفين لارض بدائية ، لم افهم كثيرا من صرخاتهم المدوية او عروضهم الملونة ، او عصبياتهم البدائية ، أو تقاليدهم المهووسة . بدا لي أن أفضل سبيل هو التصرف كانني حقيقة

عالم انثروبولوجيا ، يقوم بدراسة ميدانية محايدة لـ « قبيلة كرة القدم » .

الأصول القبلية

توجد جذور « قبيلة كرة القدم » فى ماضينا البدائي ، حين عاش اسلافنا القدامى وماتوا كصيادين للحيوانات البرية وينتمي معظم تاريخ الانسان التطوري — تقريبا — لفترة الصيد تلك ، حين كانت ملاحقة الفريسة ، ليست رياضة ، وإنما مسالة حياة او موت . لقد شكلتنا هذه الفترة ، وجعلتنا وراثيا ، ما نحن عليه الآن ، وغيرتنا تغييرا جذريا وحتى نكون صيادين مهرة ، كان علينا أن نكتسب مجموعة كاملة من الصفات العقلية والجثمانية .

هكذا اصبح اسلافنا الصيادون القدامى أكثر رياضية تدريجيا ، واكثر ذكاء فى نفس الوقت . وباستخدام هذه المزايا ، والعمل معا كفريق ، أصبح بقدرتهم التخطيط لاستراتيجيات : اختراع التكتيك .

والمخاطرة ، ونصب الشباك ، واخيرا التصويب للاصابة فى مقتل . هنا ، لابد وأن نقر بذلك ، يبدون وكانهم نواة مثالية لفريق كرة قدم . وفي اعتقاد المؤلف ان هذا ليس مصادفة .

كيف تم الانتقال من قاتلي فرائس الى مسجلي أهداف .؟

الجواب فى كلمة واحدة : الزراعة .

فبعد اكثر من مليون عام من الصيد ، والتقاط الفواكه والثمر ، اكتشفت البشرية لن من الاكفا والأفضل ، إمساك الفريسة ، واحتواءها ، واستئناسها ، وتربيتها ، وان تبذر محاصيل خاصة بدلا من البحث عن الفواكه والحبوب البرية . وقبل عشرة آلاف سنة ، استقر اسلافنا — الصيادون الشجعان — على أن يصبحوا مزارعين مسئولين . كان العائد كبيرا ، وكان الطعام قد اصبح متوفرا ، حتى لقد امكن تخزينه ليتوفر فائض كبير . . لكن ، كانت هناك خسائر ايضا . فقد جاءت هذه « الثورة » بسرعة كبيرة ، فلم تلائم الحياة الاهدأ نفسيات الصيادين القدامى . كنا لانزال بحاجة لتحدى المطاردة ، والتحركات التكتيكية المثيرة ، ومواجهة الأخطار ، والمخاطرة ، ثم الوصول الى الذروة الكبرى . بالقتل ، وكان هذا شيئا عجزت المزارعة الروتينية عن تزويدها .

كان الحل من السهولة بمكان : ان نحافظ على المطاردة المثيرة ، بعد ان توقفت ان تكون مسالة حياة او موت . وكانت لاتزال هناك اراضي الصيد لمن يأخذها ، إذ لم يكن



الجماهير فى مباراة اسبانيا والمانيا الغربية

العالم قد ازدحم بعد بسكانه . وهكذا استمر الصيد ، لا كوسيلة للبقاء ، بل للترفيه . ودخلت البشرية بذلك عصر «الرياضات الدموية» .

عصر الرياضة

وبعد « الثورة الزراعية » جاء انفجار المدن . ظهرت مدن كبرى مزدحمة ، فلم يعد هناك مكان لرياضة الميدان ، ولا أمل فى الاستمتاع ببهجة الصيد . هنا توصل الرومان القدماء الى حل للمشكلة بطريقة كانت مهمة جدا لتطور « قبيلة كرة القدم » فيما بعد ، لقد اضطلعوا بالمهمة العصيبة ببناء حلبة ضخمة ، اسمها الكولوسيوم ، وبهذا اتوا بالصيد الى الناس ، بدلا أن يخرج الناس للصيد ...... واستمرت هذه « المذابح » فى تلك الرياضة الدموية لحوالي خمسمائة عام ، حتى الغيت فى النهاية . خلال تلك الفترة ، شيدت اكثر من ٧٠ حلبة مماثلة فى المناطق الرومانية ، ورغم ان احدا منها لم يكن يكبر «الكولوسيوم» الاصلي . ولقد كانت هذه البناية الضخمة تسع لجمهور يتراوح عدده ما بين ٤٥ الف متفرج ، اي ما يوازي عدد المتفرجين فى اية مباراة كرة قدم كبرى اليوم . لكن الفارق ان مساحة الحلبة كانت اصغر من مساحة ملعب كرة القدم ، حتى يكون تاثير الذبح مباشرا .

لكن رغم الغـاء هذه الرياضة الدموية ، ظل العديد من تراث هذه المؤسسة الرومانية ، وابرزها مصارعة الثيران ، التى بعد ان اكتسبت شعبية من الالعاب الاولمبية ، لاتزال الآن تعيش فى شكل حلبات مصارعة الثيران فى اسبانيا وغيرها . وهذا هو ما تبقى فقط من رياضات حلبات الدم القديمة .

التراث الثالث ، كان مطاردة الحيوانات بكلاب ضارية اطلق عليها اسم «كلاب الصيد» ، وخاصة مطاردة الثيران ، التى هى اكثر شراسة من مصارعتها ، حيث يطارد الحيوان المنكوب بالكلاب ، للترفيه . وقد انتشرت هذه الرياضة فى انحاء اوربا فى العصور الوسطى ، واستمرت فى انجلترا حتى اوائل القرن التاسع عشر .

وانتهت رياضات الدم بافول القرن التاسع عشر ، وبدات «جمعيات الرفق بالحيوان» فى الظهور . وتوافق أفول هذه الأنواع من الرياضة ، مع اتجاه اجتماعى جديد ، حركة الجماهير الواسعة من الحقول الى المصانع حين تعاظمت «الثورة الصناعية» . لكن تآلف هذين الاتجاهين ادى الى خلق فراغ كبير فى ترفيه قطاعات عديدة من سكان المدن ، من كاسبي الاجور العاديين . لذا تهيا الجو لحقبة جديدة فى «عمليات صيد» مشابهة . كانت صيغة جديدة من الرياضة على وشك الانفجار فى العالم كله : رياضة الحلبة الخالية من الحيوانات ومن الدماء . العاب الكرة . لم تكن العاب الكرة جديدة . كلا . إذ تواجدت فى أيام الرومان واليونانيين ، وإن لم تؤخذ «بجدية» . صحيح انها قد اعطيت دفعة الى الأمام حين تبنى «الاسكندر الاكبر» العاب الكرة ، إذ كان سريع العدو ، بفضل الالعاب الجسمانية ، إلا انه اضطر للتخلى عن الجرى ، لأن منافسيه كانوا ينافقونه فيسمحون له دائما بالفوز . لكنه حين اتجه الى رمى الكرة كشكل من اشكال التمرينات الرياضية ، قلدوه بسرعة . وقبل مرور فترة طويلة ، شيدت ملاعب الكرة اولا فى اليونان ثم بعد ذلك فى روما . بل ولقد دفئت احدى ساحات الكرة هذه ، بتدفئة تحت أرضيتها ، لاستخدامها فى الشتاء . وانه لمن العار ان نرى الآن ، بعد مرور الفى عام ، ان بعض مباريات كرة القدم تلغى فى الشتاء بسبب الملاعب المتجمدة فى أوربا .

صادف القدماء مشكلة تكنيكية واحدة ، إلا وهي انتاج الكرة المستديرة تماما . كانت الكرات خفيفة الوزن ، مصنوعة من مثانات الثيران او الخنازير ، تنفخ بالهواء ، قبل اللعب ، لكنها كانت سريعة الانفجار . أما الكرات الأثقل وزنـا ، فكانـت تصنـع **باستخدام حشو من الريش او الشعر . لكن أيا من هذين النوعين من الكرات لم يكن مناسبا للالعاب السريعة ، وربما كان هذا هو السبب وراء بقاء العاب الكرة القديمة شكلا من الالعاب غير الرسمية ، ولا تنافس** عليها . شيئا كالعاب «الرمى» التى نراها على شواطىء المصايف .

وقد ذكر بعض الكتاب ان اللعبة القديمة التى يطلق عليها اسم «ييسكورس» ، تبدو وكأنها «أم» العاب كرة القدم الحالية . لكن خبراء الكرة يرفضون هذه الفكرة ، وثبت بالفعل انها من نمط آخر ، وبالفعل ، فلانها لعبة لا تنافس فيها ، لم تجذب كثيرا من المشاهدين ، وعلى النقيض ، فان الملعب الذى كانت تجرى فيه سباق عربات الخيول كان يضم احيانا ما يقرب من ربع مليون متفرج ، اكثر بكثير مما يتسع له اكبر ملاعب كرة القدم الحديثة .

فى القرون التى تلت ، ظلت العاب الكرة العابا خشنة ، غير رسمية ، قليلة الأهمية بدون تنظيم . لكنها لم تمت ابدا ، وكأنها ظلت كامنة تنتظر الانطلاق . وبتدهور حال الرياضات الدموية ، ثم اندثارها ، جاءت اللحظة الحاسمة للانطلاق ..

المدارس الانجليزية العامة ، بدات تحت الشعار المشهور «العقل السليم فى الجسم السليم» وادرجت ضمن العاب المدرسة الرياضية .

اما فى مدرسة رجبي ومدارس اخرى . فقد تطورت اللعبة الى شكل آخر اصبح



حماس الجماهير فى مباراة الجزائر والمانيا الغربية







الجماهير الغفيرة تحمل اعلام بلادها

علم الجزائر وخلفه الجماهير المشجعة .. ولقطة اخرى للجمـــــاهير فى مباراة فرنســــا وانجلترا

كتاب الشهر

قبيلة كرة القدم

فيه إمساك الكرة باليد اهم من ضربها ، وتطورت هذه الكرة الى «الرجبى» . واصبحت هاتان هما اللعبتان الرسميتان فى نفس الوقت تقريبا . وسرعان ما ظهرت «مؤسسة كرة القدم» فى عام ١٨٦٣ ، و «اتحاد الرجبى» عام ١٨٧١ .

وفى بلاد اخرى تطورت العاب مختلفة . فى ايرلندا نمت شعبية لعبة مشتقة من «الرجبى» و «كرة القدم» ، وتسمى «كرة الجيليه» . وفى استراليا تطورت لعبة كرة قدم من هذا النوع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن تحت تأثير لعبة الكرة التى كان يمارسها الكنديون فى مونتريال ، تحول الأمريكيون من ضرب الكرة الى امساكها ، أي لعبة « اهرب بالكرة » ، وفى عام ١٨٧٤ ولدت كرة القدم الأمريكية . وبمرور الوقت اختلفت قليلا عن كرة القدم الكندية ، حتى اصبحتا الآن لعبتين مختلفتين تماما رغم انهما مشتقتان من « الرجبى » .

لكن كرة القدم المعاصرة اخذت تشق طريقها لتصبح الاكثر شعبية وإثـــارة ، واصبحت هي الرياضة الاولى فى جميع دول العالم ، قبل الرياضات الاخرى وقبل انواع العاب الكرة الأخرى ايضا .

كاس العالم

ثم يستطرد المؤلف فى الحديث عن نشاة كرة القدم وتطورها ، فيقول ان كاس العالم ، اقترح عام ١٩٠٤ عندما تاسس «الاتحاد الدولى لكرة القدم» وحيث اتحادات الكرة البريطانية تشكيل الاتحاد الذى يتبنى كرة القدم فى جميع انحاء العالم ، بعد ان ظهرت فى بريطانيا فى البداية ، وإن ظلت الهيئات البريطانية لكرة القدم هى مصدر قوانين الكرة وتشريعاتها .

لكن كان لابد وان تتدخل السياسة فى



الكرة وكاس العالم . فسرعان ما جاءت الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهائها رفض البريطانيـــون والفرنســـيون والبلجيكيون واللوكمسبورجيون لعب اى مباريات ضد المانيا وحلفائها السابقين . لكن اللعب عاد مرة اخرى عام ١٩٢٤ . وفى عام ١٩٣٠ اتخذ قرار بان يقام كاس العالم فى أوراجواى ، وبعد ذلك كل اربع سنوات . لكن الاوربيين غضبوا بسبب منح بلد متخلف مثل أوراجواى شرف اقامة البطولة الدولية على أرضه ، فلم يعبر الاطلنطى غير اربع فرق ، وكان مستوى اللعب بائسا والتحكيم سيئا ، ووصل التعصب الاعمى للفرق الى حد فظيع ، وانذاك هزمت أوراجواى الارجنتين ، مما قلـــب مونت فيديو العاصمة الى ساحة معارك بين الجمهورين ، وهاجم الارجنتينيون سفارة أوراجواى ببوينس إيريس .

واقيم كاس العالم عام ١٩٣٤ فى ايطاليا فقاطعه فريق أوراجواى بسبب تكبر الفرق الاوربية عام ١٩٣٠ . لكن ساحة الالعاب تحولت الى استعراض فاشى بواسطة موسولينى ، ولعبت قطعانه دوراً رئيسياً وارهابياً فى انتصار الفريق الايطالى على تشيكوسلوفاكيا . وتوقفت مباريات «كاس العالم» بطبيعة الحال اثناء الحرب ، وعندما استؤنفت بعد ذلك خلت ـ الى حد ما ـ من المعارك السياسيـــة ، وإن لم تخـــل من تعصب المتفرجين . ففى عام ١٩٥٤ حدث شجار فى سويسرا بين فريقى المجر والبرازيل ، وتبادل اللاعبون اللكمات والضرب ، وعندما طرد بعضهم ، استانفوا الشجار فى غرف الملابس بعد المباريات . حتى لقد اطلقت الصحف على مباريات كاس العالم النهائية هذه اسم «موقعة برن» وهى العاصمة التى اقيمت فيها المباريات .

واستضافت الارجنتين مباريات كاس العالم ١٩٧٨ ، وانتقد هذا بشدة بواسطة تنظيمات حقوق الانسان فى العـــــالم وبذلت محاولات عدة لمقاطعة الدورة ، بسبب ممارسات النظام الارجنتينى من إلقاء القبض على الآلاف من المعارضين ، وتدبير عمليات اغتيال ، واختفاء أطفال السياسيين .

ولكن كاس العالم ١٩٨٢ ، مر بدون عواصف سياسية مماثلة

... وسوق مالى

هكذا أصبحت «كرة القدم» اكثر الالعاب شعبية على الاطلاق ، وفى كل بلد من بلاد العالم . وتحولت اللعبة لتصبح «صناعة» ضخمة متشعبة بالمفهوم الحديث ، تحولت الى «سوق مالى» بالمعنى العلمى للكلمة ، سوق به الاف اللاعبين والاف الحكام ومئات النوادى والمديرين ، وتحول اللاعبون الى نجوم مثل نجوم السينما والفن ، تستخدمهم الشركات التجارية فى الاعلان عن بضائعها ، واخذت النوادى تشترى لاعبين بمبالغ خيالية تصل إلى المليون جنيه استرلينى ، بل وكادت تقترب من المليونين ، وتطورت المضاربات على اللاعبين والفرق ، ونشات صناعات متفرعة لمشجعى الكرة ومجانين اللعبة . آلاف الكراسات التى تلصق بها صور اللاعبين ، وشارات الفرق واعلامهـــا ونجومها ، وكرات اللعب ، والتذكارات المختلفة .

لقد وصل دخل دييجو مارادونا اللاعب الارجنتينى الساحر (٢١ عاما) بعد ذهابه ليلعب لفريقه فى مدريد الى اكثر من نصف مليـــون جنيـــه استرلينى ، وحصـــل كل لاعب فى الفريق البرازيلى على ٤٠ الفا ، اما الفريق الالمانى الغربى فحصل على ٢٦ الف جنيه ، وقال بعض النقاد إن كارل هاينز رومينيجه اللاعب الاوربى لهذا العام حصل على ٣٠٠ الف جنيه استرلينى اما اللاعب الايطالى والاسبانى ، فقد وصل ما حصل عليه الى ثلاثين الفا .

رغم كل هذا تظل لعبة كرة القدم هى الاكثر شعبية وإثارة ، ويظل كاس العالم ضروريا للعبة اكثر من اى وقت مضى .

مجدى نصيف



(شكل ٢) ، وقبل ان تهنا هذه او تلك بوليمتها ، ياتيها من يلتهمها .. إما طير ، واما حشرة أكبر هى اليعسوب او الرعاش ، وقد يقع هذا فى براثن من لا يرحم ، إذ تاتيه حشرة فرس النبى (او جمل اليهود او السرعوف) ، فتاكله قضمة من وراء قضمة ، الى ان يروح فى خبر كان (شكل ٣) ، وقد يقابل اليعسوب او السرعوف ضفدع جائع فياكل هذا او ذاك بما اكل (شكل ٤) ، وما دام الضفدع قد اكل ، فلابد ان يدخل فى الحلقة ليؤكل ، اذ ياتيه « جزاره » على هيئة حية تسعى ، فتاكل الضفدع (شكل ٥) ، وفى النهاية تقع الحية وليمة لصقر او نسر ، وتدور بينهما معركة (شكل ٦) ، وغالبا ما يتغلب النسر ، فيحمل وليمته بما اكلت واكلت واكلت .. الخ (شكل ٧) ، اى نباتا فى دعسوقة فى يعسوب فى سرعوف فى ضفدع فى حية فى نسر ، وبهذا يحتل النسر قمة الهرم !

القمم تتحول الى قواعد !

ولاشك ان الجالسين فى قمم النظم الهرمية لسلاسل الطعام هم اقوى الكائنات غالبا ... فالانسان قمة ، بل هو قمة القمم ، لانه ـ بعقله المدرك ـ يستطيع ان يروض كل خلق اخر لحسابه ، بما فى ذلك النسور او الصقور او النمور او الأسود ، وهى التى يطلق البعض عليها اسم « الملوك » .. فالنسر ملك الطيور ، والاسد ملك الغابة ، والحوت ملك البحار ، او ما شابه ذلك ، والانسان هو سيدها جميعا !

لكن .. هل يدخل هؤلاء الجالسون على القمم فى سلاسل الطعام .؟

بالتاكيد نعم .. فكل من ياكل ، لابد ان يؤكل ، طال الزمان او قصر !



فى القمة يدور صراع رهيب بين الآكل والماكول .. بين الحية والنسر وغالبا يتغلب النسر على الحية بما اكلت واكلت واكلت .. الخ

ان الانسان بين المخلوقات ـ هو قمة القمم ، وله عوامل او اعداء تنال منه ، وتدخله رغما عنه فى الحلقة ، فقد يصبح الانسان عدو نفسه بحروب لم تخل الارض منها فى اية حقبة من الحقب ، او بامراض واوبئة ومجاعات وحوادث وشيخوخة تؤدى الى موت لا مفر منه ولا مهرب ، ولابد ان يعود الى الارض ، فياكله الميكروب ـ اضال مخلوق يعيش على هذا الكوكب .. لقد ظل الانسان ياكل وياكل سنوات طويلة ، لكن الميكروب ياكله ويحلله فى ايام قليلة ، فيتحول جسده الى غازات وعناصر وتراب .. فمن التراب قد نشا ، والى التراب يعود ، وكذلك كل مخلوق اخر صغر شانه او كبر ، فكل هؤلاء غنيمة ميسرة على مائـــدة الميكروبات التى تصيبهم احياء ، ثم تحللهم اموات ، وعلى عناصر الاموات يتغذى النبات ، وهكذا تدور الدورة مرة ومرة ، كما دارت قبل ذلك ملايين وبلايين المـــــرات (شكل ٨) .

ان كل دورة تجعل من قمة الهرم قاعدة ، او من النهاية بداية ، او تقلب الامور لتجعل اعلاها اسفلها ، ولقد كان النبات بداية ياكل منها الميكروب والحيوان والانسان ، ثم تظل حلقات سلاسل الطعام تدور بينها ، فيكون لكل كائن حى طعامه الذى يناسبه ، وسواء وصل الى القمة (كما فى الانسان او الاسود او النسور او الحيتان .. الخ) ، او احتل درجات بين القمة والقاعدة (كالضفادع والارانب والحشرات والحيات .. الخ) ، فلابد ان يعود الكل الى التراب ، فياكل النبات عناصر كل من اكل عناصره ، لتبدا الحلقات من القاعدة الى ما فوقها .. « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى » .. « قل هو يبدىء ويعيد » .. انها دورات فى اثر دورات ، « لكن اكثر الناس لا يعلمون » !

دورات موزونـــة

ثم ان كل شىء مقدر تقديرا حسنا ومتقن من البداية ، وبحيث يسترد كل كيان وديعته التى منه قد راحت ، فالنبات يسترد وديعته من الحيوان ، والأرض تسترد عناصرها التى امتصها النبات ، فاخذها الحيوان ، وعاش ومات وعاد ، وكانما شعار الحياة هنا « مات الحيوان .. عاش النبات او العكس ، لان الموت حياة ، والحياة موت ـ بمعنى ان موت اى كائن ، هو حياة لكائن اخر ، فكل الطعام اموات .. انها كائنات تعيش على اشلاء كائنات ، او عناصر ومركبات تنتقل من اجيال زائلة ، لتحل فى اجيال قادمة ، فيكون التجدد والتجدد قوة وحياة يا اولى الالباب !

قلنا ان الارض لابد ان تسترد وديعتها التى سلبت منها ، فاذا حدث ما اعاق هذا المبدا ، فلابد ان تفلس الارض وتبور ، اذ ان اية بيئة او اى نظام من النظم ، لابد ان يقوم كيانه على مبدا الاخذ والعطاء ، ولا يمكن ان تستقيم الامور مع اخذ مستمر ، او عطاء مستمر ، بل لابد من حلقة اتصال توصل بينهما ، لتعيد كل شىء الى توازنه ،



مناخات للإنسان الفلسطيني الجديد

شعر: محمد الظاهر - الأردن

(١)

تعلمتُ ان اكل الآن خبزى وحدى
وان اشربَ الآن كاسى وحدى
وان احرسَ الآن عشبك وحدى
لان انتظارَ التحولِ
فى غابةٍ من مرايا التردد
فاتحةٌ للتردى

(٢)

دمي يقرأُ الآنَ كلَّ الوجوهِ
ويرتدُّ للبحرِ لحظةَ بدءِ الحصارِ
ليحملَ عبءَ التحدّى
وكلُّ الرفاقِ القُدامَى
يُقطّونَ مثلَ البثورِ الصديقةِ جلدى

(٣)

من الحربِ للبيتِ عادوا
هو البيتُ اصغرُ من شرْنقةْ
وما بيتنا وطنٌ لا يعادُ
وحلمٌ جميلٌ على مشنقةْ

(٤)

سانزلُ للبحرِ
يملكنى البحرُ
اصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
فتلقي إليَّ المدائنُ هاماتِها
والطيورُ مناقيرَها
ثم ينكسرُ الموجُ
لا ،
لن اقولَ لهذى البنادقِ كونى معى اوْ عليّ
ساتى بثوبٍ من الماءِ والريحِ
والغيمِ والبرقِ
اتى الى الشرقِ
فالشرقُ يغلى من القاعِ
والشرقُ مهما ابتلتْهُ المذابحُ
او حاصرتْهُ اللوائحُ
لا يستريحْ

(٥)

عليَّ إذنْ ان اكونَ معَ الموجِ
اول فوجٍ
يقدّم قربانَهُ
ويُلقى على راحتيْهِ باحزانِهِ
ثمَّ امتدُّ للشرقِ
أُخرجُ من جثثى الاسلحةْ
واُخرجُ كلَّ الجماجمْ
ليعرفَ كلُّ الذين يجيئونَ مِنْ بَعْدُ
انّا ابتُلينا
وانّا نجاوزُ احزانَنا بالتّخطّى
ونخرجُ
مثلَ العصافيرِ
صاعدةً من دخانِ البنادقِ
هابطةً من حبالِ المشانقِ
نبكى قليلاً على الشهداءِ
ونلتفُّ مثلَ السّوارِ على الابرياءِ
ونمتدُّ للشرقِ
فالشرقُ يغلى من القاعِ
والشرقُ مهما ابتلتْهُ المذابحُ
او حاصرته اللوائحُ
لا يستريحْ

(٦)

سانزلُ للبحرِ
يَملكُنى البحرُ
أُصبحُ للبحرِ مرآتَهُ
وامتدُّ للشرقِ
يَملكنى الشرقُ
أُصبحُ للشرقِ عاداته والبشارةْ
أُوذنُ فى الناسِ
ياتى الىَّ المحبّونَ من كل فجٍّ عميقْ
فابقى
وتبقى
ونبقى
وتبقى المسيرةُ
تبقى الطريقْ

حياة محفوفة بالمخاطر:

إما الصدر.. وإما القبر!

بقلم: فتحي رضوان

● ● هذه هي الحلقة الثانية فى دراسة الأستاذ فتحي رضوان عن عبد العزيز جاويش، صاحب العمامة الثائرة والمثيرة .. وفى هذه الحلقة يكشف الكاتب صفحة جريئة من كفاح الشيخ جاويش من أجل الاسلام والعروبة ! ● ●

التقى محمد فريد مع عبد العزيز جاويش سنة ١٩٠٥، لا فى اجتماع سياسى، ولا فى ساحة محكمة تنظر قضية عامة، بل فى تونس، اى خارج مصر، وفى مؤتمر علمى منعقد فى هذه العاصمة العربية، يحضره مستشرقون، ومن ثم فلا يجب ان نمر على هذه الواقعة الخطيرة، مرور الكرام، بل علينا ان نقف امامها، ونطيل الوقوف إذا استطعنا.

ففي تلك الحقبة التى مرت فيها سنة ١٩٠٥، لم يكن ثمة علاقة على اية صورة او باي مستوى بين المصريين وبين الاقليم العربي تونس، إذ ان دولة تونس وقعت فريسة للاحتلال الفرنسي سنة ١٨٨١، قبل احتلال مصر بسنة واحدة، ثم اسدلت فرنسا ستارا من حديد بين تونس والعالم العربي كله، بحيث لم يعد ممكنا لمصري او لسوري او لعراقي ان يدخل تونس إلا من وراء ظهر سلطات الاحتلال الفرنسي، او لمهمة عابرة وقصيرة ثم لا تتكرر، واصبح العرب جميعا لا يدرون ماذا يجرى فى تونس، فلا انباء هذا الاقليم تصل إليهم، ولا صحفهم تقع في ايديهم، كذلك لا تصل اخبار العالم العربي كله إلى التونسيين، ولا يقراون صحفهم ولا كتبهم.

وكان من اندر المستحيلات ان يفكر مصري في زيارة تونس ـ وربما ـ ولا زيارة اي اقليم عربي آخر إلا ان يكون الحجاز، والحجاز وحده لانه موطن الأماكن المقدسة: اي بيت الله (الكعبة المشرفة) فى مكة ومثوى رسول الله في المدينة (ص)

ولكن كان المصريون ـ اي كبارهم من الباشوات والبكوات ـ وعظماؤهم المسئولون من الوزراء والأمراء، يزورون اوربا عامة، وفرنسا وبريطانيا خاصة، ثم استانبول عاصمة دولة الخلافة ـ قبل الاحتلال ـ، اما العالم العربي وبلدانه وعواصمه، وعالم المسلمين الفسيح المترامي الآفاق، فلا يخطر على بال احد من اهل مصر.وحين يفكر محمد فريد ـ وقد كان في سنة ١٩٠٥ قاضيا ثم محاميا ونائبا لرئيس الحزب الوطني ـ في ان يسافر إلى تونس اولا، وليحضر فيها مؤتمرا للمستشرقين ثانيا، فهذا مسلك دلالاته لا تنتهي. واولى هذه الدلالات انه مع كونه رجل قانون ثم رجل سياسة، فهو مشغول بهموم الفكر، حتى ليدفع من جيبه نفقات الرحلة إلى تونس، ثم الاقامة فيها اياما ولبالي، ليسمع ما يقول الاجانب العلماء في لغتنا، وادبنا، وتراثنا.

وهو ما يقطع بان الحزب الوطني الاول الذي انشيء فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٧، كان دربا جديدا من دروب العمل السياسي فى مصر، وان قادته ليسوا مجرد ساسة، بل إنه كان فوق ذلك، حركة فكرية.

وقد تم اللقاء فى هذا الجو الفكري، بين عبد العزيز جاويش الموظف فى وزارة التعليم في مصر، وبين محمد فريد الزعيم الوطني الشاب، الذي كان انذاك فى السابعة والثلاثين من عمره.

ولان الثاني كان شديد الشغف بكل قيمة عظيمة او بارعة فى حياة وطنه، فقد استوقفه هذا المعلم الشاب، الجميل الطلعة، الوسيم الوجه، المليء بالحيوية والنشاط، الذي امتلا عقله فى الوقت نفسه بالعلم، وامتلات نفسه بالتوق إلى المعرفة. وعرض الثاني على الأول ان يترك وظيفته، وان يلحق بركب المجاهدين الوطنيين، الذي يتزعمه ويشق له الطريق مصطفى



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة من الكفاح من اجل الاسلام والعروبة

كامل .

ولم يتردد الرجل فى ان يقبل العرض ، وسافر مع محمد فريد إلى لندن حيث قابلا معا مصطفى كامـــل .

رئيس تحرير اللواء

انعقدت الصلة بين الشابين ، فلما توفى مصطفى كامل في العاشر من فبراير ١٩٠٨، قدم استقالته ، وتولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء» اليومية ، التى كان مصطفى قد اصدرها فى الثالث من يناير سنة ١٩٠٠ اي قبل سبع سنوات .

وقد وصفت الظروف السياسية التى سادت مصر فى تلك الفترة فقلت :

الحق إن عبد العزيز جاويش رجل فكر ، خلق ليعلم الناس ، ويأخذ بايديهم فى رفق الأبوة وحنو المرشدين ، وليناقش الصعب من مشكلات العلم ، فى اناة وصبر ، وسيلته الحجة ، وكسب عقول ، ولكنه نزل ـ كما سنرى ـ إلى حلبة السياسة ، فلبس دروعها ، وامتشق سيوفها ، واصطنع اساليبها ، وخاض معامعها ، وقد اختار ان يكون قائدا من قوادها ، فى فترة من الزمن ، اشتد فيها اوار النزاع السياسي فى مصر ، وتعدد معسكراته ، واصبحت معاركه معارك حياة او موت ، وكان الاحتلال البريطانى اكبر الأطراف ، واشدها قوة ، واعظمها مرانا على القتال ، واوفرها مالا ، واوسعها حيلة .

وكانت (السراي) الملكية وصاحبها (الخديو عباس حلمى) طرفا ثانيا فى هذا الصراع ، وكان بدوره داهية من دهاة السياسة ، زاده صبرا على القتال ، واحتمالا لشدائده .. شبابه ، فقد كان دون العشرين حينما ولى سدة الملك ، واما عن طموحه .. فقد كان اضيق ما يكون صدرا بوجود الاحتلال البريطانى الذي يشاركه السلطان ، بل الذي يبعده عن هذا السلطان ، ويحدد نطاق ممارسته له ، وانتفاعه منه ، وكان ماضي جده (محمد علي) يبعثه على عقد الآمال على اكثر من قوة ، منظورة ومجهولة ، تعينه على استعادة هذا المجد .

اما الطرف الثالث ، فقد كان الشعب ، الذي صدمته كارثة الاحتلال البريطانى ، بعد فشل الثورة العرابية ، بعد فترة قصيرة من بدايتها ، لم ترد عن العام . ولم يكن الاحتلال البريطاني مجرد غاز اقتحم على المصريين دورهم ، بل كان نقلة هائلة من مجتمع شرقي ـ كل موارده الثقافية عربية أو اسلامية ـ إلى مجتمع غربى حديث اقتصر احتكاكه على ابناء الشرق القريب ، وبدرجة اقل بكثير ـ بابناء الغرب القريب ، فقد اندحر الاحتلال الفرنسي سريعا ، دون ان يخرج احدا من منهجه القديم ، أو اسلوب معاشه المألوف ، أو نظام تفكيره الموروث ، فى حين كان الاحتلال البريطاني غزوة اجنبية استقرت وطالت ، وصورة جديدة للادارة ، ومجموعة غير مألوفة من الأفكار والمعتقدات والوسائل ، في شئون الدنيا ، وأساليب الحياة اليومية ، ومناهج الحكم . لذلك انكمش وانطوى على نفسه فترة غير قصيرة ، ولكن الشعب بعد ان زالت الصدمة .. بدا يعيد تنظيم صفوفه ، ويسترد ثقته بنفسه ، ويستانف هجومه ، وكان القدر قد اعد عبد العزيز جاويـــش ، ليكتمل شبابه فى الوقت الذي عاد فيه الشعب الى ميدان القتال .

تولى الشيخ الفتى رئاسة التحرير ، فكتب فى ٣ من مايو ، مقاله السياسي الأول ، ليستفتح به كفاحه الطويل الشاق ، الذي كان اشبه بقرع الطبول الذي يسبق

حـيـاة محفوفـة بالمخـاطـر :

إما الصدر.. وإما القبر!

المعركة . قال :

- بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن ، وخور العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس ، في اسواقها تشتري نفيسات النفوس . بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر ، بالابتسام وهز الرءوس ، وبيمينك اللهم استقبل فاتحة حياتي الجديدة ، حياة الصراحة في القول ، حياة الجهر بالراي ، وحياة الارشاد العام ، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة ، استقبل هذه الحياة بعد ان قضيت في سابقتها ثماني حجج ، بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه بين محسود عليه ، ومرجو فيه . استقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر . متبريا في ميدانها ، فاما الى الصدر ، وإما الى القبر .

ولا اخال القارىء الكريم ، إلا مقدرا خطر الخطوة التى اقدم عليها في ذلك الزمان ، الذي كانت السلطة فيه ، ولاسيما سلطة الاحتلال محوفة بسلاحها . وهيمنتها . وبخضوع كبار الموظفين ـ وفي مقدمتهم الوزراء ـ لها وانصياعهم لاوامرها ، وتهافتهم على طاعتها وإرضائها . والذي كانت فيه الحركة الوطنية في اولى خطاها ، لم ينتبه اكثر الشعب لها ، ولم يعرف كيف يبذل لها العون ، فهذا امر يحتاج الى الدربة والتجربة ، وقيام الاجهزة والمنظمات ، مع ضيق اسباب الرزق ، وضعف مركز المهن الحرة التى لا تعتمد على إيراد الحكومة ، كالمحاماة والصحافة والطب .

هذا كله إلى جانب ان عبد العزيز جاويش ، كان شيخا معمما ، وكان المجتمع لا يرحب كثيرا بالمعممين في صفوف العاملين في المهن غير الحكومية ، وإن كان يحتملهم على مضض في وظائف حكومية بذاتها كالتدريس . وتدريس اللغة العربية على وجه الخصوص ، والقضاء الشرعي ، وإمامة المساجد .

هذا كله إلى جانب فقر الشيخ ، الذي سيضاعف من مخاطر هذه الخطوة . ولكن جاويش اقدم على دوره الجديد ، راضيا سعيدا ، متهيئا للنزال ، تعززه ثقة بالنفس وإيمان بالجهاد الذي بداه ، فقد كان دخول الشيخ ، بدء فصل من فصول التاريخ الوطني ، كان هو بطل ابطاله ، وقد كان فصلا حافلا بالحركة والقتال ، واختفى فيه

ما كان قد ران على الشعور في مصر من التحفظ والاحتياط ، اتقاء لشر الاحتلال ،

او طمعا في خيراته . وبدت فيه مصر على حقيقتها ، شجاعة مؤمنة صابرة ، تبدا خطاها وئيدة ، ثم يتسع مداها ، في سرعة واندفاع . كما يبدا صوتها خافتا ثم ياخذ في العلو والارتفاع ، ويتوالى خروج الابطال من ابنائها ، مستشهدين ، وكتابا ثائرين ، وشعراء مبدعين ومجددين ، لا في ميدان القول وحده ، بل في اساليب النضال وإثارة الجموع وتاهيبها .

عن مذبحة الانجليز

ماكاد الشيخ يمسك قلمه كرئيس تحرير لجريدة اللواء ، حتى خاض اولى معاركه ، وكانت معركة مدوية . إذ كتب في الخامس من مايو سنة ١٩٠٨ ، عن المذبحة التى دارها الانجليز في منطقة (الكاملين) بالسودان ، والتى خرج لها زعيم هذه الناحية (عبد القادر إمام) يدعي النبوة فالتف حوله لفيف من انصاره ، فاوفدت الحكومة السودانية عددا من الجنود ،

برئاسة ضابط بريطاني ، يساعده ضابط مصري ، فاباد (عبد القادر إمام) هذه القوة عن اخرها ، فارسلت الحكومة قوة اكبر ،

بقيادة ضابط اعلى رتبة ، ودارت المعركة بين الطرفين ، وجرح خلالها ضابطان بريطانيان ، وقتل فيها ضابطان مصريان ،

وجنود كثيرون ، ثم تمكنت حكومة السودان اخر الامر من إلقاء القبض على مدعي النبوة عبد القادر إمام ، ثم قدمته وقدمت اعوانه إلى محاكمة عسكرية مستعجلة ،

واتصل بعلم الشيخ ان المحكمة حكمت على سبعين من انصار زعيم الفتنة بالمـــوت شنقا ، فثارت ثائرته ، وتذكر حادثة دنشواي ، وراى حادثة (الكاملين) امعن في الظلم ، ثم اردف المقال الاول مقالا في الحادي عشر من نفس الشهر ، ثم عززهما بثالث في السادس والعشرين ، ثم بمقال

اخر في السادس من يونية ، ونقد صبر

الحكومة ، وضاق صدر النواب المستعمرين في مجلس العموم البريطاني ، وهــؤلاء لايطيقون ان تمس إدارة بريطانية استعمارية في اية مستعمرة ، لشدة تعصبهم العنصري ، ولامتلائهم بالتعالي والغطرسة ، والاعتقاد بانهم سادة العالم ، وان العالم كله ، وعلى وجه خاص اهل افريقيا واسيا ، عبيدهم الذين لا يؤذن لهم باحتجاج او اعتراض ، فقدم احد النواب وهو (اشلي) سؤالا لوزير المستعمرات ، عما إذا كانت الحكومة المصرية لا تنوي محاكمة الشيخ ، وكان هذا السؤال تحضيرا مباشرا لمحاكمته فعلا ، فساقته النيابة العمومية إلى محكمة جنح عابدين ، في الثامن من يونية سنة ١٩٠٨ ، ولم تكن هذه المحاكمة ، سوى مناسبة لاشعال الشعور الوطني ، ووضع اللبنة الأولى في بناء شخصية الشيخ عبد العزيز جاويش ، كبطل وطني ، وقائد سياسي ، فقد شغلت الراي العام ، وراحت محور احاديث الناس في بيوتهم ، وفي محافلهم وانديتهم ، فلما ذهب الى المحكمه ، كانت دار المحكمة وما حولها ، تلتقى المئات من المواطنين ، فلما قضت المحكمة ببراءة الشيخ من تهمة نشره خبرا كاذبا ، دوى التصفيق وعلا الهتاف ، وكانه دوي قنبلة انفجرت ، وخرج الشيخ ومن حوله المعجبون ، والانصار ، يتدافعون ، وإن كانت المحكمة قد حكمت عليه بغرامة قدرها عشرون جنيها بتهمة إهانته لوزارة الحربية .

واستانف الشيـخ حـكم الغـــرامـة ، واستانفت النيابة حكم البراءة ، فكانت القضية الاستئنافية جولة ثانية من جولات العمل الوطني ، احتفلت الجماهير بالقضية وحضرت جموعها الجلسة ، واحتشدت مئات اخرى خارج الجلسة ، وظفرت البلاد بيوم كان عيدا من اعيادها لان المحكمة الاستئنافية برات الشيخ من التهمتين ، ولا تسل عن حماسة الناس والشيخ منصرف من المحكمة ، ولا عن تدافعها وتزاحمها بالمناكب ، وعن النساء في الشرفات والنوافذ ، وعن العَدْوِ وراء الشيخ وتواثبهم حوله ، والهم الحكم شعراء مصر وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم ،ومحمد إمام العبد ، واحمد نسيم ، قصائد عصماء .

نشرت فى صحف الجرائد اليومية ، وتداولتها الألسن ، وحفظها محبو الأدب والشعر ، وقد جرى مطلع قصيدة احمد نسيم هكذا :

اجمعـوا كيدهم فرد إليهـم
طاعنـا فى النحـور والاكبـاد
زعمـوا انهم اصـابوا ولـكن
ربـك اللـه كان بالمرصـاد
فكفى الخـزى فوقـهم من دثـار
لبسـوه كانـهم في حـداد

ولم يجد الشيخ فرصة ليلتقط انفاسه ، فقد خاض المعركة التالية في ميدان من احب الميادين إلى قلبه ، واكثرها قربا من تخصصه ، الا وهو التعليم . وكانت مناسبة هذه المعركة ان المستشار سعد زغلول اختير من بين مستشاري محكمة الاستئناف ليكون وزيرا للمعارف فى ٢٨ من اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فرحب بهذا الاختيار مصطفى كامل واثنى عليه ، وعلى مواهبه التي كانت معروفة عند جميع المشتغلين بالشئون العامة ، والحق ان سعد زغلول كان جديرا بتهنئة وثقة مصطفى كامـل ، وسائر الوطنيين ، فقد كان محاميا عرف بحسن السمعة ، وقوة الحجة ، والكفاية العظيمة ، ولكن لم يلبث الخلاف ان دب بين سعد الوزير والحزب الوطني ، وجريدة الحزب « اللواء » التى يراس تحريرهـا الشيخ جاويش .

وقد وقعت امور اغضبت اللواء ورئيس تحريره من سعد ، من ذلك ان سعدا ماكاد يلي وزارة المعارف ، حتى استقال من عضوية اللجنة المشكلة لانشاء الجامعة الأهلية ، معتذرا بان اعماله ومشاغله الوزارية تحول بينه وبين استمراره في عضوية هذه اللجنة ، فتضايق الوطنيون كثيرا بان يجد سعد المستشار بمحكمة الاستئناف وقتا ينفقه في عضوية اللجنة الساعية إلى إنشاء الجامعة ، ويضيق وقت وجهد سعد وزير المعارف عن المساهمة فى هذه اللجنة ، التي هي ادخل في عمله كوزير للتعليم منها فى عمله كمستشار يفصل فى قضايا الناس . واتبع سعد هذه الاستقالة بخطبة القاها فى الجمعية العمومية في ٣ مارس سنة ١٩٠٧ برر فيها إلزام الطلاب المصريين بتعلم جميع العلوم بالانجليزية ، وقد جاء في هذه الخطبة ما نصـه :

« إن مركز الامة بين الامم الاخرى ، واختلاطها بالاجانب ، واشتباك المصالح الاجنبية بالمصالح الوطنية ، كل ذلك اوجب ان يكون تعلم العلوم باللغة الاجنبية ، لكي يتقوى الطلاب فيها ، كما ينبغي ، وعليهم ان يستفيدوا من المدنية الأوربية ويفيدوا بلادهم بها ، ويقووا على الدخول مع الاجانب فى معترك هذه الحياة ـ حياة العلم والعمل » .

وساق سعد حجة اخرى خلاصتها ان عدم تعلم التلاميذ المصريين ، العلوم المختلفة باللغة الانجليزية يقعدهم عن شغل وظائف مصلحة الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة ، وترك هذه الوظائف للمتمصرين .

وقد اغضب هذا التصريح الوطنيين ، واثار نقمة الشيخ جاويش ، فحمل على سعد ، في عدد من المقالات المتتابعة عنونها جميعا بعنوان واحد : « ظلمـوك يا سـعد » .

وقد تابع قراء «اللواء» هذه الحملة باعتبارها معركة من معارك الوطنية ، واستدار الشيخ جاويش ليواجه زعيما اخر من زعماء مصر ، طَالَ عُمْرُه ، وعرف فى السنوات الاخيرة من عمره بانه «استاذ الجيل» ونعني به الأستاذ أحمد لطفي السيد ، مدير الجامعة المصرية ، ثم رئيس المجمع اللغوي . وقد بدات حملة الشيخ جاويش على أحمد لطفي السيد بتصريح ادلى به احمد شوقي امير الشعراء ، وشاعر الامير ، وقد كان مقربا إلى الخديو عباس ، وواحدا من اهم بطانته ، وقد قال الشاعر في هذا التصريح : إن الخديو لا يمكنه ان يمنح الشعب دستورا بغير موافقة الانجليز . فقد كان طلب المصريين للدستور وإلحاحهم على الخديو لمنحه ، قد اشتد فى تلك الأيام . فاراد احمد شوقي ان يلتمس العذر لاميره بانه غير متقاعس عن تلبية المطلب الوطني . بل هو ممنوع من إجابته بسلطة الانجليز ، وتبع ذلك ان صرح المعتمد البريطاني وممثل الاحتلال بان بريطانيا لن تمنح مصر دستورا ، وانه لا يغير من موقف بريطانيا ان يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا ، قد منح الاتراك دستورا فى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التى صدر فيها تصريح احمد شوقي وكانت ثالثة الأثـافي ان خطب اللورد كرومر فى لندن بعد عزله من عمله فى مصر ، في اعقاب حادثة دنشواي ، فحمل على المصريين ، فقال : إنهم لا يستحقون دستورا ، فهم لا يهتمون بانتخابات المجلس التشريعي ذى الاختصاصات المحدودة انذاك ، ولا يتعلم اولادهم . فحمل الشيخ جاويش على هؤلاء الثلاثة حملة شعواء ، وادخل فى حملته اعضاء مجلس الشورى الذين يمالئون سلطة الاحتلال ، ويؤيدون مواقف الحكومة . فاذا بصحيفة (الجريدة) لسان حال حزب معتدل قليل الشان شعبيا ، تدافع عن هؤلاء الأعضاء بمقالات كتبها رئيس تحرير (الجريدة) الأستاذ احمد لطفي السيد . فرد الشيخ جاويش له الصاع صاعين ، وذكره بموقفه كمحام فى قضية دنشواى . وبعجزه عن اداء واجبه فى تلك القضية ، ودار بين الطرفين نقاش جديد ، اصلى فيه الشيخ خصمه الرصين نارا حامية ، إلا ان المعركة الكبرى ، جاءت بعد ذلك ، وكان مدارها حرية الصحافة .

وحرية الصحافة موضوع جدير بان تشتعل له دماء الشيخ جاويش ، ويحمي له قلمه ، وقد غضب الشيخ وغضب معه الشعب ، لان اللورد كرومر بعد ان كان يرخي الحبل للصحافة المصرية فى عهد مصطفى كامل ، ظنا منه بان الحركة الوطنية لا تزيد عن مقال يكتبه مصطفى كامل ، فيقرؤه المصريون ويعجبون به ، وخطبة يلقيها فى مصر او فى الخارج ، فيتسامعون بها ، ويحفظونها او يحفظون بعضها ، وكان ظنه ان المصريين لا يحفلون بالعمل الوطني ، ولا يتجاوزون حد التاييد السلبي ، تاييد اللسان ، فلما مرت الايام ، ووقعت حادثة دنشواي في ١٣ من يونية ١٩٠٠ ، انفعل بها المصريون اشد الانفعال ، فلما مات مصطفى كامل خرجت مصر عن بكرة ابيها تشيع جثمانه ، فهال الانجليز هذا الانفجار الذى لم يخطر لهم على بال ، ثم قتل رئيس الوزراء (بطرس غالي) ، وفي ديوان الحكومة برصاص شاب وطني ، واظهر المصريون من العطف على هذا الشـاب وتغنـوا باسـمه في ازجـالهم ومواويلهم ، مما اصاب بريطانيا بالجزع ، ثم بدا ان الشعب عرف طريقه الى المقاومة الفعلية ، فعدلت قوانين الصحـافة ، لتكممها ، فكانت المعركة التى خاضها الشيخ عبد العزيز جاويش والتى سنحدثك عنها وعما تلاها فى الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـه .

فتحي رضوان





د. محمد عبده يماني

قلت وانا اتنـــاول بسرور هـــذه الهدية المشكورة،« عمل اخر من الوزير الأديب » لا جرم ســـــوف يدون إسمان متميزان فى تاريخ الأدب الســـــعودى المعـاصر ، الشاعر المبدع الدكتور غازي القصيبي ، والقـــاص الأديب الدكتور محمد عبده يماني . ومن راي أرسطو فى كتابه عن الشعر ان القصة والأدب التمثيلي هما أيضاً من فنون الشعر وتفاريعه ، ففيهما ما فيه من مادة الوصف والخيال ، وهكذا يرفع الرجلان قدر الرسالة الأدبية ، وكلاهما وزير مسئول،فلا يطرحها فى الظـــل إن كانت اعباء العمل مما ينوء بالكاهل الضخم .

ربما لم يمض الآن غير سنة او يزيد قليلا على تقديمي فى هذه المجلة اخر مجموعات الدكتور اليماني ، وهذه الآن المجموعة التى سميت باسم اكبر واخر قصة بها ، وهي « جراح البحر »،وقد ضم إليها أربع قصص تعد اقاصيص إذا ما قيست حجما بجراح البحر ، وهي على الترتيب : أريده حباً ، ومولوي ، وكريستينا، والزهور الزرقاء ..

وقد استهل الدكتور اليماني المجموعة الجديدة بمقدمة تكاد تبلغ الخمس صفحات ما كان له أن يريد بها بطبيعة الحال تقديم دراسة او منهج للقصة ، لكنه ، من طرف خفي ، يريد بها ان يقدم ردا مدروساً هو مجمل دفاعه حيال بعض ما قاله الناقدون هنا وهناك في شان القصة السعودية الحديثة عموما ، وفي شانه هو بخاصة ، واحب أن اترك الحديث في شان هذه المقدمة إلى ما بعد عرض القصص الخمس جميعا ، إذا اعانت فسحة هذا المقال على ذلك .

باديء ذي بدء

وقبل كل شيء أود ان يعرف القراء انني لا ارجم بالغيب ولا انطلق من إلمام سطحي بهذه المجموعة القصصية ، لقد قرات كل كلمة فيها ، وفي هذه الحقيقة منطويان اثنان هما :

اولا : إن كل ما تُستطاع قراءته كلمة فكلمة هو ادب حي ، وذلك ليس رايي ، ولكنه راي الناقد البريطاني الذائع الصيت "ابر كرومبي" الذي يرى انك حين ترفع راسك متعبا او مترددا او متسائلا وتحس انك لا تريد ان تقرا المزيد ، فان الذي تقرؤه ليس أدباً .

ثانيا : ان رايي الذي ساورده وأكثره مما يسر واقله المكروه المر ليس صادرا عن ارتجال ، ولا عن مقدمات ناقصة ، لكنه حصيلة قراءة ودراسة وتفكر ...

أريده حباً

القصة الاولى سعودية لحما ودما ، وعظما وعصبا ، ولكنها والحق يقال سعودية حضرية ، وكذلك اغلب قصص الدكتور يماني ، واحسبني لا اجانب الحقيقة لو قلت إن الدكتور اليماني كان يتمنى فسحة من الوقت والعمل ليحيا أيضا فى بوادي السعودية واقاليمها البعيدة عن المراكز الحضرية نظير الحياة والتجارب التي اعطته هذه الرؤية العميقة فى المدينة السعودية حيث هو مكي المولد والمنشا ، وحيث قصصه تعكس عمق اتصاله بالحياة التجارية وحياة الوظيفة والدائرة الحكومية ، وحياة البعثات والدارسين فى خارج البلاد ، فضلا عن الانطباعات العميقة الباقية في صميم وجدان مرهف لحياة «الحي» وحيـــــاة «الزقاق» ، وهي حياة اعرفها انا في صميم الخليل والقدس ـ فك الله اسارهما وكشف الغمة عنهما ـ وهي نفس الحياة في «الزنقة» والزقاق المغربي ، والحي المصـــــري والتونسي ، بل وفي كل جزء اصيل من العالم الاسلامي الذي يشكل اوسع واعظم وحدة ثقافية عرفتها الدنيا ..

القصة هنا باختصار قصة زوجة شابة اختار لها المؤلف اسم عفاف ولزوجها اسم ماجد ... يتوفى زوجها فيدع لها مجموعة من الأولاد ، وتسمع الارملة الصغيرة تداعي والدتها وإخوانها للوقوف إلى جانبها فى محنتها ، لكن الأيام وما تفعله بالعواطف والعزائم لا تلبث ان تضع الأرملة الصغيرة فى مواجهة قدرها الشاق فتلجا للاتصال بصديق لزوجها يعمل مديراً لاحدى المؤسسات الكبرى ليتوسط لها فى تحسين راتب زوجها التقاعدي لتستطيع النهوض بمسئولياتها ، ويتطور هذا التصرف البسيط الذي تبرره إلى جانب السبب المكشوف المباشر مبررات اخرى في اللاوعي ، إلى ان ينتهي بزواج الشيخ زكي من الارملة عفاف ، بعد ان تعلق الاولاد به واحسوا بعطفه ورعايته وايناسه ، لكن الأرملة الصغيرة كانت تنطوي على هم كبير « هل كان زواج الرجل منها حبا في شخصها ، ام اشفاقا عليها وعلى اولادها ؟ » ويكبر هذا الهم في الصدر إلى أن يوشك ان يحطم ذلك الزواج .. لولا أن الأولاد وجدتهم انحازوا فى اخر لحظة للشيخ زكي ، وفي لحظة عاطفية ومض في فؤاد السيدة الحزينة خاطر منوِّر مغزاه حب الرجل إياها حبا حقيقيا بغض النظر عن بره باولادها ، وعند ذلك يثوب إليها رشدها .. فتصالح زوجها وينتهي الإشكال وتنتهي معـــــه القصـــــة ...

يبدع الدكتور اليماني إبداعا لا مراء فيه إذ يصف حياة الزقاق وروح البر والتعاون الطوعي والتراحم الاسلامي داخل الحواري وهي امور بدات تحولات حياتنا الحديثة مع الأسف تطوى اعلامها البيضاء ... كما ان تصويره للاشخاص الرئيسيين فى القصة: عفاف ، والشيخ زكي ووالدة عفاف واخوها الدكتور حسن ، يتم كله بريشة اصيلة فى رسم الشخصيات المتحركة الصادقة التمثيل والتعبير عن واقع الحياة السعودية. وإنما المثالية عند الدكتور يماني في الحلول السلمية وجو الامان والحنان ، ولقد اذكر اننا باستثناء موقف بطل القصة الاخيرة حسونة فى «جراح البحر» لا نجد اي موقف متشدد لا يخضع لحلول الإسماح والارضاء فى سائر هذه المجموعة الجديدة .

مولوي

قصة مولوي تبدا من واقع تتميز به ارض الحجاز التى تهفو لها قلوب الملايين من العالم الاسلامي ، فالبطل أصلا ولد باكستاني تركه ابوه في رعاية رجل طيب بمكة هو العم يوسف بعد ان كان اصطحبه معه في رحلة الحج قاصداً محاولة تركه هناك عساه بذلك ينشيء صلة تخفف عن الولد وعن نفسه واسرته بعض اوصاب حياة الفقر التي يحياها ...

نشا الولد الباكستاني في رعاية الوجيه



المكي نشأة رائعة فتعلم وتفقه وتادب وظلت له صلة باهله في باكستان وإن وهنت ككل شيء مع الايام ، ولكن تدخل الدكتور حسن ابن الوجيه يوسف في حياة الفتى افسدها ، فقد راح يحدثه في العلوم السياسية ، وفي المقولات المرفوضة في البلاد رفضا تاما .. ومع ان مولوي ضاق ذرعا بما كان يسمع من الدكتور حسن إلا انه شيئا فشيئا بدا يتذوق ما يسمع ويفهمه ويتحمس له ... ومع ان الدكتور حسن ما كان يقصد من مولوي اكثر من مجـــرد التفقه في الآراء والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والقدرة بالتالي على رؤية الفرق بين النظريات المثالية الحالمة ، وحقائق الحياة الماثلة إلا ان مولوي اخذ الأمر ماخذاً آخر ، وراح يسعى لتطبيق ما سمعه من نظريات متفجرة ، وراح ينشيء الخلايا ويتحدث وإياهم فيما لا تقبله الدولة ، وعيون الأمن الساهرة تراقبه وهو غافل يرفض نصيحة الشيخ يوسف والدكتور حسن إلى ان وقع المحظور واعتقل مولوي باخطر التهم جميعا ...

وواضح تماما هذه الرؤية من الجانب الاعلى لمشكلة كبرى في العالم الاسلامي كله تهزه الآن هزاً عنيفاً وتجعل من القرن الخامس عشر للهجرة قرن العواصف والسحب والثلوج والصقيع والأهوال ، هذه هي مشكلة المباديء السليمة التى لا تجد لها على ارض الواقع تصديقاً يرفدها بحال من الاحوال .. وفيما يرى العقلاء ان العبرة هي بالأعمال ، ومتابعة الاستطاعة دون اوهام الرومنسية والمثالية واحلام اليقظة ، ترى الفئات الناقمة والراديكالية السيئة الحظ اموراً مختلفة جداً ...

على اننا مع كل حبنا للدكتور اليماني ولصفائه وحسن نواياه نود ان نعرب عن حقنا الصريح في المخالفة عن وجهة نظره حيال صلاحيات الامن وجدواه في وقف الفكر المتمرد ... فالفكرة الخاطئة لا تصدها غير الفكرة السليمة ، وبذلك قضت إرادة الله سبحانه وتعالى ونحن نؤمن من ان فئة مؤمنة بالله حائزة على ثقة الناس بصدقها وكفاحها وريادتها في الحق واحتمالها لظلم الظالمين وتحامل الملاحدة والمغرضين ، قادرة بالاسلام وحده ان ترد اية فكرة ملحدة على اعقابها بشرط ان تتحلى بمثل اخلاق المهاجرين والانصار ، وان تقتدي بقدوتنا صلى الله عليه وسلم في بطولته وزهده وحلمه وصدق وحسن صلته بالله تعالى ونحن نكره التفريق بين المسلمين ولا نحصر الفضيلة في فئة دون اخرى ، وربما نصر الله بالأقوياء من المسلمين اكثر مما ينصر بالمشوشين ، فلو طرحنا الكراهية ، ونبذنا التفرق واشعنا المحبة بين المسلمين واعلنا التقوى وحدها اساسا للتفاضل والتمييز ، فاننا ندخل وضعا اكرم واسلم عاقبة في الدنيا والآخرة .

كريستينـــا

اعتقد بان الدكتور محمد عبده يماني من اقدر القاصين العرب في السرد الهاديء السائغ لقصصه ، وفي رسم شخصياته . جو هذه القصة مستوحي من جده حيث يقيم السلك الديبلوماسي الاجنبي وسردها رائع ومشوق كل التشويق ... الفتى سراج ابن فاروق تيسير سكرتير خدمات سفارة اجنبية في جدة تقتضي الظروف إرساله لاستقبال الصبية كريستينا ابنة السفير الذي كان في موعد وصول ابنته مرتبطا بمقابلة رسمية في الطائف .. وشيئا فشيئا تنشا قصة حب بين الفتى المسلم والفتاة المسيحية ... وهو ما تحسبت منه ام الفتى سراج ، لكن اباه استهان به ، ودون تصنع او إقحام نرى الدكتور يماني يعقد الحوار بعد الحوار بين الاسلام والنصرانية بكل رفق المسلم وتسامحه والحق الذي تمثله عقيدته .. كم اعجبتني عبارته التى يقول فيها على لسان الفتـاة وهي تسـلم « احسست بان روحي قد اغتسلت في لجة نورانية » . وقد اعجبني في القصة عدا السرد الرائع امران : اولا : كونها اكثر

قصص المجموعة واقعية ، ولا شك بأن للمؤلف تجربة حصلت منه عن قرب وعاش ولو بعض تفاصيلها ، وثانيا وصفها البيت الحرام وعظمة الحج والآفاق النورانية للمساواة والمثل العليا الاسلامية .

لقد ظللت طوال القصة جاهلا كيف يمكن للقاص أن يجعل لقصته نهاية ملائمة ، ولقد كان القاص من رهافة الحس ونبل الحنان بما جعله يلقي النهاية على كاهل بطلها الفتى المسلم سراج ... الذي قاسى الأمرين قبل ان تمهد له كل عوائق الزواج ممن احب وممن اسلمت واهتدت بفضل الحب الذي جعلها تعيش مدة اطول مما كان يقدر لها في ديار الاسلام ، وإن لم يكن الحب هو الذي جعلها تسلم . لما انتهت كل الصعاب قصدت الفتاة أمريكا لتصفية كل امورها هناك قبل العودة للزواج والبقاء الدائم مسلمة سعيدة بحبها في جدة ، ولكن فتاها تعرض لحادثة سيارة بعد توديعها قضى عليه قبل عودتها ...

في اعتقادي اننا إذا ما اخذنا بدقة بالغة بالمقاييس المعتبرة للقصة القصيرة ، شخوصها وسردها وعقدتها ولحظة تنويرها وحوارها وحسن مفتتحها ومختتمها فان كريستينا هي أروع قصص المجموعة واكثرها توفيقا ما في ذلك ريب .

الزهور الزرقاء

في قصة الزهور الزرقاء يقدم الدكتور يماني ردود فعله على الطفرة الهائلة التي سجلها تطور الحياة السعودية خلال نصف القرن الماضي ، وما يفعله الغنى السريع وسعار بعض النفوس من اجل المال ، وما يتهاوى من حب وايناس وراحة بال نتيجة الالتهاء بالتكاثر حتى زيارة المقابر .

امين الطالب الجامعي بكلية الطب الذي جر عليه حب الزهور البنفسجية (الموسومة في القصة بالزرقاء ، وقد اكون انا المخطىء ولكني ظللت مدى العمر احب البنفسجية) .. تسميته باسم امين ابو زهرة ، تخرج واصبح طبيبا بالمستشفى العام بجدة حيث بات يعيش بهناء بالغ مع مائدة زوجته وقريبته وابنتهما مها ودارة حلوة تحف بها الزهور الزرقاء ويرفرف عليها طير الامان والسعد ...

لكن اخاه سعيدا اشتغل بالتجارة ففاضت عليه المغانم حتى بات ابناؤه يعيرون ابناء عمهم الطبيب بفقر ابيهم ، الأمر الذي ازعج الطبيب فقرر ان يغير خط حياته وان يقبل عروض اخيه للوصول للثروة وقد وصل ... ولكن العمل المتواصل والانهاك الدائم وأحلام الغنى ليل نهار طردت معالم الهناء وامن الروح وحسن لقاء العيال والأولاد وجعلت من امين ابو زهرة مخلوقا مشدودا ليل نهار إلى شبح لا يعطيه اكثر من رفع ارقام الرصيد في المصرف ويسلب منه بعد ذلك كل شيء ...

يؤزم الدكتور يماني الموقف تأزيما كافيا للاندفاع في قراءة القصة ثم يختمها بمثاليته العذبة وروح السلام الذي يحبه وذلك بصحوة ضمير امين وعودته إلى صوابه .

وفي هذه القصة من المثالية ما يجعلها عكس قصة كريستينا ولذلك فهي عندي اشبه شيء بقصيدة رائعة منثورة او مقال ملهم في الدفاع عن القناعة .

جراح البحر

اخيرا ينتهي المطاف بنا إلى القصة الكبرى التي تشغل نصف حجم الكتاب وتعطي المجموعة اسمها جراح البحر ...

لقد بذل الدكتور يماني في هذه القصة مجهودا اقصى غاية الاجتهاد ، وذلك ما يشكر عليه ، فلم يدع شيئا من لوازم حياة صيادي السمك السعوديين على الشواطىء بين جدة ورابغ وينبع إلا وسرده سردا موفقا وكشف عن معرفته إياه حق المعرفة .

ومن فرط إحاطته بتفاصيل حياة صيادي القوارب وكل ما يعتور ايامهم ولياليهم من افراح واتراح قلت انا في نفسي واسأل الله الا اكون انهمكت في سوء ظن اثم : إما أن يكون للدكتور يماني مزرعة ودارة في الامتداد الجميل الساحلي الممتد شمالي جدة مسافات بعيدة ، فهو هناك في نزهاته يختلط بالصيادين ، او انه في ايام من حياته في جدة قبل مسئولية الوزارة وتكاثر المهام كان يخرج كثيرا بالسيارة إلى مسافات بعيدة على شاطىء البحر الاحمر بمواقع الصيادين ...

تتبع القصة حياة صياد يعيش من يده إلى فمه كما يقال بصيد السمك بقاربه وعدده البدائية ويدعى حامد الدخش (ابو حسونة) ، تظل حياته رتيبة صابرة بكل ما فيها من قسوة وملالة وفوز وخيبة إلى ان يبلغ ابنه حسونه سن السادسة عشرة ، وإذ ذاك يبدأ من حيث لا يقصد في الانتفاع بدخول ولده صنعته على مضض منه وغير قصد ، ويصادف عندئذ أن يكون بين اقتراحات الولد على ابيه ان يبيع سمكه لوكيل بيع بدلا من ان يتولى هو تلك العملية ، لأنه كثيرا ما يفشل في تصريف السمك عاجلا فيتلف ويضيع معه تعب الرجل .

يلجأ الدخش إلى رجل تاجر متدين محافظ حسن الأحوال يدعى الشيخ صديق فيتفق معه على ان يضع صيده لدى متجر الشيخ وتقوم معاملة نظيفة مربحة ومستمرة بين الرجلين اللذين يفصلهما بون شاسع من حظ الحياة ، فصديق وبناته في مستوى معيشي عال ، والصياد وابنه حسونه في حياة على حافة الجوع ...

تتحسن احوال الصياد ، ورغم مساعدة ولده حسونه له ، فانه ينجح في امتحان التوجيهية نجاحا يؤهله لبعثة دراسية في مصر ... ولكن ذلك لم يجيء إلا بعد ان كان الصياد وابنه قد اختلطا على مستوى شخصي باسرة الشيخ صديق ... وكان له ابنة في سن الرشد جميلة ومكتملة المزايا لولا انها من النوع المفترس ، تحب امتلاك الأشياء ، خصوصا وقد ربيت تربية دلال لا يمنع عنها شيء .. وقد ظنت انها تحب حسونه ولكنها في الواقع كانت تبغي امتلاك الفتى القوي الوسيم ثم طرحه في الهوان ...

ومع أن الفتى حسونه حلم بزواج الفتاة الجميلة المترفة ، إلا ان البعثة الدراسية جعلته يرى لحياته افاقا اخرى ، كما ان ذكاءه وتدرجه في الوعي جعله يدرك ان الفتاة كانت تريد امتلاكه وإملاء كلمتها على حياته ... وباعراض الفتى واقبال الفتاة ، ثم إقبال والدتها ثم والدها عليه ، ودفع اب البنت الى طلب الولد وتراخي الولد عن القبول ينشأ موقف صعب ومحرج لوالد الفتاة ولها ... وينتهي الأمر بمرض قلب يعاجل الفتاة ويريحها بالموت ..

لا اريد ان اعلق على هذه القصة ولكنها انبل قصص المجموعة هدفا واشرفها دعوة وغاية . لقد طال المقال حتى لم يبق لقول مجال سوى التهاني للوزير الأديب . وهتافا له هات المزيد والله معك .

احمد العناني

كهف الأخيار

لعل هذا هو السبب الحقيقى فى تصميمى على ان أكتب هذه المذكرات ، فانا لم اعد واثقا من قدرتى ، فى المستقبل ، على ان اكتب شيئا مفهوما . هل أصبحت على عتبات « الحقيقة » نفسها (حقيقة اكبر واعمق مما حاولت اكتشافه) أم ان كل ما يربطنى بالحقيقة يوشك ان ينقطع ؟ لا ادرى ، وقد لا يكون ثمة فرق بين الأمرين ! نعم ، لقد لعبنا كثيراً بالجمع بين المتناقضات ، وهانذا اشعر ان اصابعى احترقت وانتهى الامر ، وبالكاد استطيع ان ادون هذه الكلمات ، لا لأعلن كشفا تاريخيا هائلا كما كنت احلم ، بل لأسجل تجربة لم اعد ــ بكل امانة ــ قادرا على تمييز الحقيقة والخيال فيها .

الحقيقة والخيال ؟ ... هــــذه هى النقيضة الكبرى التى اكاد اسقط منهــا بلا أمل فى العودة . لماذا لا اكون صريحا من اول الامر فاقول إننى لم اعد ابالى بالتفرقة بين هذين « المتناقضين » ؟ إذا بدات مع ديكارت « انا افكر فانا موجود » فوجودى ينبغى ان يكون اجدر الاشياء بان يسمى « حقيقة » . ومع ذلك فكم فى هذه الحقيقة من الخيال ؟ لابد ان ابى وامى ، ربما قبل ان يلتقيا ، تخيلانى كل بمفرده ، على نحو من الانحاء . ثم حين وقعت الواقعة واشتعل الخيال ، تجسد الحلمان فى التقاء بويضة صغيرة وحيوان منوى اصغر . وما زال الرجل والمرأة يلحان على بخيالهما ، دون رحمة ، مذ كنت جنينا اتخبط فى ظلمات سجن ضيق . ثم ماذا انا الآن ؟ كما اظننى انا نفسى ؟ كما يظننى صديقى سليم ؟ كما يظننى مدير المدرسة ، تلاميذى ، إنسان جلست بجانبه فى طيارة أو قطار ، الفتاة التى يمكن ان التقى بها يوماً ، وتسميني « فتى احلامها » ؟ كل ظن من هذه الظنون خليط مهوش من الحقيقة والخيال . لقد اغرمت فى وقت ما بدراسة الاساطير ، ووجدت نفسى اسأل : إذا كان البشر لا يطيرون فى السماء ولا يسكنون فى اعماق البحر ، ولم يعرف قط انهم استخدموا الجن فى بناء قصورهم ، او محاربة اعدائهم ، فمن اين جاءتهم هذه الأفكار الغريبة ؟ ليس هناك إلا واحد من أمرين : إما انها تحققت فعلا ، بكيفية ما ، فى زمن ما ، وإما انها مجرد رغبات سيعملون على تحقيقها يوما . الغرض الاول لا يمكن إثباته او نفيه ، لا يمكن إلا ان « يحفظ لعدم كفاية الأدلة » او يبقى لغزاً محيراً للمساكين الذين يعانون من مرض البحث عن الحقيقة ، ولو كانت على جبل قاف ، اما الغرض الثانى فلابد ان يلد سؤالا : من اين جاءت الرغبة ؟ ما هذا الشىء الغريب الذى نسميه رغبة إنسانية لماذا يكون شىء ما مرغوبا وشىء اخر مكروها ؟ لم اقتنع بما يقوله علماء النفس من ان رغبات الانسان مرتبطة دائمـــاً بضرورات بيولوجية ، يسمونها احيانا غرائز ، واحيانا حاجات . فقد كانت الأساطير تحدثنى باشياء اعمق من الوجود البيولوجى للانسان ، ومن يدرى : لعلها كانت فى أعماق الوجود البيولوجى نفسه . لقد وجدت نفسى اجزم بان ثمة رغبة واحدة اساسية للانسان ، تنبع منها كل الرغبات : تلك هى رغبته فى الحرية . وما الحقيقة والخيال إلا وسيلتان للوصول إلى الشعور بالحرية ، تتداخلان وتتمازجان بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، وتنتجان دائما اختراعا ما : اسطورة او بدعة من بدع التكنولوجيا . ايهما اهم للانسان : الاسطورة ام التكنولوجيا ؟ انا شخصيا لا استطيع ان اجزم . المقياس الوحيد الذى اراه صالحا لتقييم اختراعات الانسان هو مقدار ما تنتجه من الشعور بالحرية . فلابد من الاعتراف بان الانسان ــ وا اسفاه ! ــ لم يولد حرا ، ولكنه ولد وفى رأسه ، او قلبه او شىء اخر من كيانه الذى لا نعرفه على وجه التحديد ، شوق محرق إلى الحرية ، يتفق له بين الحين والحين شبع مؤقت ، فكلما زاد الشبع او طال الوقت كان ذلك افضل ، ولو ان الانسان يعود فيندفع ــ لاهثا ومفتونا ــ وراء سراب الحرية .

لماذا اقول ذلك الآن ؟ الأن رحلتى التى لم تعد رحلة ، بل اصبحت مجرد تجربة ، كانت فى حقيقة أمرها اختباراً لمعنى الحرية

« ٣ »

اما انا فاظن ان الهوس بفكرة الحرية هو الذى ولد النظرية العلمية ، ولعل من المبالغة وعدم الدقة ان اسميها نظرية ، فطارق نفسه لم يسمها بهذا الاسم ، ولعل الاصح انها كانت مجرد احتمال ، وكان من الممكن ان نختبر صحة هذا الاحتمال بألف طريقة اخرى ، ولكن طارق اختار هذه الطريقة المباشرة ، ولو انها كانت تتطلب شجاعة هائلة ، وإذا كان ما راه فى تلك الليلة حقيقة ولم يكن مسا من جنون ، فلاشك انه أصاب فى اختياره .

بدات القصة عندما كان طارق يقرأ فى « صفة جزيرة العرب » للـهمدانى . دخل على ذات مساء ، اشعث الشعر كعادته ، وفى عينيه لمعان اكثر من المعهود ، وصاح بانفعال :

ــ اسمع هذا :

« ثم تمضى فى بطن الفقى ، وهو واد كثير النخل والآبار فتلتقى قارة بلعنبر ، وهى مجهلة ، والقارة اكمة جبل منقطع فى راسه بئر على مائة بوع ، وحولها الضياع والنخيل . قال راجزهم :

إنــــا بنينــــا قارة وسط الفقى
من الدبابيب ومن ســـح المطى

... هذا ياسيدى هو ما يسمونه جبل قارة لقد ذكر الهمدانى عدة جبال من هذا النوع ولكنى بدأت أشك فى صحة تسميته إياها جبالا . اولا : لاحظ انه لم يذكر هذه القارات إلا فى الأطراف الخصبة من شبه الجزيرة . ثم ما رأيك فى هذا الشعر : إنا بنينا قارة ؟ طبعا يمكنك أن تقول إنه كالشعر الذى ينسبه إلى هود ثم لا يتورع أن يقول إن يعرب ــ حفيد هود ــ هو اول من تكلم بالعربية . أنا لا تهمنى صحة الشعر وإنما تهمنى الأسطورة التى يرويها . فالأسطورة لاتنشأ من العدم . ودلالة الأسطورة واضحة : ان هذه القارة ــ ولعل هناك قارات اخرى مماثلة ــ ليست جبلا إلا بقدر ما يمكنك أن تسمى الأهرام جبالا . إنها مدن بالغة التحصين ، بناها الأحياء ليحافظوا على حياتهم ، كما بنى قدماء المصريين الأهرام ليحافظوا على موتاهم .

وشرد ببصره إلى الأفق المصطبغ بما يشبه الشفق الدائم ، تلونه شعل الغاز التى تنفثها مداخن جبارة فى حقول النفط ، وتمتم :

ــ تخيل ان هذه المداخن التى ترمز لعصر النفط ، يمكن أن تكون مجاورة لأثر من اقدم ما خلفه الانسان ؟

شعرت بالقلق . فليست هناك حدود لما يمكن أن يشطح إليه خيال هذا الفتى . وقد علمنى أساتذتى العظام الا اتسرع فى استخلاص النتائج ، وخصوصا حين يتعلق الأمر بالتاريخ . نعم إننى اجد متعة خاصة فى فلسفة اللغة ، ولكن هذه الفلسفة تتعلق بوقائع ذهنية ، الدليل الوحيد على صدقها هو ان يجدها الآخرون مقبولة ، أما الوقائع الخارجية ، والوقائع المادية ، فشىء اخر !

قلت له :

ـ لا نتعجل الحكم . إن كلمة واحدة وردت فى الهمدانى لا تصلح دليلا على واقعة تاريخية .

احنقته ملاحظتى ، فقال بشىء من الضجر تعودت ان اغتفره له :

ـ ومن قال لك إننى الآن بصدد البحث عن دليل ؟ نحن نتخيل اولا ، وعندما ناتى إلى مرحلة البحث عن دليل ، فلن نقنع إلا بالدليل القاطع الذى نستطيع ان نلمسه بايدينا .

لاشك ان الصورتين المتناقضتين مستا اوتارا خفية فى نفسه : صورة القارة ـ الحصن ، وصورة الشعلة التى لا تخبو ليلا او نهارا فى راس المدخنة السامقة . اى معنيين للحرية ! الحركة المكتفية بنفسها ، التى تختار ان تقطع كل صلة لها بالعالم ، انفة ان يمسها ظلم لا تقدر على رفعه ، ولا تطيق السكوت عليه ، والحرية التى تنفض اغلالها وتطلق طاقاتها الحبيسة وإن هى ذهبت بددا . الحرية التى تطبخ الصلصال صخرا يصمد لهوج العواصف وعدوان البشر ، والحرية التى تنطلق من سجنها الارضي وتخرج لسانها الأحمر للسماء . اهذا هو الذى اشعل خيال طارق ام معان اخرى لا ادريها ، ولعله هو نفسه لا يحسها بوضوح ؟ كان طارق من اولئك الاشخاص الانطوائيين الذين يعانون كثيرا من مشاعرهم الباطنية ، او بالاحرى من عجزهم عن إعطاء هذه المشاعر الشكل المناسب فى عبارة او سلوك ، ولهذا تراهم دائما مستوفزى الاعصاب ، ساخطين على انفسهم او على اقرب الناس اليهم .

ـ هنا بعض المشكلات اللغوية التى يمكنك ان تساعدنى فى العثور على حل لها : سح المطى ـ يقصد بها ولاشك الجمال او النوق المغيرة التى تهبط عليهم ارسالا كما يسح المطر ، وهنا مسالة مهمة : يبدو ان العرب استعملوا الجمال والنوق فى الحرب قبل ان يستعملوا الفرس ...

ـكلمة المطي يمكن ان تطلق على الجياد ايضا . ومع ذلك فانت على حق . فالاستعمال يربطها غالبا بالنوق . وزهير ابن ابى سلمى رمز للحرب بناقة هائجة . وجدت بعض النقوش ايضا ...

ـ حسن جدا . ستحدثنى عن هذه النقوش فيما بعد . ولكن هناك مسالة ثانية : كلمة «الدبابيب» : بحثت عن معناها فوجدت انها لا يمكن إلا ان تكون جمع «دبابة» ، وكانت قديما الة من الات الحرب تستخدم فى هدم الحصون ، والظاهر انها كانت اشبه بترس عظيم يختبىء تحته المهاجمون . ولكن متى عرفت «الدبابة» فى هذه المناطق ؟

بعد مناقشات طويلة ، وبحث فى معاجم اللغة وكتب التاريخ ، كان الفرض الذى بدا لنا معقولا جدا هو ان القارة ـ او هذه القارة بالذات ـ هى فعلا نوع من المدن المحصنة انشئت فى عصر تميز بنشاط حربى غير معهود . فهذا هو المعنى المركزى فى الأسطورة ، الذى لا يمكننا التخلى عنه اذا اعتبرنا ان لهذه الأسطورة اصلا فى الواقع التاريخى على الاطلاق . اما ادوات الحرب ـ كهذه الدبابيب او المطى ـ فتفصيلات قد يكون من المشوق بحثها على اعتبار انها جزء من ذلك الأصل القديم ، ولكن من الجائز ايضا ان تكون إضافات ادخلهاالراجز المجهول ، وكنا نسلم ضمنا بانه لابد ان يكون متاخرا عن عصر الأسطورة بزمان بعيد .



بقى تخمين العصر الذى بنى فيه هذا الأثر العجيب . رجح طارق اول الامر انه بنى حوالى القرن السادس قبل الميلاد ، عندما كانت جيوش الآشوريين تثير الذعر وتنشر الخراب فى المنطقة كلها . ولكنه ما لبث ان جاء بفرض اكثر جراة : ان ما نعرفه عن تاريخ البشرية جد قليل . لقد اصبح من شبه المؤكد الآن ان الانســـــان (الهوموسا بينس) عاش على ظهر هذا الكوكب منذ قرابة خمسين الف سنة . هذا ما تدل عليه الحفريات ، اما النقوش المكتوبة فلا تصعد إلى اكثر من سبعة الاف سنة ، ولذلك نسمى عشرات الالوف من السنين التى سبقت هذه الفترة عصور ما قبل التاريخ ، لانها مجهولة لدينا جهلا تاما . ولكننا إذا نســـــقنا الحقـــــائق الجيولوجية والمعلومات الاثنوغرافيـــــة المتوافرة لدينا الآن امكننا ان نصل إلى نتيجة او فرض ممكن على أقل تقدير : وهو ان هذه المنطقة من العالم شهدت حضارة مزدهرة اثناء العصر الجليدى الاخير ، ولكن تغيرات كونية هائلة محت هذا التاريخ محوا يوشك ان يكون تاما .

ـ تصور ما يحدث لو ان حربا ذرية قامت الان فى اوربا وامريكا الشمالية . ولنفرض ايضا ان تاثيرها كان محدودا بالنســـــبة للاقاليم البعيدة عن هاتين القارتين ـ هذا ممكن ، اليس كذلك ؟ .. لاشك ان الحضارة سترتد إلى عصر الزراعة البدائية والصناعة اليدوية . ولكن الاجيال التالية ستعرف ـ على الاقل ـ متى وقعت الكارثة وكيف . لأن سكان القارات المتخلفة المحظوظة ، فيهم من يمكنه ان يســـجل ما حدث . اما إذا كانت الكارثة الكونية قد حدثت فى اثناء العصر الجليدى الأخير او اعقابه فستبقى الحقيقة مطمورة تحت ركام الاساطير . لان الاقاليم الاخرى كانت خالية تقريبا من الجنس البشرى ، وإذا كانت قد وجدت فى بعضها كائنات قريبة الشبه بالانسان ، فقد كانت كائنات بلا حضارة . وهكذا يمكن ان تمر الكارثة الكونية الاولى بدون تسجيل ، فلا يكون لدينا إلا مصدر واحد لدراستها ، وهو قراءة الأساطير .

واردف بعد تفكير :

ـ وربما ايضا بعض الحفريات .

اشفقت عليه من الاسترسال فى مثل هذه الفروض ، فهمست مبتسما :

ـ لاشك ان قراءة الاساطير لعبـــــة مسلية ..

ولم يفته معنى السخرية فى ابتسامتى وكلماتى ، فاضاف كالمعتذر :

ـ اعلم ان لغة الاساطير ليست شفرة

الرواية والتاريخ

بالعيش ، تعلقت آمالنا بالذى كانت العلوم الطبيعية تكشف لنا من حين لحين ، نفىء بظل ثمراتها ونحيا نرقب واثقين فردوسا هنا على الأرض ، أكثر الأحايين فى غفلة عن القدرات التى كانت فى جوف هذه العلوم تتجمع ، تدفعها كجندول صخر . استحالت قاسية تلك العلوم معنية بذاتها هى ترعاها ، تتخذ كل صباح وجودا جديدا، فى وجداننا نحن الذين ما فرغنا له كما فرغ له علماؤه أهل الاختصاص . وراحت طمانينتنا مع الحصى والتراب والماء . تداعت مرافىء القرن . كان العيش رخيا فى حماها . راحت وراح معها ما عرفت البشرية من طمأنينة فى عيشها الطويل على الأرض . كانت تمسنا العواصف ذاك الزمان مسا رفيقا ، يغالبنا ونغالبها ، لا ذعر ، ولا أعباء . ما هذه حالنا اليوم . نعم يقتعد العلم مقعد الشرف كعهدنا به أول الأمر ، ولكن يعوزه القرار .

سائر ، سائل ، سراب ، بعيد بعيد لا يرام ، وما هناك مايحملنا على الظن بأنا سنجد الفراغ أو الفرصة ، لنعيد علاقة الحوار التى كانت بيننا أول العهد به صبيا أخضر العود ، يرعانا بثمراته ونرعاه بحرصنا على تلكم الثمرات . إنه الآن ماض فى سبيله يؤثر بسره قلة من علماء الطبيعة ، وتحيق بنا آثاره إحاقة . وحين ذهبت مذهبها هذا الجديد ، استجابت العلوم الاجتماعية ، والتاريخ واحد منها ، للذى كان من أمرنا وأمر العلوم التطبيقية ولكن بقدر . أضحت الدراسات الانسانية غيرها بالأمس ، تغيرت أقل ولكن بحسم لا رجعة معه . هذه الدنيا غير دنيانا القديمة إلا يحق لنا إذن نحن الذين نكتب التاريخ ونلقيه دروسا على الطالبية أن نسائل ، دنيا جديدة ؟ لم لا نكتب لها «التاريخ الجديد» .

● ●

والتقى من بعد ذكاء التاريخ بذكاء الرواية فى أكثر من منحنى على درب المعارف ، وما كان غريبا أن يقع هذا . فالرواية الأوربية بالمعنى الذى أتينا عليه ، أوفت على أربعة كما قلت . أكثر الكاتبين والدارسين والنقاد يجمعون على أنها اتخذت مكانها من ضروب الفنون الأقدم ، الشعر مثلا والمسرحية ، برواية سرفانتس «دون كوشوت» ١٦١٥ . يقابل بينها وبين المسرحية بعض الدارسين يقولون ان شاهد جدتها تجده فى أحشاء الكلمة التى تصفها معنى الرواية فى اللغات الأوربية الجدة ، نوفل : جديد . وجدت رواية دون كيشوت طريقها للغات الأوربيين غير الاسبانية ، سنوات قليلة من بعد ١٦١٥ ، سبع . إنها الرواية الجذر فى أوربا والرواية الأصل . أقبل عليها الخواص والعوام ، اقبالهم على شكسبير فى الذى يقول مؤرخو آداب وفنون تلك الفترة فى أوربا . محمدة لسرفانتس لا ترقى إليها محمدة ، أن يقابله الدارسون بشكسبير . يعود لها مرجعا ومصدرا مؤرخو الفروسية فى الحياة الأسبانية وفى أوربا ، كما يعودون لغيرها التى بعدها تصور الفكر والاتجاهات فى أوروبا ، وابنتها أمريكا فى الشمال وأمريكا فى الجنوب . تصور كلها منابع الاصلاح فى العلائق الاجتماعية وتصور إطار التمرد وهو الذى ، تارة يقود للحرب وتارة للصدام الفاجع ، تماما على النحو الذى نعرف الآن عن الفن المعاصر فى التصوير والرسم ورباطه بالفن قبله . ما كان لبيكاسو مثلا ليكون لو لم يكن الفنان الذى عكف على آثار الأولين ، يتملاها وتوحى اليه بجديده ، من أصلابهم نما ، ليمنو من صلبه الفنانون بعده ، يتمثلونه ويتمثلون السادة الذين على هديهم سار الطريق الجديدة . حال لا تختلف عن الذى كان من أمر سيرفانتس وكتاب الرواية بعد روايته الجذر والأصل .

سنعود لاختلاف سيرفانتس . شهودا على الذى نقول ان الرواية مصدر من مصادر التاريخ فى فصل من فصول هذا البحث . أريد لنا الآن أن نقضى بعض وقت مع هذا العلم ، النهج الجديد فى كتابة الانسانيات . لا مكان له عندنا الآن ، ولا أعرف عن أحاديث فى الموضوع تشير الى أنا نقترب من النظر فيه ، دعك من تطبيقه فى الذى نلقى على طلابنا من دروس والذى نكتب للناس من بحوث . لا شىء منه عندنا الآن .

● ●

واضح فيما يبدو لى السبب ، لم تعرف العبقرية العربية على أيامها الأول الرواية بالمعنى الذى سقت لك ، وما هو بالجامع المانع . يفى بأغراض بحثنا هذا ، لا يصلح تعريفا محيطا للرواية خارج هذا الاطار . الرواية أشمل وأوسع نطاقا من هذا الذى قلت ، يسع كافكا ان أحطنا بها إحاطة تامة، ويسع انتونى بيرجس ، وكلاهما يشقان على أى تصنيف للرواية والروائى . انها كثيرة الوجهات فى أوروبا وأمريكا . الرواية أداة للتعبير أوربية ، يجزع بعضنا من هذا يعده منقصة ، ونحن فيما يحبون ان يرونا، القوم الأسبق ، الأعرف ، الثقاة فى كل ذكاء عرف الانسان . يلحون يقولون ان المقامات كانت الخطوة الأولى على سبيل الرواية . وعند الذين يغالون من هؤلاء هى الرواية . واثق أنا أن بديع الزمان والحريرى سيدى هذا الضرب من ضروب الأدب العربى ، لو بعثا والقيا السمع لهؤلاء لما عرفا فيم يدير هؤلاء الحديث والذى كتبوا هم أنفسهم مدار الحديث على أنه الرواية . ما كانت المقامات عندهما وعند الذين سبقوهما والذين تبعوهما ، إلا وعاء اختاره الرجلان البليغان فى قرن بليغ ، وصف بعضهم كتاباته بالنثر الفنى . كان ذاك القرن الرابع الذى عرفه بديع الزمان . مضى قدما بالمقامات فى القرن الخامس الحريرى . وكلاهما كان معنيا باللغة الرصينة الجزلة تحمل آراءً وحِكَماً كانت على ألسنة الناس . لا جديد فيها يهز الأرض . أراد الرجلان ليبقيا على نصاعة اللغة ، يخافان أن تضمحل مع اضمحلال أهلها ، وكان زمانا مخوفا كثرت فيه نزاعات الحاكمين ومدارس المتفقهين . رأيا فى اللغة السند الأقوى ، العنصر الأبقى لصيانة العروبة والاسلام ، فى زمان كان عاصفا .

ثم سار الزمان قرونا طويلة . بعد عصر المقامات منتصف القرن الماضى أتت رياح أوربا تحمل الصناعة والتجارة والحرب والفنون . أتت تلكم الأيام طى صفحات على مبارك (١٨٢٣ ـ ١٨٩٣) صاحب الآثار العدة الباقية . هللت هذه الفئة القائلة بسبقنا انها الرواية . قالوا زعم الشانئون تراثنا أنها أداة أوربية ما حذقها الكاتب عندنا بعد . أطلت على أثر هذين المفكرين العاملين نفحة أعادت للناس أطيافا من الهمذانى والحريرى . استعارت أداة المقامة لتقول قولتها فى الذى يرى الناس . المويلحى مثلا (١٨٦٨ ـ ١٩٣٠) قرأوا «عيسى بن هشام» مرآة للذى هداهم وأضلهم ذاك الزمان وقرأوا «ليالى سطيح» زفرات حافظ ابراهيم (١٨٤٩ ـ ١٩٣٢) . ما

انفى شاعر وكاتب إتقانه الاسى والحسرة وإعرابه عنهما اعراب رجل من جمهرة الناس اوتى ايسر البيان بصوغ به ادق الخوالج .

سقيا لهذه الفئة من الناس ، سقيا . قام فى ذهنها «لنا الصدر دون العالمين او القبر» وتقوم فى اذهانهم ، كلما ضاقت بهم ضائقة صور من الماضى احاطت باكثرها غيوم قداسات تعشى معها العيون لا ترى غير ما تحب القلوب الجريحة ان ترى ، ذاك اروح من ان تغالب قوى ما لغلابها سبيل . مريح ان نذكر انا «خير امة اخرجت للناس» كما حزبنا امر ، يقلق البال من ياتيك باخبار القرون بقول هوننا اخى . كنا خير امة يوم «اخذنا امرة الدنيا غلابا» . لا نملك اليوم حتى كل امرنا نحن . دع الدنيا . «كنا خير امة» وكذلك كان الاغريق ينظرون إلى انفسهم كانوا يقولون من لم يتكلم الاغريقية «بربر» لا يبين إلا كما تبين الشاة حين تثغو . وكان لليهود ضحى يوم قالوا إنهم الشعب لا شعب غيرهم ، اختاره اختيار الاله ياهو . وقيل للنصارى ان وليهم ابن الله . وهم ظلاله على ارضه وخرج على الناس بطاركة الكنيسة فى اسبانيا ، يقولون قتل غير النصارى مباح وسبى نسائهم مباح ، بل لن يهنا للكنيسة وبطريكها نوم ، ان لم ينقل السيف الناس من جحيم اديانهم لنعيم دين المسيح .

وعلى ايامنا نحن . قبل قليل نحو اربعين سنة . عرفنا هنا عندنا فئة من الناس تنكر الرواية انكارا ، وما كان يدفعها ذلك الذى دفع الاولين ، من حرص ، على قديم دارس خارج إطاره يلوذون به عند المكاره كما رايت . كانت على زماننا الاول فئة ثقفت غير قليل من اداب وعلوم اوروبا فى المعاهد والجامعات هناك . وعادت لا تعرف مكانا للرواية ، ما كانت ذلك الزمان إلا فصلا من فصول كثيرة فى الادب الاوربى لا يتلقاه غير الذين يتفرغون لدراسته . كان واحد من هؤلاء معلم لنا زميل . دخل على شطر حجرة لى فى «ميز العزابة» فى بخت الرضا ، راى كتبى القليلة على مكتبى الصغير فى شطرى من «الميز» قال يقرعنى «شايف ما عندك غير الحكاوى» . وكنت على ايامى تلك اضنى اقطع «العرورى والشناخيب» فى طريقى الى دوستيوفسكى اعرق لافهم . اقضى الذى يتبقى لى من وقت اترجم مع احمد الطيب جيمز ستق وشو ، وشكسبير . وكان احمد مؤمنا منذرا نفسه ، يشغله فنه هذا وعشقه طلابه . عن العالم حوله . انا ما كنت ذاك ، ما كنت اهيم بشىء بعينه . ولا اعرف عزوفا عن شىء بعينه . ولا اذكرنى كنت حائرا ابحث عن شىء بعينه .

والان وانا ادير الراى الذى اقول هذه اللحظة جاء فى خاطرى شىء ما ارتبط بمعلمى ذاك زميلى قط من قبل . على قرب الذى قال من هذا الخاطر الذى يلم بى الان . رايت بعينى بصيرتى صاحبى ذاك بعد اربعين سنة من زجره إياى . وبالعين نفسها فى اللحظة عينها رايت مشهدا فى ثلاثية نجيب محفوظ ، قصر الشوق ، بين القصرين ، السكرية . وشاقنى ان اعرف . ما كان سهلا ان اذكر فى اى شطر من هذه الاشطار الثلاثة كان ذاك المشهد الذى ذكرته ولى خاطرى الزميل المعلم . قضيت وقتا غير قليل اقلب . سعدت حين وجدت الحديث الذى كان يديره كمال وحسين وعايدة فى السكرية . شخوص سيسمع منى عنها قليلا حين يتقدم بنا الحديث . كان الحديث بين هذه الشخوص عن قراءات كمال الذى ما فارق الازقة والحوارى التى ولد فيها ، بين القصرين وقصر الشوق والسكرية ، اعتق احياء مصر العتيقة ، وعن الذى عرف حسين وعرفت اخته عايدة فى باريس من مسارح للتمثيل والموسيقى وهم يقضون الصيف مع والدهم الميسور شداد وامهم المترفة ترف الاعيان والبكوات والبشوات .

جاء حديث الرواية . قال كمال صادقا وسترى بعد حين انه كان فى صباه الاول يعرف فحسب ، لا يضيء معارفه الكثيرة حس ، ولا ترفدها تجاريب . قال «القصة فن على هامش الادب ، انا اتطلع لعمل جدى»

ومضى يحدثهما عن كتاباته القابلة فى السياسة والفلسفة .

راى كامل الرواية سنة ١٩٢٤ ، زمان صداقته لاسرة شداد ، كما راها معلمى الزميل سنة ١٩٤٠ ، ستة وعشرون عاما ثقافية بينهما نمو حسنا الثقافى من بداءاته ونمو حس مصر الثقافى من بداءاته فى العصر الحديث يفصل بينهما كامل فى مصر ومعلمى فى السودان . حساب عمرنا الثقافى بعدة السنين يقول بيننا جيل ثقافى .

هذه الخاطرة عن الرواية فى عمرنا وعمر مصر الثقافى على ايامنا المعاصرة فى بالى الآن ، وكرهت الا اقف عندها نتملاها تشير لاكثر من شىء فى حديثنا هذا الذى تدير عن الرواية والتاريخ . انا اعرف معلمى الزميل معرفتى قلمى هذا وورقتى التى عليها يكتب ، واعرف كمال هذا الذى ابدع محفوظ ، كما لو كان حيا يمشى فى الاسواق ، واجد بينهما مشابه . كلاهما مغرى بالغليظ جهم الوجه من المعـــارف . كمال فى رحلة من فلسفات كانط وليبنز فرسان مثمران فى الارض التى نمت الرجلين . والتاريخ الذى فى مناخه نشا كل واحد . لا يقولون لنا كثيرا حين تنقلها لترابنا هنا ، ولا تنعش الجذور عندنا ما اتوا به لاهلهم يهدون . اهلهم هم ، لا نحن . معلمى زميلى شبيه كمال ، كان مغرى بالمعارف التى تملأ الحلاقيم والخياشيم . ثم « لازهر » كما يقولون ، لا شىء بعده . ذات الق تلك المعارف ونفع حيث نمت من احشاء اهلها . عقيم عندنا حين ننقلها هنا تحدثنا مثلا عن نشاة الاحزاب فى بريطانيا كما كان يعلمنا معلمنا الزميل ، التصويت فى جهات القتال كالصحراء الغربية وماليزيا .... ، انتخابات سنة ١٩٤٤ والعمل التطوعى فى بريطانيا . نزهة فكرية للقادرين على النزهة من اهل بريطانيا . عندنا لا شىء .

ارانا بعد هذه السنين نرى الرواية رؤية سوية ، ما عرفها معلمى الزميل ولا عرفها الرجل الذى ابدع محفوظ ، دعاة المعارف والحقائق والفلسفات والاراء الباردة . الشكر كله لنجيب محفوظ . كان اول الروائيين ، ولا بالذى كتب من قصص وروايات وان كانت كثيرة . كتب خمسا وثلاثين منها عبر خمسين سنة بين سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٨٢ وكتب القمة للـــــرواية العربية المعاصرة ، الثلاثية ، بعد عشر روايات من التجارب . سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، لكن ايضا بالذى تناثر على الستة شخوصه من إيمان بالرواية فنا من الفنون العصية ، لا يعطيك ان لم تتوفر عليه . فن غيور . اتذكر فرجينيا وولف اول هذا الحديث: كيف تقرا الرواية ؟ راها نجيب مركبة الحجى والضلال اوائل سنى عمره راهـــا تقتضيك خيالا ومعارف ودابا

يشير لشيء من هذا في السكرية :

يقول حسين وقد عاد توه من رحلة اخرى من رحلاته فى اوروبا إن « القصة فى اوروبا عمل جدى ، ثمة كتاب يتفرغون لها دون غيرها من فنون الكتابة فتدفعهم الى درجة الخالدين». وبين احاديث قصر الشوق ١٩٥٧ ، والسكرية ١٩٥٧ نفسها ، يقول بالرواية اخرون ما اتيح لهم ذاك الذى قتيح لابن الثراء والترف . لا تحول دون إيمانهم بها شكول المعرفة العقيم وعكر الفطرة . تقول به سوسن حماد ، المحررة فى «الانسان الجديد» . قالت تحاور احد الذين جمعت بينه وبينها اواصر فكر نشا على قراءات ما كانت لتكون لاحمد ، احد احفاد احمد عبد الجواد صاحب السوط والصوت والقران لا كتاب غيره يخترق اسوار عقله الذى ربى عليه وحده . تقول سوسن لاحمد « إن الرواية ذات حيل لا حصر لها ، إنها فن ماكر وقد غدت شكلا ادبيا شائعا سوف ينتزع الامامة فى عالم الادب فى وقت قصير . الا ترى انه ما من كبير من شيوخ الأدب الا وهو يثبت وجوده فى مجـــال نشاطها ولو بمؤلف واحد ؟ » .

شغفت عايدة بالذى قرات وشغف حسين بالذى سمع عن الرواية فى اوروبا . ما كان هذا امر كامل مع الرواية كما قلت قبل قليل .

نعود لحديث سوسن عن شيوخ الأدب وروايتهم الواحدة ، يكتبونها كيلا يقال عنهم ما عرفوا الرواية . واحسبنا نعرف ما تشير اليه العبارة حين نضعها مكانها فى تربية وامزجة وتجارب افراد الرواية .

● ●

تشير سوسن الى ثلاثة عقود من القصة بدات مع هيكل فى « زينب » سنة ١٩١٤ ولانعرف له كثيرا غير هذه ، وان كنا نعرف تحقيقا ان هيكل ما كان فى حاجة ليثبت وجوده فى مكان او اخر ، قلمه كان واحدا من احكم الاقلام ، وسعيه من اجل بلده كان سعي الوطنى الواثق مما يعمل وثوقا يقنع العقل لايقرب العاطفة ، ذاك عجز بعض القادرين ، ما كان كذلك العقاد . يوما ما غوى ، لانحسبه كتب « سارة » إلا ليكتب بالرواية اشياء ما كان يجوز له ان يكتب بغير الرواية . كان شريدا مطاردا الحب وكان محبا العقاد ، اكثر ذاته للشعر والنقد وبعضه القليل لباطل الناس فى السياسة واحسبها تشير لطه ، وهى تعرف ان « الوعد الحق » ما كان ليصدر عن روائى فى قلبه رواية واحدة ، وتعرف ان «شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » و « المعذبون فى الأرض » كتبها جميعها طه يعالج اعقد القضايا على ايامه ولتوحى للذين يرون اللغة العربية اداة تملك فى احشائها اكثر مما يظن كثيرون الى انها بالفعل كذلك لا بالقول . وتشير سوسن الى عبد الرحمن الشرقاوى فى روايته « الأرض..والشوارع الخلفية » .

الرجل الذى ابدع فى الرواية واوفى وضعها القمة ، هو نجيب محفوظ . توفر عليها وانذر نفسه لها . روائى واحد فى تاريخ الرواية العربية ، كان من شانه ان يبلغ بعض الذى بلغه نجيب ، توفيق يوسف عواد صاحب « الرغيف » حسرة الرواية العربية فى عواد هو انه ما «عقب» كما نقول . كان من حق موهبته ان يرعاها . نسمع انه انصرف للعيش . ما هو بالحديث العاطل قول كامل رؤية وهو يروى رواية « السراب » .. « لقد ضاعت الحياة والقلم ملاذ الضائع » .

● ●

نجيب ذخيرة روائية تبرر لنا ان نشرع نكتب « التاريخ الجديد » على ضوئها مصدراً من مصادر كتابة التاريخ فى الوطن العربى ، وما فى قولتى هذه ما يشين غيره . كثيرة نجوم مضيئة حوله . هو الكوكب . ما كان عواد على ايامه الا بعضا من موجة عمت الاقليم ، ذو النون ايوب فى العراق مثلا ، وليلى ونور وغادة فى لبنان والعجيلى وكوليت فى الشام . لا . انا واثق ان نبض التاريخ حى فى جوف هذه الروايات ، جنب روايات نجيب .

وما اتيت على السودان ، وانا اعد الكوكبة العربية من فرسان الرواية ، لان كتابها الاولون . الطيب والحاردلو وعلى الملك ، كاخوتهم القادمين ساحتنا السودانية ، عيسى واسحاق مثلا حماهم الله من اقدار عواد . شانهم وحده لحد . عاشوا فترات من حياة السودان ما كانت لتتيح لهم غير القليل مما تستطيع مواهبهم وتجاربهم فى العيش . يوحى لى الذى خرج للناس من كتاباتهم انهم كانوا يسائلون انفسهم عن الطريق الاكثر جدوى لحيواتهم كافراد فى مجتمع تحكمه تقاليد ومنظمات قام عليها رجال ذووا ثقافات تتباين اكثر الاحيان وتدريبا كذلك يتباين . تساءلوا ـ بعضهم عن وعى كامل ربما بعضهم استجابة لغريزة مستنيرة ـ أَنَدَعُ الفنان فينا يملك الأمر كله علينا نصور حياتنا هذه العامة وذواتنا والناس والمناخ حولنا ، تصويرا فيه كل سانحة وبارحة وخاطرة ؟ ام نصور ما نراه كله بمقدارتطيقه المنظمات والمنشآت والتقاليد ؟ قابلوابين هذين السبيلين ، كلاهما وعر . إن اتخذوا هذه الأخيرة لايحسنون لمواهبهم كل الاحسان ، ولا للذى عليهم من تبعات ، انهم اولو الامر العارفون صناع الذوق والوجدان . إن نهجوا السبيل الاولى ، تعذر عليهم حراسة الاستقلال السياسي بالذي يضيفون إليه من استقلال فى الاقتصاد والثقافة ، فالوظيفة كانت الطريق لا طريق غيرها لهذا الحس الوطنى . ما عشنا بعد زمانا حجم انساننا فى السودان هو الاصل ، لاحجم وظائفه واداراته . إنه الاصغر حجما ، القيمون عليه من رجال ومنشات هم الاكبر حجما . جزعت المواهب حين تبين لها ضيق الخيارات . طريق الحس الكامل بدت لهم موصدة . ما فى حياتنا المعاصرة صاحب قلم ذكى عرف كيف يوفق بين النزاعات داخله وبين وظائفه واداراته .

كلهم راح مشطور الفؤاد . غير بعيد ان يكون قد طاف طائف حسن الطاهر زروق بخيال كتابنا الذين اتوا بعده . اختار زروق طريق الحس الكامل حين ذعرنا نحن لداتهُ ولاد دفعته كما نقول . تسمرنا ، لا نعرف ما نفعل . ما يقظنا غير امس . كان حسن واحدا من اقوى العزائم وانصع الاقلام واطهر الجيوب ، اختار اوعر الطريقين واعيا ، فكان الذى كان من امرنا معه ، ما ابعد الذى رجونا منه على عهده المثمر ، ما قل الذى استطاع . ضاع وقته الازهر بين موجات تقذف به بينها ، كانت اعتى من ان يقاوم ، وان آزره المحبوه ، بالذى قدروا عليه .

وامضى مع هذه الصورة لاقلامنا الجديدة . خرجت فى الذى ارى عن الطريقين خروجا ما اضر بمواهبهم كثيرا ، ما جرح حسهم الوطنى . نهجوا طريقا نحسبها الوسطى . لا تخنع لكن لا تقارع . راحوا للرواية الاجتماعية . يرون خلالها الحب عندنا ، الزواج ، علائق الاسرة ،

مكان القرية . مكان الشيوخ فيها ، الترحل فى سبيل العيش ، وما من هذه بسبيل . صلاح أحمد ابراهيم يدلل على هذه القاعدة لا ينفيها ان اتت على بالك كتاباته القليلة . راى فى الطريق الوسطى مقابح ، خالت له كانها التقية التى التحف بها بعض الاولين ، ما راى لها حسنة . كتب « البرجوازية الصغيرة » وخلع رداءاتهـا التى راها قطعة قطعة وارانا وجهها الشاحب ، وبطنها المليئة ، ولسانها السليط فامتع الناس بتجاريبه وبيانه وحرارة فؤاده ومن بعد صمت . ليت مقدار حبى له وللحاردلو كان على مقدار غرورى . اذن لقلت لهما اكتبا لتسعداني انا .

● ●

سيقول الحريصون منا على فنون علاج الرواية المعاصرة إن اكثر الروايات التى فى ذهنى ، وانا أدير الحديث حول الرواية السودانية . لا ترقى مراقى الرواية كاداة فنية . لا احسبهم يظلمون . اكثر الروايات عندنا تروح مباشرة لما تريد من نهاية للواقع . لا تحملك إليها بالذى توحى إليك على لسان الشخوص واوصاف المشاهد . وستذكر هنا البهو وسيده وضيوفه مطلع حديثنا عن الذى تفعل الرواية فى بدئها ووسطها وختامها . يوجز مشهد البهو والناس فيه ، محفوظ . قال شخص من شخوصه بعبارة اوفق وادق مما استطيع ، قالها فى « السكرية » وهو يحاور اصدقاءه عن البناء الروائى ، كيف يحدث تاثره الفنى . ويبدو لى أن اسماعيل لطيف هذا لسان نجيب نفسه ، أعاره لخطه لواحد من خلقه . « الروائى قد يبدأ من شخص ثم ينساه كلية وهو بصدد خلق نموذج بشرى جديد ، لا صلة بينه وبين الاصل إلا الايحاء » . الكلمات ذات الصلة بموضوعنا فى هذه العبارة هى « خلق نموذج بشرى جديد » .

والرواية السودانية التى نملكها الآن ، وان أعوز الكثير منها اكتمال فن الرواية ، تصلح قاعدة لتاريخ حياتنا على تلك العقود التى سعت لتصور اجتماعياتها . انها مرآة لحياتنا . وهى الوحيدة فى هذا السبيل . فلنمض معها نعين بها تاريخ تلك العقود حين يرصده الراصدون . للذين يريدون لرواياتنا الآن الاكتمال الفنى ، أن يذكروا ذاك الخاطر عن السنوات الثقافية بيننا وبين مصر . ست وعشرون سنة . نحن بحساب هذا الفرق فى العمر الثقافى بيننا ، نعيش أوائل الستينات ، بالقياس لمصر ، ربما اوائل القرن فيما يتصل باوربا . فنا أزعم لك بعد هذا كله أن روايات هذه السنين تشير إشارة غير مغمغمة للصلة ، على الأقل فى النظر بين حس الرواية وحس التاريخ . قريبا سيشرع الرواد يكتبون بيمينهم التاريخ مرصوداً بوقائعه وهزائمه وانتصاراته . والرواية مكتوبة فى ظله لا يشغلها الذى على الناس ان يحسوا به ، يشغلها الذى فعلا به يحسون .

● ●

دعنى اسق لك مثلا من تجاربى انا كتابة « التاريخ الجديد » عندنا هنا :

راعنى فى احتفالنا بالذكرى المئوية لثورة المهدية ، ان اكثر جوانب تلكم الثورة القومية ، حظى بقسط من الدرس والبحث ، فلسفة الثورة ، اقتصادياتها ، إداراتهـا والحكم وعلاقاتها الخارجية ، علماؤها ، نظرات بعض الذين راوا فى الثورة فكرا وشئونا ، لا تتفق والذى درجوا عليه من فهم للدين والسياسة . كل شئ . إلا الرجال الذين لولا هم لم تكن لنظرات المهدى الدينية والسياسية وقدرات خليفته فى الادارة والحكم لولا هم ما قامت لتلك اليقظة الثائرة قائمتها التى نعرف ، أعنى الانصار . المحاربون المنذرون انفسهـم المنافحون عن الفلسفات التى جاء بها المهدى ، الواقفون وراء الخليفة سندا فى الذى يرى من امور . بعبارة اوجز ، الانصار صناع الثورة بالصدور والارواح . اكتفينا فى بحوثنا بمدحهم قلنا مع غيرنا إنهم ماتوا فى شان الله . جاء فى خاطرى أن للانصارى مكانا ما يقظنا له . شغلنا عنه بالمهدى والخليفة . وشرعت أدير مع نفسى كيف تقول شيئا يضع الأنصارى مكانه الوسط فى الثورة . ما وجدت فى كتاباتنا هنا كثيرا يعين . وجدت الكثير مما أريد فى كتابات كونا ندويل صاحب رواية « ماساة كرسكو » وفى كتابات سامسون صـــاحب «الرياش الاربع» وقرات ثانية كتاب وارنـــر « الدروايش » . وكان من بعد المقال الذى ستقرأ فى مجلة الخرطوم اوائل شهرنا القادم ابريل ، وارجو ان يكون نموذجا لهذا الذى أقول عن واثقة الرواية والتاريخ ، سيتقنه بالطبع اكثر مما فعلت انا، الذين يؤمنون بهذه النظرة ويكتبون على ضوئها ، بيدهم أكثر مما كان بيدى انا فى الذى ارجوه . تجربتى هذه تقودنى للقول بان الذى نملك من روايات كتبناها وكتبها غيرنا عنا ، تحملنى على الظن بان فى وسعنا ان نشرع فى البدء تدريسه فى معاهدنا بخطوات حذرة تجريبية . وانا اسعى اكتب عن الانصارى فى الرواية والتــــاريخ ، ما وجدت غير الصعوبات التى كنت اتوقع وانا اؤرخ للانصارى من التاريخ فى يد الروائى . الح على الذين يملكون الفراغ والقدرة ، ان يشرعوا يدرسوا التاريخ هنا او فى مصر او بلاد العرب الاخرى من الرواية والوثائق معا . إذن يمتعـــــون ويرودون عبر متعهم الفكرية نهجا فى فهم الرواية والتاريخ معا ، لا اتردد لحظة فى القول انه النهج القادم للتاريخ الجديد .

● ●

ارانى اقترب من نهاية حديثى النظرى عن الرواية والتاريخ ، جناحى كتـــابة « التاريخ الجديد » ولا أحب أن اترك الذين يرون فى الذى اقول مدخلا جديداً للبحث عن حقيقة الانسان ، بالنظر فى تاريخـــه المرصود مع رؤية الفنانين لذاك المرصود من تاريخ شعبهم والشعوب الأخرى ، دون نماذج اسوقها على عجل ، واقف عنـــد نموذجين اثنين . نموذج من عواد فى روايته « الرغيف » وآخر من محفوظ فى ثلاثيته ، بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية .

ليرصد الراصدون ما يختارون من أوجه العلائق بين العرب والاتراك على ايامهم فى المنطقة . لن يتم ذاك الرصد ، يظل رصدا خاويا لا دم فيه لا لحم لا روح ، إن لم نرفده بمشاهد ومواقف فى رواية «الرغيف» تقع احداثها على اخر ايام آل عثمان اخريات الحرب العالمية الأولى . كان الرجل المريض منذ اواسط القرن الثامن عشر مسجى يشهق انفاسه الأخيرة ، وانهال شباب الفجيعة العثمانية ،حقرتهم الهزائم سوط عذاب على العرب فقد كانوا الفئة الأضعف فى الامبراطورية ما كان هناك من يعاضدهم كما عاضدت أوربا أملاك آل عثمان هناك . فى مشهد من هذه المشاهد . نراه يسدل الستار الاخير بسوطه اللاهب ظهر العرب ، يتمثل لنا فى :

« رشدى بك واقفا فى الوسط وانفه على الحائط يتوتر انتفاضا وتقاصا .. بالقرب منه سوط معلق ومقعد خشبى طويل ، لم تقع عينا سامى عليه حتى سرت فى بدنه قشعريرة ، واراد ان يصيح لا خوفا بل احتجاجا ولكنه لم يفعل . مشى الضابط إلى البـــاب فاطبقـــه وادار فيـــه المفتاح برفق ماكر فاصدر صريرا مزعجا .. بطح السجين على المقعد فاستســـلم لا يمتنع منها بحركة ولا يفتح فاه بنامه » .

لماذا يريدون ضربه ؟ لم يخطر السؤال بباله . هو يتساءل فقط . كيف ؟ حتى هذا السؤال يهرب وشيكا ويهرب معه كل فكر فاذا راسه فارغ كالجرة الفارغة لو نقضه احد لرن ... وعادت عيناه فوقفتا على خيال انف الضابط طويلا هذه المرة .. يتسلق الحائط الابيض الاملس صعودا ثم يختفى بسرعة ويمتد مكانه فك عريض .. ولكن الانف يعجبه اكثر من الفك .. انه يجعل الوقت الذى قضاه . كل ما يعرفه الان انه يحس ببرد فى قدميه خلع نعليه وجوربيه يحس شيئا قاسيا ، يجمع ساقيه ويشدهما إلى المقعد يشد حتى لتكاد ركبتاه تتخلعان ، حاول ان يرى نفسه فوجد نراعيه قد شدتا ايضا ودنا وصفق بالوسط فوق اذن سامى وضحك وشتم ووثب إلى الطرف الاخر فرفع الاسير قذاله جهده وانفتحت عيناه :

— اخ ..

— اتسمع ؟ انك تعوى كالكلب تماما .

سحق سامى اسنانه واغمض جفنيه . شرعت الضربات تتوالى ، دون حساب ، وداخ تهوى عليه الضربات ثقيلة على قدميه إنها صخور تمشى ، اصداؤها فى عظامه حتى تصل إلى الدماغ فتجمدر داخلها هديرا ..

● ●

ونموذج من نجيب نرى فيه الانسان العربى فى مصر بعد استقلالها بعين واحد من ابناء ذاك الزمان ، إنه كمال ، يرعى الحاكمين والمحكومين بعين آسية :

« كان الترام مكتظا حتى لم يعد به موضع لواقف ، وقد انحشر كمال بين الواقفين وكانه يطل عليهم بقامته الطويلة النحيلة . كانوا مثله — فيمـــا بـــدا له — يقصدون مكان الاحتفال بالعيد الوطنى — عيد ١٣ نوفمبر — فردد عينيه فى الوجوه ، والحق انه يشارك فى هذه الاعياد كاشد المؤمنين بها . وكان الناس يتحادثون معلقين على الموقف دون سابق تعارف مكتفين بوحدة الهدف وبرابطة الوفدية التى الفت بين قلوبهم قال احدهم :

— عيد الجهاد هذا العام عيد جهاد بكل معنى الكلمة ، او هذا ما يجب ان يكون ..

فقال اخر :

— يجب ان يرد فيه على هور وتصريحه المشئـــوم . وثار ثالث لذكر هور فصاح :

— ابن الكلب ؟ قال : نصحنا بالا يعاد دستور ١٩٢٣ ولا دستور سنة ١٩٣٠ ما شانه هو ودستورنا ؟

فاجاب رابع :

— لا تنسى على انه قال قبل ذلك ، على اننا عندما استشارونا نصحنا » ...

— اجل من الذى استشاروه ؟

— سل عن ذلك حكومة القوانين .

— توفيق نسيم وكفى ؛ اسيقفوه ؟ ولكن لماذا عليه الوفد ؟

● ●

تلك سنوات الصراع التى قامت الى يوليو سنة ١٩٥٢ ، نراها متمثلة فى السكرية ، وما كان هذا الذى وعدت السنوات التى تلت عرابى وعباس ، تبدا بها الثلاثية فى بين القصرين ، بين سنة ١٨٧٧ وسنة ١٩١١ تقريبا ، وسنوات بعض الهناء والعيش الموفور فى بين القصرين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٧ تقريبا وسنوات القلق فى الفكر والسياسة وشئون الحياة اجمع بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٥٦ الامر الذى يعنى ان الثلاثية تقص علينا حياة مصر بجوانبها كلها عبر مائة وخمسين عاما ، اربعين منها كما ترى فى السطر الاول وثمانين فى السطر الثانى وثلاثين فى السطر الاخير ، حياة اسرة هذه السنين تبدا بحياة سيدها احمد عبد الجواد سنة ١٨٧٧ ، وتجمَّع على السنين اصدقاء للاسرة واصهار وحموات واسر اخرى ترتبط بها هذه الاسرة وسط الحوادث والاحداث ، فيكون تاريخ مصر بين جوانحك خلال حياة وممات هذه الاسر ، وتضعها هناك يد فنان حاذق بارع مؤمن مرتاب ، يرى حياة هذه الاسرة فى حيوات افرادها . التاريخ فى الذى كان يقول كارلايل تراجم رجال ونساء عديدين ، والرواية اختها بعض الاحايين اقدر على تصوير الزمان من الحقائق التى يسوقها لك المؤرخون الراصدون . « ننسى فى يسر ان حفنة من الروايات ، كانت اقوى اثرا فى نفوس الناس ، من خطب الساسة وتقارير لجان الكونجرس ، حين يحزب الناس حيف يقع على شطر من اشطار المجتمع .. كوخ العم تم ، هزت قلوب وعقول الناس عن شرور الرق ، اكثر من اي اثر احدثته خطب الساسة ، او الحقائق التى جمع عبر السنين دعاة إلغاء الرقيق ، وشارلز دكنز وضع اصبعه ، على عذابات بعض الشرائح البشرية في العصر الفكتوري ، اكثر مما فعلت خطب معاصريـــه من الساسة » .

هكذا كتبت ناقدة معاصرة تقوِّم اخر روايات الان باتن .

● ●

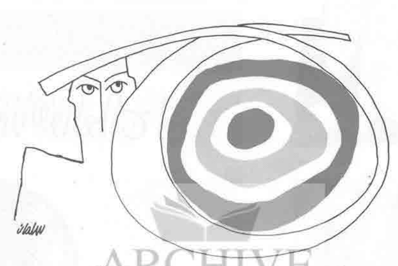
لنعد لكمال ، تركناه فى الترام ، يحتفل بعيد الجهاد ، مع الجمهور .

« اصغى إليهم ، بل اشترك فى حديثهم ، واعجب من هذا ، انه لم يكن دونهم حماسا ، وكان ثامن عيد جهاد يشهده ، وكان كالاخرين قد امتلا بمرارة التجارب السياسية التى خلفتها الاعوام السابقة . لقد عاصرت عهد محمد محمود الذي عطل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد واغتصب حرية الشعب فى نظير وعده له بتجفيف البرك والمستنقعات ، كما عشت سنوات القهر والارهاب السياسي التى فرضها اسماعيل صدقي على البلاد . كان الشعب يثق في قوم يريدهم حكاما له ولكنه يجد فوق راسه دائما اولئك الجلادين البغضاء تحميهم هراوات الكونستبلات الانجليز ، وسرعان ما يقولون له بلغة او باخرى انت شعب قاصر ، ونحن الاوصياء والشعب يخوض المعارك دون توقف ، فيخرج من كل واحدة وهو يلهث ، حتى اتخذ في النهاية موقفا سلبيا شعاره الصبر والسخرية ، فخلا الميدان إلا من الوفديين من ناحية والطغاة من ناحية اخرى ، وقنع الشعب بمجلس المتفرج وراح يشجع — رجاله فى همس دون ان يمد لهم يـــدا ... ...

جمال محمد احمـــد

الغريب الذي جاء كالظل

شعر : محمد إبراهيم أبوسنة



ـ كانت الليلة مقمرةً . والسهاد الذى
يخرج الثعابينَ من جحرها ..
يضع القلبَ على النارِ ..
.. والريح تأتى بعطرك
والنسيم المراوغ مبتسمٌ
راقصٌ فى قطيفة شعرك
كنت ساهرةً فى الفراش .. النوافذ
مولعة بالهواءِ . النوافذ
مولعة كالمرايا بإفشاء سِرِّك
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ والدخان الكثيف
يصعد الآن من جمرةِ القلبِ ..
.. هذا بريقُ العيون ..
... راحلٌ فى زفيرِ الضباب
آه لا أستطيع التكهّنَ بالغـدِ
هذى القطاراتُ زاعقةٌ
والمطاراتُ خانقةٌ
والليالى طيور
الغريب الذى جاء كالظل
منتظرٌ
كِلْمَةً . رشفةً من رحيق الجسد
والمدينة مغلقة
كلها
للتآمرِ والكيدِ
غارقةٌ فى سوادِ الكَمَد
كان يبغى عناقك قبل الرحيل ..
.. يقول لأعضائك المزْهِره ..
ما الذى يحمل الماءَ للجذر
والنارَ للقِدْرِ .
والنحلَ للزهر ماذا
تقول الدماءُ لمجْرَى العروقْ
وماذا تقولُ البروقْ
لأصداف بحر عميقْ
الغريب الذى جاء كالظل
يسقط بين أيادى الرياح
حاملاً جرحَه للأغانى التى
عاهَدَتْ قلبَه
ثم خانَتْه قبل انبلاج الصباحْ
راحلٌ . تضاريس
جسمك تَتَبَعُهُ حيث راح
ولا شىء الا العيون الفساح
تسافر فى الذاكرةْ
الغريب الذى جاء كالظل يمضى
حاملاً خيْبَةَ الحب
حسرةَ هذا الزمان المباحْ
جسمه ـ أرضه ـ قارة للجراحْ

جاسم زيني :

الفن التشكيلي في أزمة وهذا هو العلاج !



الفنان جاسم زيني



مدرب الصقور : للفنان محمد الجيدة .

عندما تبرق الكلمة : للفنان سلمان المالكي

أجرى الحوار : يوسف الحرمي

لاشك ان الفن هو اللغة المشتركة للانسان منذ اقدم العصور .. ولا شك ـ ايضا ـ في ان الفن الاصيل والانساني هو ذلك الذي يعبر عن احاسيس ونبض الانسان في كل مكان وزمان ، ويكشف لنا عن واقع البيئة التي انتجته ..

ولو بحثنا وراء الفن التشكيلي القطري ، فسنجد ان له تاريخا ضاربا بجذوره في الاعماق ، فقد استطاع الفنان الحديث ان يربط فنه بتراثه القديم ، وان يجعلنا نرى مفردات هذا التراث واضحة في لوحاته التي اشترك بها في العديد من المعارض العربية والعالمية ..

والواقع ان الحركة التشكيلية في قطر تنمو يوما بعد يوم على يد هؤلاء الفنانين المخلصين لفنهم ، الذين استطاعوا ان يؤسسوا لانفسهم اول جمعية فنية تشكيلية في قطر تحفظ لهم حقوقهم الفنية، وتجد لهم المكان المناسب لحفظ أعمالهم الفنية . وقد انشئت هذه الجمعية وخرجت إلى حيز الوجود منذ عامين ، وكان رئيسها هو رائد الفنانين القطريين جاسم محمد زيني ، الذي كان لقائي معه من اجل وضع النقط فوق الحروف حول كل ما يدور في الاذهان عن الحركة التشكيلية في قطر ..

ملامح الحركة الفنية

قلت للفنان جاسم زيني :

● بداية اود ان اتعرف على





للنساء فقط : للفنان جاسم زيني



الراعي : للفنان علي الشريف .

صانعة القهوة : للفنان حسن الملا

انطباعاتك عن الحركة الفنية التشكيلية فى قطر ؟ ..

ـ الحركة الفنية التشكيلية القطرية شأنها فى ذلك شأن كل الحركات الفنية في العالم .. فلو نظرنا إليها من الناحية التاريخية لوجدنا انها قد نمت وتطورت حيث وصلت إلى المستوى الذي تتوج به حضارات الشعوب . ففي قطر بصفة خاصة يمر الفن في مرحلة النمو . ويواكب النهضة الشاملة التي يشهدها الانسان القطري .

● ومتى انشئت جمعية الفنون التشكيلية فى قطر ؟ وما الأهداف التى ترمي إليها هذه الجمعية الفنية القطرية ؟

ـ لقد انشئت هذه الجمعية منذ حوالي سنتين .. اما عن اغراضها ، فانها تتمثل فى رعاية الحركة الفنية التشكيلية فى دولة قطر والارتقاء بالمستوى العلمي والفني للفنانين التشكيليين والمحافظة على انتاجهم وتشجيعهم وتوثيق اواصر الصداقة بينهم وبين اخوانهم الفنانين في البلاد العربية والأقطار الصديقة ، وتحقيقا لذلك ، فان الجمعية تقوم بتشجيع اعضائها وتنظم جهودهم فى خدمة الفنون التشكيلية والحركة الفنية ، وذلك عن طريق مواجهة مشاكل الفنانين التشكيليين بوضع الحلول المناسبة لها والاشتراك الايجابي في العمل الفني العام ، وهذا فضلا عن العمل على تنمية ونشر البحوث الفنية وتشجيع التاليف في مجالاتها وتنظيم المعارض الفنية وإقامتها داخل البلاد وخارجها ، وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات

جاسم زيني :

الفن التشكيلي في أزمة وهذا هو العلاج !

وإصدار نشرات دورية في الموضوعات الفنية ، وكما نعرف ، فان الجمعية تقوم بتشكيل اللجان المختصة والاتصال بالمؤلفين لاعداد التقارير والبحوث والدراسات التى تسهم فى مجال الفنون التشكيلية ، وكذلك الاتصال بالجمعيات والمؤسسات العربية والدولية ذات الأهداف المشتركة لتوثيق الروابط معها وتبادل المعلومات ذات الطابع المشترك وحضور المؤتمرات الدولية التى ترتبط بهذه الاهداف ، والتى تعقد بالخارج والعمل على عقدها بالبلاد .. هذا وتقوم الجمعية بوضع وتطبيق الأسس الكفيلة بتنظيم واجبات اعضاء الجمعية فى خدمة البلاد ومراقبة تنفيذها وتعريف المواطنين بمختلف النشاطات الفنية ، وتقدم الجمعية لذلك جوائز فى المعارض للمتفوقين ، كما تساعدهم على بيع انتاجهم وتشجيع الناشئين والهواة ، والعناية بانتاجهم .

● هناك فنانون يرون أن الجمعية لم تقدم لهم شيئا ، وآخرون يقولون بأنها اعطت بسخاء . فما الذي قدمته الجمعية للفنان التشكيلي القطري من وجهة نظرك ؟ .

ـ الجمعية وجدت لغرض حماية الفن التشكيلي ، والفنان بصورة خاصة . وهي جمعية وليدة وبحاجة إلى جهود الفنانين بجميع المستويات من اجل تحقيق الأهداف التى أوضحتها وبينها النظام الأساسي . فالجمعية مؤسسة اعتبارية تعتمد أساسا على نشاط كل فرد منا ، وان ما يقدمه الفنان من خلال تلك الأهداف تنعكس فوائده لصالحه .

السلبيات والايجابيات

● ولكن على الرغم من مرور أكثر من عامين على إنشاء الجمعية إلا اننا لم نشهد او نلمس لها اية انشطة تذكر . فلماذا ؟

ـ إن نشاط الجمعيه يعتمد قبل كل شيء على مجمل نشاطات الاعضاء ، فهذا الفن الصامت ، إنما يعكس طبيعته الصامتة ، ونشاطه يقتصر على المعارض الجماعية التي تقيمها الجمعية فى موسم كل عام ، ومتى ما توفر المناخ الملائم لتعاون الاعضاء وتواجدهم ، فان النتيجة حتما ستكون مضاعفة الانتاج وتنوع الاداء ..

● هل هناك سلبيات تقف امام الحركة الفنية التشكيلية فى قطر ؟

الحركة الفنية التشكيلية فى قطر مثلها مثل الحركة الفنية فى اى بلد عربي .. فالملاحظ اليوم ان الفن التشكيلي فى العالم العربي بطيء التطور ويواجه بعض المشاكل والازمات لأسباب تتعلق بالفنانين انفسهم ، وايضا بعدم وجود نظام تفرغ للفنانين فى بعض البلاد العربية ، وهذا امر ضرورى لحاجة الفنانين فى ممارسة نشاطهم الفنى باستمرار ، وعندما يتحقق هذا مستقبلا يمكن ان نشهد تطورا للفن التشكيلى .

● ما المعارض والأنشطة التي قامت بها الجمعية منذ انشائها حتى الآن ؟

ـ شهدت الجمعية منذ انشائها حتى الآن معرضين فنيين وفيما يتعلق بالانشطة اود ان اوضح بان هذا المجال يرتبط بالحاجة الى التفرغ الكامل ليمارس فيه الفنانون النشاطات المصاحبة ، وستسعى الجمعية لتحقيق ذلك إن اجلا او عاجلا .

● هل يمكننا التعرف على نوعية المعارض المحلية والخارجية التى ستشتركون فيها ببعض اعمال الفنانين القطريين ؟

ـ إن الجمعية لا تتاخر عادة عن الاشتراك أو اقامة المعارض سواء المحلية او الخارجية ، وعلى سبيل المثال هناك نية فى الاشتراك فى معرض الكويت والمعرض العربى الرابع كما أن الجمعية تستعد حاليا لتمثيل من يود الاشتراك فى هذه المعارض من الفنانين .

● هل يكفي الدعم الذى تقدمه وزارة الاعلام للجمعية لسد احتياجاتها ؟

ـ باسم كل الفنانين التشكيلين اتقدم بهذه المناسبة بالشكر الجزيل للمسئولين فى وزارة الاعلام على الدعم المالي والمعنوى اللامحدود الذى تقدمه باستمرار للفن وللفنانين ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على اهتمام الوزارة برعاية الفن التشكيلي اسوة بالفنون الأخرى .

● هل لكم ان تقيموا لنا الأعمال الفنية التشكيلية للفنانين القطريين بحيث نتعرف منكم على مدى عطاء هؤلاء الفنانين ؟

ـ الحقيقة ان بعض الفنانين يمتازون برسم ملامح الواقع والبيئة ويتمتع هؤلاء باعجاب وتقدير الكثيرين من رواد المعارض الفنية التى اقيمت فى الأعوام السابقة ، وهذا شان الفن فى بداية عهده اذ لابد من التقرب للجمهور وكسبه بغية خلق جيل يتذوق الفن ويواكب تطوره غدا عندما يدرك اهميته كمضمون إلى جانب الشكل .

المرسم الحر

وهنا كان لابد ان أساله :

● كيف تنظرون إلى الحركة الفنية فى الدول الخليجية ؟ وهل هناك صحوة فنية نستطيع ان نقول إنها تمثل نهضة فنية تشكيلية فى هذه الدول ؟

ـ يشهد الفن التشكيلي فى دول الخليج العربى تطورا سريعا ، وله باع طويل وخاصة فى دولة الكويت ودولة البحرين وامل جديد فى السعودية وفى دولة الامارات العربية المتحدة .

● ما الدور الملقى على عاتق الفنانين التشكيليين القطريين ؟

ـ ان الفنان التشكيلى له وعليه دور تجاه المجتمع الذى يعيش فيه والارض التى يحيا عليها ، فواجبه نحوها يتمثل فى قيامه بالتسجيل بفرشاته والوانه طبيعة



نهضة قطر : للفنان جاسم زيني



مجلس عربي : للفنان يوسف الشريف

الجيل الذى عاش فى ظله ومعطيات الحياة والأرض ، لان ذلك سيبقى سجلا يعكس نمط الحياة للأجيال القادمة .

● وهل تعتقد ان المرسم الحر استطاع ان يقدم شيئا ما للحركة الفنية القطرية ؟

ـ المرسم الحر امنية كانت تراود مخيلتى منذ تخرجى ووضعت له الاساس بالتعاون مع أساتذة التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم .. وتحقق وجوده بفضل اهتمام المسئولين فى وزارة الاعلام ، وما من شك بأن هذا المرسم دعم للحركة الفنية التشكيلية فى قطر باعتباره مهدا لاعداد فنانين محترفين يساهمون فى الحـــركة التشكيلية مستقبلا ، فهنيئا لادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بنجاح هذا الصرح وهنيئا للجمعية القطرية للفنون التشكيلية بهذا الكسب لانها بحاجة إلى زيادة عــدد الفنانين المبدعين ليساهموا فى نشـــاط الجمعية ويتولوا زمام الأمور فيها .

معهد للفنون

وتطرق حديثنا عقب ذلك إلى ضرورة العمل على قيام تخطيط اكاديمى للفن التشكيلى ، فقلت له :

● وما رايكم فى انشاء معهد متخصص فى الفنون التشكيلية وهل هناك نية لانشاء مثل هذا المعهد ؟

ـ ان المعهد المتخصص فى الفنون التشكيلية شيء لابد منه وحتما سينشا هذا المعهد ان عاجلا او اجلا ويخضع ذلك لظروف تطور التعليم فى قطر باعتبار ان الفنون ومجالاتها تاج للأعمال وشـــهادة للاجيال .

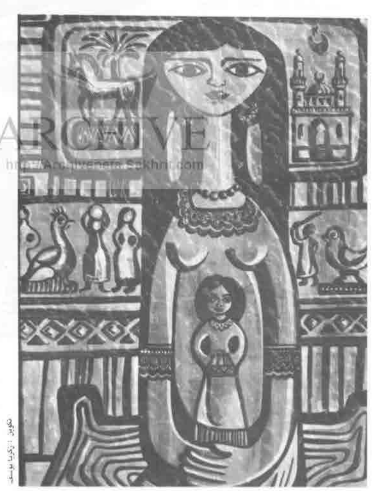
● وما رايكم فى حركة النقد الفنى لدينا ؟

ـ من خلال اطلاعي على بعض المقالات المحلية حول قيام المعارض الفنية يثير انتباهي ما يرد فيها من صياغة تتخللها مصطلحات تؤكد للقارىء بان كاتبها على صلة وثيقة بالفن ولكن على شكل تقليدى ، وعلى كل فعلى الناقد ان يمتاز بثقافة فنية تمكنه من تشريح اللوحة أو العمل الفنى والحكم على أصالته بغض النظر عن هوية الفنان ، وهذا النوع من النقاد غير متوفر فى قطر ، وفيما يتعلق بالعالم العربى فان هؤلاء النقاد قليلون وان وجدوا فانهم محسوبون فى عداد الفنانين التشكيليين .

يوسف الحرمي

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود

بقلم : حسن الملا


تصوير : زكريا يوسف

لاشك ان الفن هو اللغة المشتركة التى تخاطب كل الشعوب وتقرب المسافات بينها وتدعم الصلة الانسانية التى نحن فى أشد الحاجة اليها فى يومنا الحاضر الذى تتسابق فيه الدول الكبرى إلى انتاج اسلحة الدمار المهلكة ..

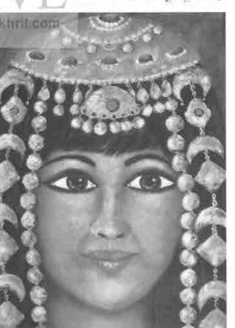
ان العمل الفنى المتميز فى اى لوحة فنية يصبح فى عالمنا مثل العصارة الخضراء التى تنتقل من الجذر الى الساق إلى الأغصان إلى الاوراق فتلون الشجرة كلها بلون بديع واحد ..

ومن هذا المنطلق ياتى المعرض العام السادس للفنون التشكيلية الذى افتتحه الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام ضمن سلسلة المعارض التى اقامتها ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ، والتى ارادت بها ابراز فكرة نبيلة تهدف الى تلاقى مشاعر الفنان القطرى بمشاعر اخيه العربى ، لتكون محصلة هذا التلاقى رؤية فنية متبادلة من اجل التعرف والتذوق والدراسة ..

لقد تعودنا فى المعارض السابقة بان تكون مقصورة على الفنانين التشكيليين القطريين فقط ، فجاء هذا المعرض ليفتح المجال امام الاخوة الفنانين العـــــرب والاجانب القاطنين فى دولة قطر ، إلى جوار اشقائهم الفنانين القطريين ، لاعطاء الحركة الفنية فى البلاد دفعة نحو مزيد من العطاء والابداع والتخلص من الجمود الذى اصاب بعض الفنانين الذين توقفوا عن ممارسة نشاطهم الذى تعودنا عليه طوال السنوات الماضية ..

وقد تحقق ـ فعلا ـ من خلال هذا المعرض التفاعل الحى الملمـــــوس بين

جلسة شعبية : يوسف احمد



وجه : سوزان حسن فهيني



وكيل وزارة الاعلام الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي اثناء افتتاح المعرض السادس للفنـــون

مدارس فنية متصارعة ومحاولة لكسر الجمود


القلعة : ناصر المريخي


السوق : كامل الحداد

الفنانين ، بغض النظر عن جنسياتهم ، مما أكد ان الفن لا حدود له ولا جنسية له ، فالفنان اينما كان تجمعه دائما مع اخوانه الفنانين لغة مشتركة هي الابداع الفنى حتى لو اختلفت المدارس والاساليب !

ورغم التلاحم والعطاء فى هذا المعرض فان هناك وجهات نظر متعددة حول القاعة التى عرض بها والتنظيم وغير ذلك ، إلا ان كل تلك الملاحظات تتبعثر امام نجاح فكرته وتجعلنا نطالب بضرورة وجود القاعة المخصصة للمعارض الفنية وضرورة اهتمام المدارس باعداد زيارات للمعارض للتعرف على الاعمال والاساليب الفنية ولتنمية التذوق الفنى لدى النشء فى وقت مبكر ..

المشتركون فى المعرض

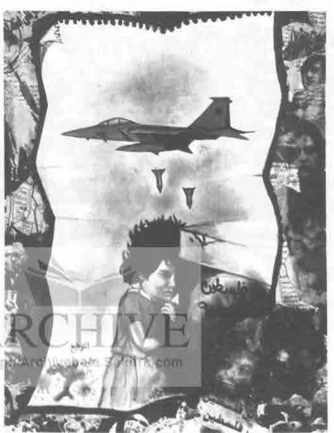
ولاول مرة نرى ٣٠ فنانا من مختلف الجنسيات يشتركون فى معرض واحد ، ضم ثمانين عملا فنيا ، منها قطعتين من النحت والباقى لوحات زيتية ومائية وباستيل ، وكانت اكثر الاعمال من واقع البيئة الاجتماعية بصورة معاصرة الى اهتمام بقية الاعمال بقضايا الانسان العربى وخاصة مذبحة صبرا وشاتيلا والغزو الاسرائيلى للبنان ..

وقد كان من بين الفنانين الذين شاركوا فى هذا المعرض :

● يوسف احمد ، الذى اشترك بلوحتين من البيئة المحلية ، واستطاع خلال هذا المعرض ان يؤكد للذين يتابعون اعماله واسلوبه الفنى ، بانه قادر على التنوع وليست اعماله الفنية مقصورة فقط على الخط العربى .

● سلمان المالكى .. وهو فنان نشط فى الرسم الصحفى والكاريكاتير ، شارك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، وكان له فى هذا المعرض ثلاث لوحات زيتية هى : استرخاء ، والغزو ، وتكوين .. ويتميز اسلوبه بالتمكن والابتعاد عن التلقائية والمباشرة ، مع الاهتمام بالتكنيك والموضوعية ..

● زكريا يوسف احمد .. مدرس بوزارة التربية والتعليم ، تخصص تربية فنية ، اشترك بعدد ثلاث لوحات زيتية هى : اسماك ورقصات خليجية والامومة .. يتميز



رسالة من طفلة فلسطينية : احمد سلام شراب

اسلوبه بالبساطة والقدرة على تطويع اللون للفكرة ..

● عيسى الغانم .. فنان تشكيلى قطرى شارك فى جميع المعارض المحلية ومثل قطر فى كثير من المعارض فى الخارج .. اشترك بثلاث لوحات ، واستخدم الباستيل فى بعض لوحاته باسلوب تاثيرى يميل إلى التجريد ..

● ممدوح فوده .. يعمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم ، اشترك بعملين : الخريف ، ومصارعة الديوك .. وتاتى لوحاته بلمسة شاعرية وتكوينات متميزة خاصة لوحة الخريف فهى عبارة عن منظر طبيعى تالف معه وجسده بفلسفته التجريدية الخاصة ذات المساحات المختلفة والملونة باللون الأخضر بدرجاته المختلفة الذى استطاع ان يخلق انسجاما بين محتويات اللوحة كورق الشجر والارضية والسماء .

● خالد الجتال .. طالب فى المرحلة الثانوية واحد المنتسبين للمرسم الحر ، اشترك بلوحتين بالالوان المائية هما : شروق ، وسمك .. لوحات خالد الجتال تدعونا الى عالم مختلف تماما وهو عالم التلقائية والتعبير النابع من المشاعر دون ادنى تاثير .

● ناصر المريخي .. اشترك بخمس لوحات زيتية .. وياتى ناصر المريخي فى نفس الطريق الذى سار عليه الفنانين فى قطر مثل علي الشريف ويوسف الشريف وماجد هلال الا وهو النقل من الطبيعة المحلية كما فى لوحة القلعة ، الا انه فى اللوحات الباقية يحاول ان يشكل ما يراه على الطبيعة باطار خاص تكون من مساحات هندسية .

● ياسر ابو سيدو فنان فلسطيني اشترك فى كثير من المعارض المحلية والدولية ، اقام معرض شخصي لأعماله فى العام الماضى فهو احد الفنانين الذين اسهموا اسهاما ملموسا فى حركة التشكيل الفلسطينى واحد الذين اتخذوا الاراضى الفلسطينية والقضية شعارا لهم فى كل اعماله الفنية ، خاصة فى لوحة صبرا وشاتيلا ، وهو لا ينسى التغنى بالوطن الذى احتضنه وعاش تحت سمائه حيث قدم لوحة الماضى والحاضر التى تحكي عن نهضة قطر بماضيها وحاضرها .

● سوزان حسن فهمى .. اشتركت بثلاث لوحات زيتية هى وجه ، ومن الفن الشعبى والحنين الى البحر ، واستلهمت موضوعات لوحاتها من الحياة الشعبية القطرية ، واستطاعت ان تجسدها بالالوان والخطوط والتكوين بشكل عام يقوم على الاجزاء التفصيلية كتفاصيل الوجه وزخرفة القلادات الذهبية التى ارتدتها الفتاة فى لوحة وجه ، وكذلك فى لوحة الحنين الى البحر .

● ماجد هلال : أحد الفنانين القطريين الذين اشتركوا فى عدة معارض محلية ، وقدم فى هذا المعرض لوحتين وهما من وحى البحر ومن وحى البادية .

● اسد النيل عادل ياسين .. اشترك بلوحتين هما الجزيرة القمرية واه ناجي .

● مي سالم .. اشتركت بثلاث لوحات استخدمت الخرز الملون فيها واستطاعت بها ان تكون من خلالها سيمفونية كونية متحركة .

ومن المشاركين فى هذا المعرض امينة كاظم وحسن الملا وعصام احمد الراوي واحمد زيني ومحمد محمود حسب الله ومحمد توفيق محمد احمد كشك ونوره على راشد وامال حسن ولطيفه يوسف عبد الرحمن وكامل الحداد عبد الله العكاري وسلطان الغانم وسعد اللوح ومحمد عبد الرحمن الدوراني وغيرهم من الفنانين الذين راينا فى لوحاتهم المزيد من العطاء والمزيد من البذل لاثراء الحركة الفنية فى قطر .

حسن الملا



اسواق الزهور على الطرقات المزينة بالموزاييك .. من معالم سحر لشبونة

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين؟

بقلم : د. أمين الطيبي

بدأ افتتاح العرب لشبه جزيرة ايبرية من أيدي القوط الغربيين سنة ٩٢ هـ ٧١١ م وشمل كل شبه الجزيرة تقريبا بما فى ذلك غرب الاندلس (البرتغال حاليا) . وقد تم فتح العرب لغرب الاندلس بما فى ذلك لشبونة على يد موسى بن نصير وابنه عبد العزيز (٩٣ ـ ٩٧ هـ / ـ ٧١٦ م) ، ولو ان ما يلى نهر دويره شمالا خرج من أيدى المسلمين فى فترة مبكرة . وكانت مدينة لشبونة (وتشير إليها المصادر العربية أيضا باسم الأشبونة واشبونة) تشكل بادىء الامر جزءا من كورة باجة ثم اصبحت كورة مستقلة تتبعها فى قاصية الغرب شنترين ، وشنترة ، والمعدن ، وبلمالة ، وقصر ابى دانس ، والى الشمال منها كانت كورة قلمرية (Columbria) حتى نهر دويره (Duero) ، اى ان كل اراضى البرتغال الحالية كانت تشكل جزءا من الاندلس الاسلامية فى ايام الدولة الأموية بقرطبة . وقد تردد ذكر لشبونة فى المصادر العربية حينما بدأ المجوس (الاردمانيون) من اهل الشمال (اسكندناوة) غاراتهم الخاطفة المدمرة على سواحل الاندلس الغربية فى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي ، فانشئت فيها على الاثر دار صناعة لبناء المراكب البحرية ، وغدت لشبونة



النصب التذكاري لعصر الاكتشافات البرتغالية .

قاعـــدة بحرية لدرء مثل هذه الغـــارات فى المستقبل ، وقد تكررت فعلا طوال قرن ونيف من الزمن . كما اقترن اسم لشبونة فى القرن ذاته بقصة « الفتية المغررين » الذين شرعوا فى رحلة جريئة فى البحر المحيط (الأطلنطي) « ليعرفوا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته » ، وهى رحلة سبقت حركة الكشوف الجغرافية بستة قرون . وقد افاض الجغرافيون المسلمون فى الحديث عن خيرات لشبونة وكورتها ، وكانت المدينة سوقا تجارية لما يجلب من الجزر البريطانية آنذاك من عبيد وفراء وقصدير . كما لعبت لشبونة ومواني غرب الأندلس دورا بارزا فى الحملة البريـــة البحرية الكبيرة التى قادهـا المنصور محمد ابن ابي عامر عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م وانتهى فيها مظفرا الى مشـــهد ســـانت ياقب (Santiago de Compostella) فى اقصى الركن الشمالى الغربي لشبه جزيرة ايبرية .





هذا المبنى التاريخى من اشهر معالم لشبونة ويعود الى القرن السادس عشر

وبعد انتهاء الخلافة الاموية فى قرطبة (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) ، كان غرب الاندلس مسرحا للحروب بين اثنين من امراء الطوائف هما ابن الأفطس صاحب بطليوس وابن عباد صاحب اشبيلية ، مما انهك كليهما فى وقت توحدت فيه قشتالة وليون واخذ ملكهما الصليبي النزعة ، فرديناند الاول ، يتوسع جنوبا فى غرب الاندلس مهددا قواعد المسلمين وحواضرهم فيه .

ولما قدم المرابطون فى اواخر القـــرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى خشي المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس وغرب الأندلس على ملكه ، فداخل الفونس السادس ملك قشتالة وليون امـــلا فى الحصول على مساعدته ضد المرابطين ، وتنازل له فى مقابل ذلك عن لشبونة وشنترين وشنترة (٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) . الا ان المرابطين سرعان ما استردوا هـــذه المدن بعد إطاحتهم بابن الافطس .

الصيادون والربابنـــة فى جنـــوب لشـــبونة حيـــث يتعاملـــون فى الصيد اليومـــى للسردين



وفى هذه الاثناء استصرخ الفونس السادس النصارى من وراء جبال البرتات (البيرانيز) لنجدته لمواجهة خطر المرابطين عليه ، فاستجاب لندائه الـوف الفرسان من جنوب فرنسا على الخصوص . وكان من بينهم احد نبلاء مقاطعة برجندية (Burgundy) واســـمه هنريق (Henriques) ، الذى زوجـه الفونس من ابنته تيريزا وقدم لهما مهرا مقاطعة برتقال (ابورتو) وقلمرية . وفى اوائل القرن السادس الهجرى / الثـــاني

مدينة لشبونة الإسلامية

كيف سقطت في أيدي الصليبيين؟

عشر الميلادي تمكن ابنهما الفونسو هنريق ـ الذي تسميه المصادر العربية ابن الريق ، اى ابن هنريق ـ من الاستقلال الذاتى حاملا اولا لقب صاحب قلمرية ، ثم لم يلبث ان استقل استقلالا تاما بعد عام ١١٣٩ م ، بعد ان احرز بعض الانتصارات المحلية على المسلمين ، منتهزا حالة الضعف والفوضى التى عمت الاندلس فى اواخر ايام المرابطين الذين شغلوا عن الجهاد فى الاندلس بما دهاهم من قيام الموحدين عليهم فى المغرب .

وعلى أثر استرداد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) فى بلاد الشام من ايدى الصليبيين ، دعا البابا الى حملة صليبية اوروبية كبيرة لاستردادها ، واغتنم ابن الريق فرصة مرور جماعات صليبية من الانجليز والالمان بساحل بلاده وناشدهم مساعدته للاستيلاء على لشبونة من ايدى المسلمين . فكانت تلك الحملة الصليبية على المدينة التى صمدت منفردة فى وجهها بكل بسالة سبعة عشر اسبوعا دون ان تتلقى اية استجابة لاستصراخها امراء المسلمين المجاورين ، مما ادى الى سقوطها فى ايدى النصارى يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٢ هـ / ٢٤ أكتوبر ١١٤٧ م ، بعد ان ظلت مدينة اسلامية نحوا من اربعة قرون ونصف القرن .

رواية معاصرة

وهناك رواية معاصرة عن الهجـــوم الصليبى على مدينة لشبونة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧) تقول :

كان الفونس السادس صاحب قشتالة وليون قد قدم كما اسلفنا مقاطعة برتقال الواقعة بين نهر دويره ومينه (Minho) سنة ١٠٩٧ م مهرا لابنته غير الشرعيــة تيريزا وزوجها البرجندى كونت هنريق ، وورث المقاطعة من بعدهما ابنهما الفونسو الذى تسميه المصادر العربية ابن الريق (اى ابن هنريق) . وقد استغل ابن الريق صاحب برتقال المنازعات الداخليــة فى قشتالة بين الملك والنبلاء للمنـــاداة باستقلاله فى مقاطعته واتخذ قلمرية عاصمة له ، كما اتخذ لنفسه لقب (امير البرتقال) ، فكان ذلك بداية استقلال البلاد المعروفة اليوم بالبرتغال .

يؤرخ البرتغاليون بداية استقلال بلادهم بسنة ١١٣٩ م ، وفيها احرز ابن الريق ، كما تقول الروايات المسيحية ، انتصارا محليا على قوة مرابطية فى أوريق (Oric) بالقرب من شنترين ، وعلى الاثر بادر بالمناداة بنفسه ملكا . وكانت البلاد التى تولى ملكها تمتد انذاك من نهر ميئه الى نهر منديق (Mandingo) . والى الجنوب من قلمرية كانت لشبونة وشنترين تشكلان جزءا من الاندلس الاسلامية .

وفى سنة ٥ ـ ٥٣٦ هـ / ١١٤٠ م سنحت لابن الريق اول فرصة لمهاجمة مدينـــة لشبونة عند مرور اسطول يحمل صليبيين فى طريقهم الى فلسطين ، وقبل هؤلاء الصليبيون معاونته فنهبت ارباض مدينة لشبونة ولكن المدينة صمدت فى وجههم .

وفى اواخر سنة ٥٤١ هـ / ربيع سنة ١١٤٧ م ، انتهز ابن الريق فرصة انشغال الموحدين فى الاستيلاء على اشبيلية من ايدى المرابطين ومحاولتهم بعد ذلك انقاذ المرية من هجمات النصارى ، فهاجم شنترين التى تتحكم فى الطريق المؤدية الى لشبونة واستولى عليها غدرا فى ١٠ شوال ســـنة ٥٤١ هـ / ١٥ مارس ١١٤٧ م ، بمساعدة فرسان الداوية (Templars) .

وكانت شنترين مركزا نشطا لغـــارات المسلمين على منطقة قلمرية ، ففتـــح الاستيلاء عليها الطريق الى لشبونة الميناء الاهل الذى كان ينعم بالرخاء عند مصب نهر تاجه . ومما حفز ابن الريق للتاهب لمهاجمة لشبونة ثانية وصول انباء باقتراب اسطول صليبي اخر من ساحل بلاده . وكان هؤلاء الصليبيون فى طريقهم الى فلسطين استجابة لنداء البابا الذي دعا مسيحيي اوروبا للتوجه لمحاربة المسلمين فى المشرق ، بعد ان استرد نور الدين زنكى مدينة الرها (Edessa) ، وكانت عاصمة اولى الامارات الصليبية فى الشرق . وكان الاســـطول الصليبي القادم فى مواجهة ساحل اراضى ابن الريق يتكون من ١٦٤ مركبا ، تحمل نحو ثلاثة عشر الف رجل ابحروا من مينـــاء دارتموث على ساحل انجلترا الجنوبى فى شهر ذي الحجة سنة ٥٤١ هـ / مـــايو ١١٤٧ م . وكان هؤلاء الصليبيون ثلاث جماعات : إنجليز والمان وفلمنك (من شمال بلجيكا حاليا) . وقد ترك لنا وصفا وافيا للحملة راهب إنجليزى من المشاركين فيها ، وذلك فى خطاب بعث به إلى مواطن انجليزى اسمه أزبيرت (Osbert) من بلدة بودسي (Bawdsey) بمقاطعـــة سفولك (Suffolk) بانجلترا (المخطوط للخطاب محفوظ فى كلية كوربوس كريستي بجامعة كمبردج بانجلترا) . وفضلا عن كون الخطاب المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن تفاصيل الحملة ، فانه كذلك وثيقة مهمة لما يشتمل عليه من وصف مفصل لحصار مدينة فى القرون الوسطى ، دفاعا وهجوما ، بما فى ذلك استعمال المقاليع والمجانيق والعرادات وحتى الالغام .

عند مرور الصليبيين بميناء برتقـــال (ابورتو) للتزود بالمؤن ، رحب بهم اسقف المدينة ودعاهم لمساعدة ابن الريق فى مهاجمة لشبونة وانتزاعهـــا من ايدى المسلمين ، على ان يكون من نصـــيبهم الغنائم والرهائن . ولما اجتمع ابن الريق بزعماء الصليبيين للاتفاق على الشروط ، نكر لهم ضيق ذات يده بحجة كثرة حروبه مع المسلمين ، وحاول ان يستدر عاطفتهم الدينية دون جدوى . واخيرا تم الاتفاق على ان تؤول كل الغنائم فى المدينـــة الى الصليبيين وحدهم ، وكذلك المدينة الداخلية وفدية الاسرى ، كما عرض ابن الريق اراضي على من يرغبون من الصليبيين فى الاستقرار فى الاراضي المفتوحة .

وقبل بداية الهجوم ، اوفد ابن الريق اثنين من كبار رجال الدين للطلب الى والي لشبونه وقاضيها تسليم المدينة . وقد جرى بينهم الحوار الطريف التالي : خاطب رئيس اساقفة براجه (Braga) قاضى لشبونة وكان ورجاله فوق سور المدينة ، طالبا منـــه الرحيل والتخلي عن البلاد لاهلها زاعما بان العرب انما كانوا قد استولوا على المدينة عن طريق الخداع . فاجابه القاضي قائلا : كم من مرة جئتم الى هنـــا مع حجاجكم واعلاجكم لاخراجنا ؟ هل انتم غير قانعين بما لديكم او هل ثمة مشاكل فى دياركم تدفعكم الى التحرك المستمر ؟ .... احسب ان

هذه المدينة كانت فى وقت من الاوقات ملكا لكم ، ولكنها الان ملكنا ، وقد تؤول اليكم فى وقت ما فى مستقبل الايام ، الا ان ذلك رهن بمشيئة الله . فبمشيئته تعالى احتفظنا بالمدينة ، ولن تخرج من ايدينا الا بمشيئته تعالى فقط . انصرفوا ، فلن تدخلوا المدينة الا بحد السيف .. اصنعوا ما تشاؤون ، اما نحن فسنعمل ما يشاؤه الله تعالى .

بدات العمليات الحربية فى اليوم التالى وتمكن الصليبيون الانجليز ، باستعمالهم المقاليع ، من إبعاد المسلمين عن الربض الغربى الى داخل المدينة المسورة حيث صمد المدافعون لهم ، وخيم المهاجمون فى مقبرة المدينة . وفى اليوم التالى ، قـــام المسلمون بهجوم مضاد لمحاولة استرداد الربض الغربي دون جدوى . وابدت المدينة مقاومة طويلة ، ونصبت المجانيق ، ولكنها احرقت كما احرق المدافعون برجا خشبيا قامه الانجليز . وشرع الالمان فى حفر انفاق تحت الأرض ، ولكنهم طردوا منها . وبعد مضى ستة أسابيع ، اخذت عزيمة المهاجمين فى الفتور ، واخذ المدافعون يسخرون بهم من فوق أسوار المدينة ويعيرونهم ــ على حد قول الراهب صاحب الخطاب ــ « بالعديد من الأطفال الذين سيولدون لنا فى اوطاننا اثناء غيابنا ، كما سخروا من ديننا » . وفى احدى الليالى شوهد زورق صغير فى البحر متوجها الى بلمالة ، فهوجم الزورق وفر من فيه وعثر فيه على رسائل تستصرخ ابن وزير المنتزى فى يابره (Evora) . وبعد بضعة ايام ، قيل إن رسولا من يابره وقع فى الأسر ، وكان يحمل رسالة من ابن وزير صاحب يابرة يعتذر فيها عن تقديم المساعدة بحجة انه كان فى هدنة مع ابن الريق !

وفى هذه الاثناء ، اخفقت جميع محاولات الصليبيين لنقب السور بالمجـــانيق والعرادات ، كما ساءت احوال المسلمين لنقص المؤن . وحاول الالمان والفلمنك وضع لغم طويل تحت السور ، واشعلت فيه النار فى يوم ١٦ أكتوبر (١١٤٧ م) ، الا ان المدافعين احتلوا النفق الذي احدثه الانفجار . وبعد ذلك بثلاثة ايام ، اتم الانجليز بناء برج خشبي ارتفاعه ثمانون قدما ، وأدنوه من السور المطل على ضــفة النهر (نهر تاجه) ، ونشب حوله قتال عنيف وحاول المسلمون إضرام النار فيه دون جدوى وبعد ثلاثة ايام من القتال بالأيدى ، ادنى البرج من السور ، وانزلت من اعلاه قنطرة متحركة فوق حافة السور ، وعندئذ طلب المسلمون الهدنة . فتم الاتفاق على وقف الهجوم ، واعطاء اهل المدينة مهلة ليلة واحدة للتداول فيما اذا كانوا يريـــدون الاستسلام ، وسلموا رهائن لابن الريق .

الا ان ذلك لم يرق للصليبيين ، فهموا بالفتك بالرهائن غير ان المسلمين رفضوا التفاوض الا مع ابن الريق . واتفق الصليبيون على طريقة دخول المدينة بعد تسليمها ، الا انهم لم يعملوا بما اتفقوا عليه ، وبادر الالمان والفلمنك بالدخول من النقب الذى كان قــد احدث فى السور . وكان دخول النصارى للمدينة فى يوم ٢٧ جمادى الاولى ســـنة ٥٤٢ هـ / ٢٤ أكتوبر ١١٤٧ م ، بعد حصار دام سبعة عشر اسبوعا . ومع انه سمح للمسلمين بمغادرة المدينة ، الا انها نهبت وقتل الكثيرون من اهلها ، كما قتل اســقف النصارى المستعربين فى المدينة .

ما بعد السقوط

هذا هو مجمل رواية احد الصليبيين الذين شاركوا فى الهجوم على مدينة لشبونة الاسلامية ، وهى رواية فريدة اذ إن المصادر العربية ــ او ما وصلنا منها على الأقل ــ لم تترك لنا شيئا يذكر عن هذا الهجوم الضاري على المدينة ، وعن صمود اهلها الباسل منفردين فى وجه هذه الجموع الصليبية . وكل ما لدينا إشارتان مقتضبتان اولاهما عبارة واحدة لابن غالب يقول فيها « وكانوا (النصارى) ثلاثة عشر الف رجل ، وفنى الكل (السكان) فى القتال ، ولم يبق الا اليسير » . اما الاشارة الثانية ، فقد اوردها ابن دحية حيث يقول « وقد اخذ الان هــذه البلاد ابن الريق اللعين ... لما خاف اهلها من القتل ، وراوا ان الاسر دونه لكثرة من جاءهم فى البر والبحر ، وقعود المسلمين عن الحماية لهم والنصر ، حتى ملك الكفـــار معاقلهم المنيعة ، وحصونهم المرتفعة » .

واحتل الصليبيون كذلك معقل شنتره المجاور للشبونة من جهة الغرب ، وحصن بلمالة جنوبي نهر تاجه ، واصبح خط دفاع المسلمين يمتد جنوبي النهر من ثغر قصر ابي دانس (Alcacer do Sal) الى يابره . واصبحت لشبونة معقلا نصرانيا على الحدود ، مثلها فى ذلك مثل طليطلة . ولعل الاستيلاء على لشبونة كان اعظم ما حققه ابن الريق ، الذى بادر بعد ثلاث سنوات من استحواذه على المدينة الى تحويل مسجدها الجامع الى كنيسة ، هى اليوم كاتدرائية لشبونة .

كان سقوط لشبونة فى ايدي النصارى من حيث الاهمية كسقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وسقوط سرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م . وانهال سيل من المستوطنين النصارى على لشبونة وشنترين ، بعد جلاء معظم سكانهما المسلمين عنهما ، ونصب احد الصليبيين واســـمه جـــلبرت (Gilbert) من مدينة هاستينجز بانجلترا أسقفا فى لشـــبونة ، فكان اول اساقفتها ومن المتحمسين لفكرة تحويل المسجد الجامع فى لشبونة الى كاتدرائية .

وقد اتخذ المسلمون قصر ابي دانس (Alcacer do Sal) قاعدة للاغـــارة بحرا على احواز مدينة لشـــبونة بعـــد سقوطها فى ايدى النصارى . وفي الغزوة الكبرى التى قادها السلطان الموحدى يوسف ابن عبد المؤمن لاسترداد شنترين ســـنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، غزا كذلك لشـــبونة واحوازها بالاساطيل ، وكما يقول الحميرى فقد « برز أسطوله على الاشبونة وحاصرها عشرين يوما » .

وقد افاد النصارى حضـــاريا من استيلائهم على قواعد اسلامية كبرى فى الاندلس كطليطلة وسرقسطة ولشبونة . اما بالنسبة للشبونة ، فقد كان لما افادوه اثره الفعال فى حركة الكشوف البرتغالية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ويقول باحث برتغالى حديث إن القانون الجنائى البرتغالى فى العصر الوسيط يكاد يكون كله عربيا فى محتواه ومناصبه ، ويضيف قائلا ان ذلك ليس بالامر الغريب بعد ان حكم العرب البلاد نحو خمسة قرون كما يرجع ذلك الاثر العربى الى حد ما لكون ملك البرتغال اتخذ عاصمة له مركزا عربيا مهما ، الا وهو لشبونة . وكانت لشبونة قد حلت محل قلمرية كمقر رئيسي للملك والادارة فى عهد الفونس الثالث (حكم ١٢٤٦ ــ ١٢٧٩ م) .

وما زال الحي الشرقي من لشبونة يحمل اسمه العربي وهو الحمة (Alfama) . ويقوم هذا الحي « على ربوة عالية ، وهـــو يشبه القصبات فى المدن المغربية بشوارعه الصغيرة الصاعدة الهابطة ، وبيوته ذات الرحبات . وعلى قمة الربوة اطلال الحصن الأندلسي ، الذى كان يقوم وسط القصبة ، وهو يكتشف البحر الى مسافة بعيدة » . ويعرف الحصن العربي اليوم باسم حصن القديس جورج ، ولعل تسمية الحصن بهذا الاسم تمجيد من جانب البرتغاليين للدور الذى قام به المحاربون الصليبيون الانجليز فى الاستيلاء على مدينة لشبونة من ايدى المسلمين ، اذ ان القديس جورج كان وما يزال القديس الراعي لانجلترا .

د . أمين الطيبي

مفيد فوزي



خمسون عاما ، هى مشوارى مع الفكر والتامل . وانا متزوج من استاذة فى علم النفس . وليس لى اولاد . وفى مكتبتى خمسة الاف كتاب . وانا مشتغل بالفلسفة ولست فيلسوفا . وقضيت حياتى ادعو للعقل واحترام الفكر. هذا هو الدكتور زكى نجيب محمود . فماذا يقول للدوحة اذا تقاسمنا حوارا :

● أنا مشتغل بالفلسفة .. ولست فيلسوفا
● لماذا نبني نهضتنا على الأخذ من أوربا فقط ؟
● أحب الحيوان .. ولا أطيق أن أعايشه
● أنا متصوف زاهد .. مطالبي قليلة

لا انسى له هذا الموقف !

واذا كنت اتوقف عند هذا الســـلوك الجامعي باحترام شديد ، فلأنه « موقف » مثالي لاستاذ جامعي ، من هذه المواقف التي نسمع عنها في جامعات الغرب ونحلم بهـــا في جامعاتنا العربية .

حين يختلف التلميذ مع استاذه في الرأى . وللدقة ، حين يكون للطالب او للطالبة رأى آخر غير رأى الأستاذ ! الذي يحدث عادة ، ان الطالب ـ المختلف في الرأى ـ مع استاذه .. يحظى بصفر كبير ! ذلك انه كيف يجرؤ على الخلاف . إن رأى الأستاذ غير قابل للنقاش او الجدل !

ولم اسمع هذا الموقف من الاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود ، بل سمعته وعرفته من احدى « تلميذاته » في الجامعة !

كان لهـــا رأى يخـــالف رأى د . زكى نجيب محمود في قضية فلسفية ، فاذا الدكتور زكى نجيب يعطيها « الثمـــرة النهائية » وتحصل على تقدير امتياز !

لقد وصفت « موقف » الدكتور زكى نجيب محمود بانه موقف « حضارى » لاستاذ جامعى ، يحترم « الرأى الآخر » مهما كانت مسافة الاختلاف !

وقد كان سلوك د . زكى نجيب محمود ، مدخلا للحوار ، لكنه بكل تواضع العلماء عبر الموقف نفسه وقال : لا يمكن ان احكم على رأى الطالبة التى اختلفت معى في الرأى بميولى الشخصية . لابد ان تكون نظرتى ونظرتنا جميعا « علمية » . احيانا اذا ناقشت انسانا ما في « خطأ » ما ذهب اليه من تفكير ، تصور انك « تهينه » يستقبل رأيك وكأنه إهانة !

تحدثنا ـ د . زكى نجيب محمود وانا ـ حديثا طويلا ، وبيننا « مسجل » يحتفظ بكل خلجات الأستاذ الى « المنصات » عميق لما يقول ، لانه من الناس الذين يعتقدون ان الحوار معناه . متحدث .. ومنصت ، ثم منصت ومتحدث . اما ان يتكلم اثنان في وقت واحد فهذا هو التخلف باجلى معانيه!

لم اكن في حاجة الى كتابة الأسئلة او نقط الحوار ، لأن د . زكى نجيب محمود كان يتسلل من موضوع الى موضوع بدقة الباحث او عمق المحاور . اعتبرت نفسى اجلس في « حلبة » فلسفية . استمع ، وانصت ، واتأمل ، واحاور ، واسجل !

● ....

د . زكى نجيب محمود : عيبنا الرئيسى بل سمتنا المريضة اننا لا نطيق العقل . كل افكارنا واحكامنا تصـــدر من غرفة الوجدان ! وقفاتنا « انفعالية » . الانسان عموما ، مفطور على انه لا يأتمن العقل . ولذلك نجد صورة العقـــل مشـــوهة وغير واقعية في الخيـــال الشعبى ! ولمـــاذا نذهب بعيدا ؟ ان « اسطورة فاوست » قائمة على هذا الاساس ، نحن على استعداد ان نســـلم انفسنا لمن يستهينون بالعقـــل .. اكثر مما نسلم انفسنا لعـــالم ، تصور لو ان صاروخا قادما من القمـــر (انقطع وسطه) ... سوف نضحك وربما نفرح . لماذا ؟ لاننا ـ دون ان ندرى ـ نحب ان يفشل العلم . في اعماقنا تموج رغبة عارمة الا ينتصر العلم .. وكاننا بهذه الصورة نطمئن على انفسنا . وانا رجل كرست حياتى من اجل الدعوة .. للعقل ولو سالتنى ، لماذا خضت بحار الفلسفة ؟ لقلت لك : لانى ادعو للعقل ونبذ الوجدان ! انا اقول دائما : دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله واقول دع للعقل ما للعقل ، وللوجـــدان ما للوجدان . انا وجدانى ايضا ولكنى احب ان احصر دور الوجدان . فانا لست وجدانيا في امور المنطق والعقل ولا احب ان احل مشكلات الحياة بالوجدان . والا كان هذا تنازلات مرفوضة !

● ....

د . زكى نجيب محمود : لا تظن كما يظن الكثيرون ان جانب العقل عندى اكبر من جانب الوجدان . ربما ذهبت انت في ظنك هذا لأنك تلاحظ أن صفحات كتبى لا تمل او تيأس من الدفاع عن العقل . لكنى احب ان اوضح نقطة هامة هنالك ، ولقرائك الأفاضل . ففى تاريخ الفكر كله نوعان من الكتابة الكاتب يكتب ليؤيد او يكتب على سبيل العلاج (Corrective Writing) حتى الفلاسفة ، واحد جاء ليعبر عن الحضارة او لينتقد الحضارة . وانا اضفت مسالة العقل للكتابة ، لانى لا اتصور ان « احسم » امور العقل بالقلب ! اذكر انى كتبت ذات مرة مقالة بعنوان « لو كتبت بقلبى » وقلت : لو كتبت بقلبى لن اكون منطقيا في احكامى . سوف تصدر عنى مواقف انفعالية . ثم اتبع ميولى الشخصية . ثم اكون بعيدا عن الموضوعية . ومع ذلك اريد ان اتوقف لحظة لأقول لك انى لا انبذ الوجدان الا في الأمور العقلانية . بيد اننى في حقيقتى متصوف وزاهد ورغباتى قليلة بل شحيحة ! لكن استخدام الوجدان ـ على هذا النحو ـ في الأمور العقلانية . مرض . ربما كان خط دفاع اول للبعض ، واضيف انه ايضا [illegible] هزيمة . لماذا ؟ لانى عندما افكر في امور العقـــل بوجدانية . فانا في الحقيقة استهين بالواقع . مع ان الواقع صلب وعنيد .

● ....

د . زكى نجيب محمود : لو عرفنا اساس الحضارات ، فسوف نبنى نهضتنا على اسس . انا لا اتصور مثلا ان نبنى نهضتنا على الأخذ من أوربا فقط . وفى نفس الوقت لا نبنى نهضتنا على احياء التراث فقط . ان لب كتابى « تجديد الفكر العربى » هو التعرض لهذه النقطة الحيوية والهامة . ان الصيغة التى تناسبنا في الحياة هى صيغة ما . تمثلت في بعض اشخاص على راسهم رجل مثل د . طه حسين في الصيغة التى خرج علينا بها . فهو



د. زكي نجيب محمود "للدوحة":

شيخ ازهري معمم . وهو ايضا فرنسي العقل والوجدان ان صح التعبير . لكنه ـ كمفكر مصري عربي ـ استطاع ان ياخذ من الغرب ، وجذوره ضاربة في الشرق . ذلك ما عنيت به كلمة « الصيغة » .

● ....

د. زكي نجيب : تسالني عن صيغة التلفزيون كوسيلة ثقافية . انا اعترف لك بلا تردد ان التليفزيون لا يصدر منه اى ثقافة متماسكة . نعم ان اجهزة الاعلام ومنها التليفزيون في وطننا العربي تقول ولكنها لا تتكلم ! تسالني ماذا تقصد ؟ واقول لك ان احد علماء اللغة القدامى يرى ان هناك فرقا بين القول والكلام القول مجرد حركة الشفاه . الكلام من الكلمة . او الجرح . يقولون . فلان مكلوم اى مجروح . فالكلام هو القول الذى يترك اثرا . اجهزة الاعلام تقول . ولكنها لا تتكلم ! لا تعطى ثقافة ولا تترك أثرا . الثقافة من الكتاب وحده . نعم ! اجهزة الاعلام لا يمكن ان تمنح ثقافة لسببين الاول ان القاسم المشترك الاعظم الذى تخاطبه هو رجل الشارع . ولو لم تخاطبه لأصبحت ملامة ! واى عطاء ثقافى يفقد عمقه عندما يبسط بشدة الى مستوى رجل الشارع .

السبب الثانى هو التشريح التجريبي الحديث في الندوات والكلام العفوى في البرامج .. ليس له عمق ! ولنفترض من باب الجدل الصرف أن اباءنا العرب الأقدمين لم يكن لديهم كتب وكان عندهم . اجهزة . راديو . وتليفزيون ليسجلوا الفكر والأدب . هل كنا إذا أردنا احياء التراث . نعتمد على شرائط تسجيل ؟ .. هل كانت شرائط التسجيل تقدم لنا عالما او اديبا او فيلسوفا او شاعرا ؟ ، انها في نهاية الأمر ـ تسلية لا أكثر !

● ....

د . زكى نجيب محمود : لا لا تظن انني اعادي هذه الأجهزة ، انا فقط اصارحك انها ليست وسيلة ثقافة . ولهذه الاجهزة فوائدها ايضا ، ولا يجب ان اغفل هذه النقطة . لقد « شيدت » نوعا من الديمقراطية الثقافية . فاصبحنا جميعا امام شاشة التليفزيون نرى رواية واحدة وحديثا واحدا وانتهى الأمر . واذا كان عبد الناصر قد نادى يوما بتذويب الفوارق بين الطبقات فانا اقول لك ان جهاز التليفزيون قد قام بتذويب الفوارق بين الطبقات وأقصد هنا الفوارق الثقافية ! ولكني ايضا لا استطيع ان أقول الراديو والتليفزيون في عالمنا الثالث اعطيا الناس الحرية . بالعكس ان هذه الاجهزة لم تعط حريات كافية انها اجهزة « الرأى الواحد » . انت تسمع او ترى دون ان ترد !

● ....

د . زكى نجيب محمود : الفلسفة منهج . وتستطيع ان تقول انني كتبت بثلاثة اشكال . اما فلسفة صريحة مثل « خرافة الميتافيزيقا » وكتبت ايضا الأدب الصرف . أدب المقالة . وليس ادب المقالة بهذه المناسبة هو ادب اللغة . انما هى فكرة معبرا عنها ! وكتبت ايضا في « العلم » . كل الذى اردته من هذه المحاولات ان اضع امام الناس حقيقة هامة وهى انه يجب ان نفكر . ان نستخدم عقولنا . ان يكون العقل رائدنا ! وليس من المعقول ان نحل مشكلاتنا حلا ورقيا . بمعنى اننا اذا اردنا ان نزرع الصحراء . نكتب تقريرا ونقول « زرعنا الصحراء » !! اذا اردنا ان نرفع مستوى معيشة الناس نكتب تقريرا ونقول « رفعنا مستوى معيشة الناس » . هذه اكبر جريمة . ان نغفل دور العقل . ونلجا للحل الورقى وكاننا نأتمن الورق اكثر مما نأتمن عقولنا !

● ....

د . زكى نجيب محمود : انا رجل علم . رجل منهج . المرأة عندى وهذا رد على تساؤلك لها متحتان في حياتها . صفحة في الأسرة . وهذا دورها كامرأة . كانثى . فاذا خرجت من باب البيت فلا ينبغي النظر اليها كجنس . انما كانسان عليه مسئوليات وله حقوق دون النظر الى كونها رجلا او

امرأة ! والذين يقولون أن المرأة لم تخترع شيئا وبالتالى ليست عبقرية يقعون فى خطأ كبير . لأن دور المرأة وراء المخترع أعظم من الاختراع نفسه،المرأة هنا ، مناخ . وما أعظم العطاء الذى أعطاه العباقرة وكان دور المرأة رائعا ومهيبا وجليلا .

● ....

د . زكى نجيب محمـــــود :البعض يعتقدون انى « يسارى » . البعض يرون انى « يمينى » . جاءتنى مرة معيدة فى قسم فلسفة . زارتنى فى البيت وقـــالت لى يا دكتور . لقد عكفت على قراءة مؤلفـــاتك ولم استطع ان ارسو على شاطىء . لم اعرف هل انت يمينى ام يسارى وبعد ايام كنت أكتب مقالا هاما بعنوان « اليمين واليسار » وصلت الى تحليل فلسفى احدد فيه معنى هذا التقسيم . وقلت انا لا ابدا مطلقا بالكروت والبطاقات . يسارى او يمينى . انما ابدا بالمشكلة . امامى مشكلة . كيف احللها واضع علاجا لها . لا اسأل مطلقا هل هذا الحل جاء من اليمين ام جاء من اليسار . مصيبتنا اننا نبدا بالعنـــوان ! لنفترض اننا نريد ارتقـــاء بالتعـــليم الجامعى . لابد من دراسة اوضاع هذا التعليم ؟ واين مواطن النقص ، واضع فىالحسبان قدراتى المادية والعلمية . ثم اضع حلا علميا مبنيا على حقائق . اذا ظهر ان الحل الامثل كان حلا يمينيا اهلا وسهلا ، واذا ظهر انه حل يسارى ، اهلا وسهلا . واذا كان هذا الحل ليس يمينيا او يساريا ، اهلا وسهلا ايضا !

● ....

د . زكى نجيب محمود : هذا سؤال مهم . كنت على وشك ونحن نناقش قضية العقل والوجدان ان اضيف اليك بقية الراى المكتمل فى ذهنى . احب ان اقول لك ان الوجدان والعقل دائما يتعاونان ، بشرط الا اغلب احدهما على الآخر بمبالغة . الانسان المنظم يضع فى حياته اهدافا . وضع الهدف لا علاقة له بالعقل . وضع الهدف هذه « رغبة . ارغب ان اكون . ارغب ان اذهب للسيرك ! الرغبة او الميل او العاطفة عمل وجدانى بحت ، سواء كان لفرد او لشعب . ولا غبار على هذا السلوك . ولكن السؤال هو : من الذى يرسم الطريق الموصل ؟ انه العقل . انه البحث العلمى . واريد ان اكون امينا واقول لك ، بودى لو ان

● دور رجال السياسة وضع الأهداف
● أدعو للعقل في أمور العقل
● نحن نبتهج إذا فشل العلم
● لا أحب حل مشكلاتنا على الورق

رجل السياسة يضع الأهـــداف ، ويحقق « العلماء » هذه الأهداف . العلماء هم الذين يرصفون بعقولهم ـ ان صح التعبير ـ الطريق الموصل لهذه الأهداف ، رجل السياسة يجب ان يحصر نفسه فى وضع الهدف . اما انه يرسم الطريق ، فهو يضيع نفسه من حيث لا يدرى . قل لى ـ كرجل سياسة ـ عن أهدافك احققها لك ـ كرجل علم ، كجامعة . واحب ان اضيف نقطة اخرى انا لا أطالب العلماء بوضع الاهداف لماذا ؟ لأن مجلس الشعب ومجالس الشورى والبرلمان او المجالس التشريعية هى التى تعرف « رغبات » الشعوب ، وتحقق حصر « الأهداف » . وهنـــــاك

« العلماء » الذين يتولون ترجمة الأهداف الى حقائق مجسدة .

● ....

د . زكى نجيب محمود : أنا من اشد الناس غراما باى برنامج تليفزيونى يتعرض للحيوان ولكنى لا احب ان اعايشه باية صورة من الصور . وقد كنت فيما مضى اذهب لحديقة الحيوان فى اى مكان فى العالم ، وامكث هناك بالساعات .. اتأمل

هذا « المخلوق » الأبكم . وردا على سؤالك الثانى ، فانا من المعجبين بالآثار وتجدنى شغوفا بها الى حد كبير . لأنى اراها خطوات من سبقونا . وتصور انى وانا شاب كنت اجوب الشوارع وحدى لرؤية الجوامع والكنائس الأثرية واعرفها جيدا . وردا على سؤالك الثالث ، نعم كنت احب الرسم كهواية واذكر انى رسمت لوحة فى معرض لمقاومة الذباب . رسمت حربا بين انسان وذبابه كبيرة . وكسبت جائزة عن اللوحة لأنى اظهرت كما قيل لى « روح العراك بين الانسان والذباب » . وردا على سؤالك الرابع ، لقد عشت فى السودان فترة غالية من حياتى واكتشفت عمق وصفاء وسخرية الانسان السودانى . وردا على سؤالك الأخير : عندى خمسة آلاف كتاب وهى مكتبة صغيرة ، وتاريخى مع الفكر والتأمل اكثر من خمسين عاما . وليس لى اطفال .

ومتزوج من انسانة ودكتورة فى علم النفس وانا مشتغل بالفلسفة ولست بفيلسوف !

« مفيـــــد فوزى »

الفارس

قصة قصيرة بقلم : عبدالوهاب داود

اطرق الاب لحظات رهيبة .. لحظات كانت اطول واعمق من عمره كله .. ما مضى منه وما تبقى .. ينظر فى شرود الى معطف الطبيب الابيض ، والسماعة التى تتدلى من رقبته الى صدره ، ويتامل بغير تركيز السرير والملاية البيضاء ، دون أن يستطيع ان يميز شيئا .. فالحياة كلها قد اصبحت امامه فى لون واحد .. شاحب .. لافرحة فيه .. واقترب من الطبيب قائلا غير مصدق :

ـ طارق لم يشك عمره من شىء ..

هز الطبيب كتفيه .. وهو يبتسم مطمئنا

ـ انت اولا صديق .. ويجب ان اصدقك القول .. فما رايته الآن وما سمعته ، وما تعلمته فى كلية الطب .. يؤكد لى أن القلب الذى فحصته اصبح مجهدا فى حاجة الى الهدوء والراحة ..

اراد الاب ان يقنع الطبيب بان ابنه الوحيد معافي .. وانه قد شبه له .. وانما يتراءى له .. ربما اعاد الطبيب فحصه من جديد ، فقال فى صوت يائس قد تغيرت نبراته :

ـ كان فى صحة جيدة .. يجرى ويمرح .. ويقفز على ظهور الخيل ..

هز الطبيب راسه غير مقتنع .. وهو يربت على الصبى .. رافعا عنه سماعة الكشف :

ـ لابد من الراحة اسبوعين على الاقل .. ثم يعاد الكشف عليه ثانية .. اذ ربما كان العيب خلقيا .. وليس عرضيا نتيجة الجهد الغير عادى الذى لايتحمله القلب .. ثم استطرد مبتسما :

ـ الحالة ليست الآن خطيرة .. فى الامكان علاجها .. اطمئن ..

نادى الفتى اباه .. وهو يشير اليه بيده لن يقترب ..ولبى الاب رجاء ابنه فى الحال مصغيا :

ـ الا يمكننى دخول المباراة الاخيرة بالاسكندرية ؟

اجاب الاب وهو يتلفت حائرا :

ـ نسال الطبيب ..

قال الطبيب فى عناد :

ـ انا قلت لا ..

وارتدى الصبى ملابسه فى خيبة امل كبيرة .. وهو يردد فى اسى وذهول :

ـ ولكنى لست مريضا ..

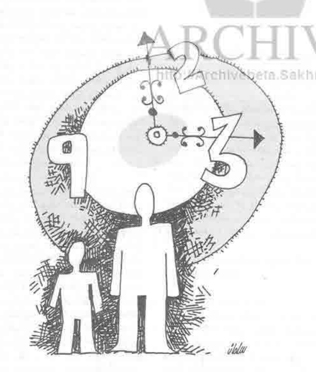
انصرف الاب من عيادة الطبيب ، يصحب ولده الى باب الخروج .. يتحسس خطواته وهو يمشى بجانبه شارد الخاطر ..

يتمنى لو يفسح الطريق امامه ، وان يضعه داخل قلبه اذا استطاع ، وان يقبل الارض تحت قدميه ، كان يشعربانه الصغير وولده الكبير .. الاهم .. هو الذى يجب ان يعيش ويتمتع بالدنيا .. لاوجه للمقارنة بينهما .. ايهما احق بالحياة .. اذا وقع الاختيار ..

اشفق الاب من صمت الفتى .. فساله مترفقا :

ـ هل لابد من الاشتراك فى تلك المباراة ؟

اجاب الصبى فى سرعة وتصميم :





ـ بالنسبة الى حياة او موت ..

وصمت الأب .. لم يتكلم .. تمنى لو تنشق الارض وتبتلعه رحمة به ، احس كان الدنيا لم تعد من حوله دنيا .. وان عذاب يوم القيامة ارحم بكثير مما يعانيه الآن من عذاب ، فالنار ـ مهما كانت ـ لن تصيب معه ولده الوحيد .. طارقا .. ابدا لم يتصور هذا اليوم .. هذه الساعة .. هذه الصدمة ، التى لم يكن فرط تشاؤمه الدائم فى الحياة ، يصور له عذابا فى الدنيا اكثر من هذا العذاب ..

واضاف صمت الفتى اليه عذابا جديدا .. كان قد غرق فى لجة من التفكير العميق .. كانه سقط فى جب عميق ، ليس له قرار ، تامله الأب لحظات ، ثم لم يستطع الا ان يساله متلهفا :

ـ ماذا بك ؟

اجاب الفتى كمن استيقظ من سبات عميق :

ـ اريد ان ادخل هذه المباراة ..

وسقطت كل عذابات الأب ، ليحل مكانها ياس قاطع مرير من الدنيا والبشر ، وامل فى الله وحده سبحانه وتعالى .. فاجاب بعد لحظة .. وكانه يقامر بالدنيا :

ـ لك ما تشاء يا طارق ..

واندفع الفتى يحتضن اباه فى حماسة بالغة .. وهو يدق على صدره مرددا :

ـ انا حديد يا ابى .. صدقنى .. لاتشفق على ..

واحس الأب بقليل من الراحة والعزاء ، حسبه ان يسعد ولده الوحيد ، باية طريقة ، وان يدفع عنه بعض ما يشعر هو به عذاب ، ولكنه عاد فهبطت معنوياته الى الصفر ، وهو يتصور فداحة وحمق المغامرة .. فقال يسال ولده :

ـ الا تشكو من شيء ؟

وعاد طارق يحتضن اباه ويقبله .. بينما قد ارتخت يدا الأب بجانبه ، كتمثال بلا روح .. وهو يهمس الى نفسه متسائلا :

ـ معقول ان يخطيء الطبيب فى تشخيصه ؟ ..

ـ اطمئن يا ابى .. انا لست صغيرا ..

عاد الأب الى البيت ، وكان قد قرر ان يكتم الامر عن زوجته ، حتى لا تزيد همومه هما وحيرة فوق حيرة .. وعندما سالته عن رأي الطبيب .. اجاب بسرعة :

ـ قال انه فى حاجة الى الراحة ..

تساءلت الام وهى تتامل قسمات وجه وحيدها الوسيم .. وهى تتحسسه فى حب بالغ .. قائلة :

ـ الم اقل لك من زمن انك تبذل فى الفروسية جهدا غير عادى .. اسمع كلامى يا طارق .. ودعك من هذه الفروسية .. وانتبه لدروسك .. هذا افضل لصحتك .. اسمع كلام امك .. وكانها بتلك الكلمات كانت تبدى رأيا صريحا فى زوجها الذى اعتزل الفروسية من سنوات قريبة .. قال الأب .. متغلبا على هواجسه .. حاسما الأمر :

ـ الطبيب مثلك يبالغ فى الأمر .. وطارق فى الحقيقة سليم معافى .. لايشكو من شيء .. ومضى اسبوع ، وحان وقت الرحيل الى الاسكندرية ، حيث تقام المباراة .. وحمل الأب والفتى حقائبهما الى القطار السريع .. وهبطا فى محطة سيدى جابر .. واستقلا تاكسيا الى نفس البنسيون الذى اعتادا ان يقيما به كل عام .. والفتى سعيد يطير من الفرح ، والأب شارد .. مشغول الفكر .. يخفى بقدر ما يطيق هواجسه واحزانه ..

وفى صباح يوم المباراة . استيقظ الأب على حركة غير عادية بالحجرة ، ففتح عينيه ولم يصدق ، هذا ولده طارق خارج من الحمام منتعشا ، مبتل الشعر ، تامله لحظات وهو يمشي عجولا يثب نشاطا وعزما ، فلم يصدق الأب أن ما يراه حقيقة ، بالامس كان قد دس له قرصا منوما فى فنجان الشاى بعد العشاء ، ولم يفطن طارق الى تغيير طعم الشاى بعد العشاء ، .. كيف لم يفعل القرص المنوم تاثيره ؟ فالحبة الواحدة كافية .. عادة .. ان ينام الرجل اربعة وعشرين ساعة .. ماذا جرى ؟ .. وكان يقصد بذلك ان يفوت على طارق موعد المباراة .. ترى هل انتهى القدر من نسج خيوطه الاخيرة ؟ ..

تنبه طارق الى استيقاظ ابيه .. فساله وهو يرتب شعره في المراة :

ـ هل صحوت يا ابى ؟

اجاب الاب فى خيبة امل ، وهو يتامل ظهر ولده .. القوى العضلات :

ـ نعم ..

ثم وهو يعتدل جالسا فى فراشه .. يائسا :

ـ ارفع ستائر النافذة ياطارق ..

ونهض الأب من فراشه ، يستعد للخروج مع طارق الى نادى سبورتنج حيث تقام مباراة الفروسية الاخيرة .. ختام الموسم ..

واقترب الأب من النافذة منتظرا ان ينتهى طارق من ارتداء ملابس الفروسية ، وضع الحذاء الطويل « الفيلد بوت » الذى يصل الى ركبتيه فى قدميه ، تلك العمليه التى تحتاج الى جهد ومساعدة فى خلعها ايضا ..

ولم تكن النافذة تطل على البحر .. كانت تطل على اسطح العمارات المجاورة ، منصوبا فوقها حبال الغسيل ، خالية من الملابس .. كان منظرا وحيدا وكئيبا ، فاشاح الاب وجهه ، وارتد عن النافذة يسال طارقا :

ـ هل تريد مساعدة ؟

اجاب طارق وقد احمر وجهه من المجهود

ـ لا يا ابى .. اشكرك ..

ثم وثب بعد لحظة مستطردا فى عزم :

ـ هيا .. ياابى ..

كان نادى اسبورتنج بالاسكندرية فى اوج ازدحامه ، وقمة زهوه ونشاطه .. العامة فى طريق الحرية ـ من غير اعضاء

النادى ـ يجذبهم ذلك المنظر ، فيقتربون من أسوار النادى يسترقون النظر ، يتاملون المروج الخضراء بارض البولو مكتظة بالخيل اتية غادية ، راكضة أو متمهلة ، على صهواتها فرسان منتصبو الرؤوس ، فى لباسهم الزاهى المختال .. القبعة السوداء العالية المهيبة ، والجاكيت الأحمر ، وبنطلون الركوب الابيض .. ثم الحذاء اللامع فى نهايته ذلك المهموز الفضى ، الذى يبرق ويضوى فى اشعة الشمس .. عيد .. كرنفال ـ عادة ـ لايحدث بالاسكندرية كل يوم ..

وبدلا من ان يشعر الأب بجمال ما يرى ، احس بانقباض مفاجىء وهو يلمح « طارقا » ممتطيا صهوة جواده « بحر » .. ذلك الجواد الاجنبى البولندى الأصل .. جواد عال قد يصل ارتفاعه الى مترين .. ولم يكن « بحر » ـ كما يعلم الأب ـ بالجواد السلس القيادة .. كان عنيدا وقويا .. ولايعد ذلك عيبا كبيرا بالجواد ، بجانب شجاعته وتصميمه ان يجتاز أصعب السدود بدون خطا واحد .. كان « بحر » يحتاج الى فارس مثله .. قوى قادر وفنان .. عندئذ لابد وان يحصلا معا على البطولة .. مهما كان الأمر بعيد المنال ..

انحنى طارق للامام وهو يعتلى صهوة جواده ، ثم انثنى فى رشاقة ليضع قطعة السكر فى فم « بحر » ، الذى التفت نحو قطعة السكر ، والتقطها فى سرعة بشفتيه الكبيرتين .. فى حين ربت طارق على ظهر الجواد فى حب واعزاز .. ثم اعتدل يتاهب للتسخين قبل دخول المباراة ..

تـامل الأب ذلك المنظر .. ثم اشاح بوجهه .. وهو يهمس الى نفسه فى عتاب وأسى :

« ما هذا الذى ينوح بداخلى دون توقف ترى هى حقا الساعات الأخيرة التى اتمتع فيها برؤية ولدى ؟ .. وبعدها يختطفه المجهول فلا أراه ؟ .. بالضيعة حياتى .. وشقاء عمرى ..

جلس الأب وحيدا مهموما على مقعد قريب من حلقة المباراة .. لم يشا ان يجلس بجوار احد يعرفه ، فيتناول معه اى حديث .. حسبه رفيقا تلك الأفكار والظنون .. كمن يجلس فى انتظار ان ينفجر اللغم وتنتهى الحياة .. اولا ينفجر اللغم .. فتبدو الدنيا جميلة .. احلى من حقيقتها ..

اقترب منه احد الفرسان القدامى محييا .. ثم جلس بجانبه متسائلا :

ـ لماذا تجلس هكذا وحدك ؟

اجاب الأب فى ضيق صدر وهو يشعل سيجارته :

ـ أراقب ابنى طارقا ..

وضحك الفارس القديم .. قائلا :

ـ هل تغضب اذا قلت ان طارقا امهر منك واقدر على قيادة هذا الجواد ؟

ابتسم الأب فى شحوب .. قائلا وكانه يدرا عن فتاه الشر والحسد :

ـ ليته يا اخى ما تعلم الفروسية .. ربما كان ذلك خيرا له ..

وضحك الفارس القديم .. وهو يربت على كتف الأب :

ـ لابد انك تغار منه ..

وابتسم الأب متسامحا .. وربما موافقا .. وهو شارد يتلفت حوله كانه يبحث عن شىء معين .. مما دعا الفارس ان يساله فى فضول :

ـ ما الذى تبحث عنه ؟

فاجاب الأب بسرعة استنكار :

ـ اين عربة الاسعاف ؟

اجاب الفارس بلا مبالاة :

ـ عربة الاسعاف ؟ انها لاتحضر عادة الا عندما تقع الفاس فى الراس .. وهذا اهمال بالطبع من المسئولين ..

قاطعه الأب وهو يقف فى عصبية .. قائلا :

ـ هذه مخالفة صريحة .. ولابد ان تتوقف المباراة حتى تاتى عربة الاسعاف ..

ابتسم الفارس القديم .. وهو يقول ساخرا :

ـ كل هذا من اجل طارق .. لماذا لم تكن تهتم بهذه الاحتياطات من قبل .. ثم استطرد قبل ان ينصرف :

ـ خليها على الله ..

اجاب الأب بسرعة :

ـ هى على الله .. ولكنها احتياطات لابد منها .. ثم ساخطا وكانه من بلد اخر :

ـ لن نعرف الاصول فى هذا البلد ..

فجاة توقفت الموسيقى النحاسية عن العزف ، ودق الناقوس من منصة الحكام ايذانا ببدء المباراة .. وصدر الأمر باخلاء الأرض من الفرسان .. واعلن فى الميكرفون اسم الفارس المتبارى .. طارق عبد الحميد .. من نادى الفروسية ..

رفع طارق بيده قبعته ثم وضعها بسرعة ثانية .. احتراما وتحية وطاعة لهيئة الحكام .. ثم تاهب وسط تصفيق الجمهور لدخول ارض المباراة ، التى غطيت بالسدود المختلفة الاشكال والاوضاع والالوان ..

هب الأب واقفا متحفزا بقلب خافق .. غائر فى قدميه .. يارب .. همس بالنداء وهو ذاهل يكاد لايحس بما حوله .. يقاوم رغبة حمقاء ان يخترق ارض المباراة باقصى سرعة .. ويختطف فتاه من فوق صهوة جواده .. ويجرى به خارج الحلقة .. مهما كان ذلك التصرف مجنونا .. غير لائق او عادى .. اليس خيرا من ان يفقد وحيده فى لحظة قادمة .. الى الأبد ؟ ..

ثم افاق الى رشده .. يائسا متواكلا .. مدركا بانه كان يجب ان يمنعه منذ البداية .. اما الآن فقد انتهى الأمر ..

كان قلبه يتابع الفتى .. ويقفز مع الجواد فوق كل سد .. بانفاس لاهثة .. مضطربة .. لم يكن يصغى الى تصفيق الجمهور الذى كان يصاحب فتاه .. فى كل قفزة بارعة .. كان يتمنى لو ينتهى خط سير المباراة فى ثانية .. او يتوقف الجواد «بحر» فجاة عن القفز .. فيرد اليه وحيده صحيحا معافى بغير سوء ..

كان دهرا قد انقضى حتى وصل الجواد الى السد الأخير ..

وفجاة توقف قلب الأب لحظة عن الخفقان .. عندما شاهد ولده منحنيا يمسك بطنه بيده .. بعد ان اجتاز السد الأخير .. وسط تهليل واعجاب الجماهير .

ثم عاد الى الخفقان السريع كالطير الذبيح .. وهو يترك مقاعد المتفرجين .. وينطلق يجرى كالسهم الى حلقة المباراة .. وهو يهتف فى صوت ضائع .. طارق .. ماذا بك ؟ .. طارق ؟ .. تكلم يا طارق ..

اسرع طارق يقول لابيه مستنكرا مسلكه .. لاشىء يا ابى .. لقد اصطدمت بمقدمة السرج .. شىء عادى .. يحدث لكل فارس ..

وفجاة اظلمت الدنيا فى وجه الأب ، وسقط بلا حراك .. بلا انفاس .. قبل ان يطمئن على وحيده طارق ..

عبد الوهاب داود



الزلزال المدمر في لبنان من الغزو حتى المذبحة



غلاف كتاب « الغزو والمذبحة » الذى اصدرته وكالة الانباء القطرية



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام

فى إطار الأحداث الهامة التى تمر بالمنطقة العربية ، ياتى كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » الذى اصدرته وكالة الانباء القطرية ، ليسجل لنا ما جرى فى لبنان منذ ٤ يونيو عام ١٩٨٢ ، وهو اليوم الذى يعد من اكثر فصول الصراع العربى الاسرائيلى شراسة وقسوة فغزو اسرائيل للبنان واستخدام ترسانتها العسكرية المزودة باحدث الاسلحة فى ضرب المخيمات الفلسطينية سيظل حيا فى الذاكرة العربية ، لنستخلص منه الدرس ونتاهب لخطوات المستقبل ..

والكتاب الجديد يستعرض كل احداث تلك الفترة ، ويقدم لنا كافة الحقائق فى امانة ودقة ، ليكون مرجعا لكل الباحثين والمعلقين حول تفاصيل الحرب العربية الاسرائيلية فى لبنان ، او ما أطلق عليه الكتاب وصف : جريمة القرن العشرين !

وياتى الكتاب فى ٣٥٣ صفحة ، تتصدره مقدمة للاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، تليها كلمة من منظمة التحرير الفلسطينية تعبر عن مدى الاصرار والعزيمة على مقاومة الغزو والاحتلال الاسرائيلى الاستيطانى مهمـــا كانت التضحيات ومهما سقط الشـــهداء ، ثم يستعرض لنا الكتاب فى سبعة فصول احداث الغزو والمذبحة منذ يوميـــات الاجتياح حتى احتلال بيروت ومجازر المخيمات ثم مهمة حبيب والجهود الدولية فالتحرك الخليجى ، والمواقف العربية .

ويختم فصوله بنبذة وافية عن الجنوب اللبنانى باعتباره البداية الحقيقية للازمة الكبرى التى اندلعت فى لبنان عام ١٩٧٥ وظلت تتفاقم على مدى سبع سنوات حتى جاء الزلزال المدمر المتمثل فى الاجتياح الاسرائيلى للاراضى اللبنانية ..

وقد ابرز الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، فى مقدمة الكتاب ، دور الاعلام امام الاخطار الكبرى ، ذلك الدور الذى يتلخص فى جمع الحقائق ووضعها اولا باول امام الجماهير لكشف المواقف والتنبيه إلى المخاطر وشرح ابعاد ما يجرى من احْداث ، مما يؤدى فى النهاية إلى تكوين وبلورة الراى العام الذى هو نبض الامة وضميرها الحى المتدفق ..

واشار فى هذه المقدمة إلى ما مر بالامة العربية فى صيف عام ١٩٨٢ ، وكيف كانت احداث هذا الصيف من اشد ما واجهها من مخاطر واكثرها هولا ، مما لابد وأن يكون له تاثير على مسيرتها لامد طويل .. وبين ابعاد هذه الهجمة الشرسة قائلا :

« لن يكون هناك اى ادعاء ، فى القول ان الهجمة الشرسة التى تعرضت لها الامـــة العربية من جانب العدو الصهيونى ، فى شهر يونيو فى ذلك العام وما تلاه من شهور لم تكن مفاجاة لاحد . فقبل وقت طويل من وقوعها ، واجهزة الاعلام تكشف وتحذر وتنبه ، وتؤكد ان الهجوم واقع وان العدو يستعد لاجتياح لبنان مستهدفا ـ اولا وقبل كل شىء ـ توجيه ضربة قاضية للمقاومة الفلسطينية ، وانهاء الوجود الفلسطينى على الارض اللبنانية ان امكن ، بل وتصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائى ، واذا كان هناك من مفاجاة فى احداث ذلك الصيف اللاهب ، فانها كانت فى مقـــدار ما عمد إليه العدو من عنف بالغ ووحشية قل نظيرها ، ورغبة فى التدمير تنم عن حقد اسود وكراهية متاصلة ليس لها مثيــــل (فضلا عما يمكن ان يكون قد فاجا البعض بالنسبة لمواقف بعض القوى الكبرى ـ ازاء ما جرى من احداث ـ وبعض ردود الفعل الدولية) » .

ثم استعرض الأستاذ عيسى غانم الكوارى فى مقدمته الهدف من اصدار هذا الكتاب امام الاحساس باهمية ما يجرى واثره على الامة العربية ، وكيف بدا الفريق الذى كلف باعداد الكتاب عمله الحقيقى فى جمع المعلومات وتصنيفها واعدادها بصورة تجعلنا نرى بوضوح الساحة التى شهدت كل هذا القدر من العنف .

ان كتاب « الغزو والمذبحة .. جريمة القرن العشرين » يعتبر مرجعا وافيا عن الغزو الاسرائيلى للبنان ، ذلك الغزو الذى تصور المخططون له انه سينتهى بعد ثلاثة او خمسة ايام على الاكثر فاذا بالترســـانة العسكرية الاسرائيلية تواجه اطول حرب فى حياتها كلها .



الأزهار في حياتنا

اذا كان عندك رغيفان بع احدهما لتشترى بثمنه ورداً وزهوراً

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

يجب ان نتذوق الجمال فى الطبيعة ، وفى المدرسة ، وفى العمل ، وفى المأكل والملبس .. وفى كل حركة من حركاتنا .. وفى كل عادة من عاداتنا ..

ومتى تذوق الناس فى كل مكان صور الجمال . اصبح الابداع والكمال الفنى فى كل شيء هدف كل مواطن . واذا سار كل منا فى تحقيق الهدف ، وجدنا فى حياتنا مقاييس روحية ومعنوية تقاس بها الامور والأشياء بدلا من ان نقيسها فقط بمقياس المادة البغيض . وعندئذ يسرى تذوق الجمال فى نفوسنا ودمائنا ، ويصبح قوة تتصدى لمطامعنا المادية والجسدية ، فتهذبها وتدفعها نحو الاعتدال والاتزان .

وتربية الذوق فى النشء وتنمية الاحساس بالجمال أمر واجب فى التربية الحديثة . ومن انسب الوسائل لتربية هذا الذوق وتنمية هذا الاحساس ، هو ممارسة النشء لتنسيق الأزهار والصور والتحف والاثاث .

ولما كانت الورود والأزهار والرياحين حولنا فى كل مكان ، وفى متناول كل يد ، كانت من ابسط الاشياء واسهلها ، لتكون عادة يمارس بها النشء تذوق الجمال ، بمحاولاته العديدة المتكررة فى التوفيق بين اشكال الازهار والوانها ، لتكون منسجمة فيما بينها وبين المكان الذى توضع فيه ، بحيث تنتزع من العين اعجابا وتجد فيها النفس البشرية بهجة وراحة ومتعة .

واستمرار ممارسة الصغار والكبار لفن تنسيق الازهار يخلق عندهم الاحساس بالجمال فى كل شيء .. ويخلق فيهم احاسيس عامة تنفر من كل شيء غير متجانس او غير منسجم . ومثل هذه الاحاسيس تعينهم ايضا على وضع الأشياء والامور فى موضعها اللائق المناسب .

ولم نجد شعبا من الشعوب العريقة القديمة احب الازهار ، وتعلق بها كما احبها المصريون القدماء ، وتعلقوا بها . لقد كانت عندهم وسيلة للترحيب بالضيف ، كما كانت وسيلة للتعبير عن الولاء والاخلاص والحب . كانوا يقدمونها للضيف فرادى او فى اكليل يوضع حول الراس والعنق . وكانت الازهار خير ما يقدمه الاتباع لسادتهم ، والأفراد لأصدقائهم ، والنساء لأزواجهن ، إذ كانت خير معبر لمعانى الوفاء والاخلاص وكانت النساء اذا خرجن فى زيارتهن وضعن الازهار فى شعورهن لتزيدهن جمالا وحسنا : وحتى الجثث الفرعونية المحنطة كانت لا تخلو من زينتها بقلائد واكاليل من الازهار .

امام هذه العادات اهتم المصريون القدماء بالحدائق وتنسيق النباتات الزهرية حتى تكون موردا لا ينقطع لأزهار يحتاجون إليها فى مناسبات كثيرة .

وكانت الأزهار عند الاغريق والرومان معبرة عن عواطف المحب الولهان ، اذ كان عليه ان يجدد الازهار كل يوم فى عنق محبوبته ، وكان بيت الخطيبة فى اثينا يزخر بالبنفسج وفى روما بالورد ، وكان يوضع على راس الزوجين تاج من الزهور يعبر عن الشرف والحب ، وكانت هذه التيجان فى اول عهدها تعد من الورود البيضاء والحمراء وبعض اغصان الزيتون ولكن مع مرور الزمن خلطت الورود بالازاهير المناسبة .

وقد وجد بعض سكان قرى سويسرا فى الأزهار وسيلة تعبر بها الفتاة عن رايها فى زواجها ، فاذا قبلت باقة من الزهر اصبحت

مخطوبة لمن ارسل إليها هذه الباقة والا فهو غير مقبول عندها . وفى قرى اخرى يضع الفتى القروى وردة فى اناء فوق نافذة من يريد الزواج بها ، ويلصق بها بطاقة باسمه فاذا رات الفتاة الوردة ، وقبلت الزواج من صاحبها ، انتزعت هذه الوردة من انيتها ، فاذا ما راى الفتى ذلك طرق الباب ليطلب يدها من اهلها .

ويعد اليابانيون عيبا كبيرا عـــــدم استطاعة الرجل او المراة تنسيق الأزهار ، لهذا نجد من المالوف عندهم ان يقوم الزائرون بتنسيق ما احضروه معهم من زهور بانفسهم .

والمادة مهما حسن ترتيبها وتنوعت الوان الطعام فيها ، لا تكمل بهجتها ولا يتم رونقها ، إلا اذا نسقت باجمل الأزهار وابهجها ، حتى تتغذى العين بحسن التنسيق ، كما تتغذى المعدة بجودة الطعام .

ولعل هذا هو الذى دفع احد حكماء الصين القدماء الى ان يقول قوله المأثور :

« إذا كان لديك رغيفان فبع احدهما لتشترى بثمنه وردا وزهورا » .

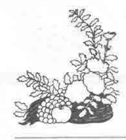
ما اصدق هذا القول .. فبالـرغيفين لا نستطيع غير تغذية البطون .. امـــا لو بعنا احدهما واشترينا بثمنه وردا وزهورا استطعنا تغذية العيون والبطون فى آن واحد .

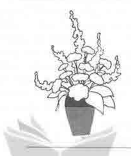
● ●

وعند تنسيق الأزهار ينبغى ان يتناسب لونها مع اللون السائد فى الغرفة ، فالغرفة التى يسود فيها اللون الازرق ، لا يحسن تجميلها بازهار زرقاء اللون ، وكذلك الغرفة التى يسود فيها اللون الاحمر ، لا يناسب اختيار الورود الحمراء .

ويلعب الضوء دورا هاما فى تنسيق الأزهار وابراز جمالها ، فكثيرا ما نجد بعض الأزهار اجمل من غيرها ، فى الضوء الضعيف ، بينما نجد البعض الاخر يبدو قويا جذابا رائعا فى الضوء القوى سواء لكان هذا الضوء طبيعيا ام صناعيا ، فالورود الحمراء والأزهـــــار الزرقـاء والبنفسجية لا يرى كل جمالها وحسنها إذا وضعت فى اركان ضعيفة الاضاءة ، ولكنها إذا وضعت فى مواضع مضيئة ، بالقرب من شرفة او نافذة تبدت فاتنة ساحرة رائعة ، اما الاركان المعتمة او الضعيفة الاضاءة فاكثر ما يناسبها الأزهار البيضـــــــاء والصفراء والبرتقالية اللون ، إذ تبدو فى هذه الأركان اكثر وضوحا للعين ، وتبدو هذه الأركان الينا كانها اكثر اضاءة عن ذى قبل .







اشكال مختلفة للتنسيق تبين طريقة تنسيق الزهور فى خطوط مختلفة واتجاهــــات متباينـــــه



الأزهار في حياتنا



ولا يمكن لمنسق الأزهار ان ينجح فى مهمته من غير ان يضع امام عينيه التناسب بين حجم الأزهار وحجم الآنية ، التى ستوضع فيها ، فما ينبغى أن توضع الأزهار الكبيرة أو ذات السيقان الطويلة فى انية صغيرة ، كما لا توضع الأزهار الصغيرة او القصيرة الساق فى انية كبيرة حتى لا تكون كالصبى الذى يرتدى سترة والده .

ولكى يتم التناسب بين طول الأزهار وحجم الآنية ينبغى أن يكون ارتفاع مجموعة الأزهار بما فيها من اوراق قدر طول الاناء مرة ونصف مرة ، مع مراعاة الا يزيد على ذلك .

ويجانب تناسب طول الأزهار وحجمها مع طول الآنية وحجمها ، يجب ان يتناسب حجم الآنية بما فيها من ازهار ، مع حجم الغرفة كلها ، فلا توضع انية كبيرة فى غرف صغيرة ، ولا توضع انية صغيرة فى غرف كبيرة .

وينبغى الا تكون انية الأزهار ملونة بالوان قوية ساطعة او مطعمة بالزجاج او العاج او مرسوم عليها نقوش زاهية ، فمثل هذه الاوانى تطغى على الأزهار فتحتل المكان الأول ، وتجمع الأزهار الموضوعة فيها فى المكان الثانى ، وعموما يجب عند اختيار انية الأزهار ان نراعى البساطة والاتساع الكافى والارتفاع الملائم .

ويجب تجنب وضع الأوانى الكبيرة ذات الأزهار الطويلة على منضدة وسط الغرفة حتى لا تحجب رؤية بعض الجالسين عن البعض الآخر .

واحسن مكان لمثل هذه المجموعة الكبيرة أو الطويلة من الأزهار هو احد اركان الغرفة .. اما الأزهار القصيرة والموضوعة فى اطباق او فى اوان قصيرة ، فهى اكثر ملاءمة لموائد الطعام .

وعند تنسيق ازهار مختلفة الاطوال ، يراعى وضعها حسب أطوال اعناقها بحيث تظهر متدرجة ، الأزهار الطويلة من الخلف ثم المتوسطة ثم القصيرة فى الأمام .. وهذا التنسيق يمكن النظر إليه من جهة واحدة ، وهو انسب ما يكون لتجميل ركن من اركان البيت .

وإذا لم يكن بد من الجمع بين الورود والأزهار ، فينبغى ان تكون الأزهار اصغر حجماً ، على أن توضع فى مستوى منخفض عن مستوى الورود ، حتى لا تطغى هذه الأزهار بكثرتها ووضعها على الورود ، فتسلبها ما فيها من حسن وبهاء ، فما الأزهار فى مثل هذا الوضع سوى وصيفات يحطن بالورود ، وبذلك يتحقق قول الشاعر العربى :

للـــورد عنـــدى محـــل
لانــــه لا يمـــل
كـل الريــاحين جنــد
وهـــو الأميرُ الأجـــل

وفى مناسبة اخرى يقول شاعر عربى اخر :

جمـــع الورود خصـــالا
لم تكن فى نظرائــه
حسن لـــون جعل الزهـ
ـــرة من تحـــت لــوائهْ

وتنسيق الجدران بالأزهار يستدعى استخدام الأوعية والاوانى المعلقة او الثابتة فى الجدران ذاتها .

سواء اكانت الأوانى ثابتة او معلقة فجانب الآنية الملاصق للجدر ينبغى ان يكون مسطحا مستويا حتى ينطبق على الحائط ويكون ملتصقا بها .

والاوانى المعلقة تكون عادة من الفخار المطلى أو من المعادن المشغولة المزركشة او من الصاج المطلى ، وتعلق احيانا بخيوط حريرية ذات الوان جذابة جميلة . وفى الغالب تكون هذه الأوانى المعلقة من النوع الصغير او المتوسط الذى يعلق على جانبى صورة زيتية أو على جانبى نافذة او شباك كريتال .

أما الأوانى الثابتة فهذه يعمل حسابها فى بناء الحائط ذاته .. اذ يثبت فى الحائط خوابير تحمل قاعدة من الرخام أو المعدن المزركش او الخشب المزخرف ، ويوضع فوق هذه القاعدة اناء جميل المنظر من الصينى أو من المعدن المطلى الذى « يلبس فيه » إناء زجاجى يوضع بداخله الماء والأزهار .

والمنظر السابق يعطى صورة واضحة لتنسيق جدار بانية ثابتة ، ويشترط فى هذه الأوانى ان يكون حجمها متناسبا مع حجم الحائط المختارة له ، وان تكون هذه الأوانى منسجمة فى الوانها مع الجدار ومع لون اثاث الغرفة ذاتها .

تنسيقات الأزهار فى الافراح والمناسبات

فى يوم عقد القران وفى ليلة الزفاف ، تعمل « كوشة العروسين » بعد ان يُخْتارَ لها مكان مناسب ، بحيث يسهل رؤيتها من كل زاوية او ركن من اركان المكان ، او تكون فى صدر القاعة التى سيتم فيها الاجتماع ، مع العناية التامة بالمنظر الخلفى واختيار الأشكال والالوان المناسبة للأزهار التى تناسب المنظر الخلفى « للكوشة » .

ويحسن عدم تركيز الجمال فى موضع او مكان واحد ، بل توزع الازهار فى مواضع مختلفة ، فى اسبتة صغيرة او زهريات ، ويراعى فى هذه المناسبة ما يأتى :

(١) اذا كانت العروس تحمل الأزهار يجب ان تكون فى صحبة او مجموعـــة صغيرة مناسبة لها .

(٢) يستحسن ان يكون الأزهار التى تحملها وصيفات الشرف للعروس ذات لون ابيض او وردى فاتح ، و « البوكيهات » تنسيقات للأزهار تقدم فى حفلات الخطوبة والزواج ، كما تقدم فى استقبال الزعماء والأصدقاء والأحباب .. وقد تقدم للمرضى فى المستشفيات تعبيرا عن أحسن المشاعر

ولصـــنع « البوكيه » توضـــع الاوراق الخضراء كالفوجير او الاسبرجس أو الميلالوكا او الجيبسوفيلا البيضاء على ورق الزبدة وتختار الأزهار المناسبة شكلا ولونا ونبدأ فى وضعها فى الخضرة التى يجب ان يتدلى جزء منها فى الجهة الامامية للبوكيه ، ليضفى عليه جمالا ويراعى فى ترتيب الازهار تتابع الوانها من الفاتح إلى الغامق . ويلاحظ ان سرة البوكيه يجب ان توضع فيها ازهار الوانها قوية واضحة زاهية ، ثم تربط الأزهار بالرافيا وتغطى بورق السلوفان .. ويربط « البوكيه » عند قاعدته وقد يربط فى البوكيه شريط ابيض او احمر ، ويوضع عليه بطاقة المرسل .

د . عز الدين فراج



قف
هل تعلم

من أول من استعمل مساحيق وأدوات التجميل "الماكياج"؟

عبد العزيز
السيد المصري

ما دام الهدف من التجميل هو جعل المرأة تبدو أكثر جاذبية يجب أن تتذكر أن هناك آراء ووجهات نظر مختلفة عن الجمال قد نشا عنها أنواع مختلفة من طرق التجميل ووسائله في جميع انحاء العالم . فالمرأة الافريقية التى تقطع جلدها وتطلي داخل الجرح بطلاء أسود إنما تجمل نفسها وتزيد من جاذبيتها وفق المستوى والذوق الذى ينظر به شعبها إلى الجمال ، وعندما تدلك امرأة من الاسكيمو جلدها بالشحم والدهن فانها تتزين بالجمال الذى يروق الاسكيمو .

واول شعب كان مستوى نظرته للجمال يماثل تلك التى ننظر بها إليه اليوم كان شعب مصر فقد كانوا يعجبون بالشعر الجميل اللامع وكانوا يفضلون أن ترسم السيدة شفتيها بدقة وأن تحدد حاجبيها ورموشها بشكل ظاهر جذاب وكان يعجبهم جمال المظهر وصفاء البشرة والقوام الرشيق ، ونتيجة لهذا كله كان للسيدة المصرية أدواتها ومساحيقها وعطورها التى لا تختلف كثيرا عن تلك التى تستعملها السيدات اليوم فقد كانت تستعمل طلاء حواجب أسود واخضر وكانت تستخدم احمر الشفاه اكثر من مرة فى اليوم وتصبغ خديها وشفتيها وجفونها حتى انها كانت تكسو رموش عينيها بمرهم عطري لتبدو اطول . وكان بعضهم يستعمل خمسة عشر نوعا من العطور فى وقت واحد .. وكان من عادة السيدة المصرية ان تحمل زجاجات عطور صغيرة مخبأة فى ثيابها .

وكان الشعب اليونانى القديم هو الذى يلى الشعب المصرى فى استعمال أدوات ومساحيق التزيين فلم يقتصروا على استعمال انواع كثيرة من العطور ولم يصبغوا شفاههم فقط ولكنهم استخدموا دهونا خاصة تجعل شعورهم شقراء .

وعندما هزم الرومان اليونان اخذوا معهم اخصائيي الجمال الاغريق وهكذا حصلوا على اسرار صبغ الشعر والغسول الخاص بالوجه ، وغذاء الجلد الضرورى للاحتفاظ بجمال المظهر ونقاء البشرة ، وصبغة اظافر اليد .. الخ .

وقد شاع طراز الشعر المموج بين الرومان حتى بين الفتيان الرومانيين . وكانت سيدات الرومان قديما يصنعن اقنعة من طين التجميل ليحصلن على جلد ناعم نقي تماما كما تفعل سيداتنا العصريات فى صالونات التجميل الباهظة التكاليف .

كيف اكتشفت عوامل الوراثة؟

ينتج كل كائن حي سواء أكان حيوانا أو نباتا ذرية من نوعه أو فصيلته ليس غير .. وهذا إنما يحدث بسبب الوراثة .

وذرية كل والدين لا يتحتم ان تكون لها نفس الخواص التى للوالدين مثل الهيئة واللون والاحوال البدنية والعقلية .. وهذا الاختلاف يأتى أيضا من الوراثة .

الخواص الوراثية هي خواص تتكون من شيء ما يوجد داخل الطفل منذ اللحظة الأولى التى تدب فيه الحياة .. ويرجع الفضل فى اكتشاف الحقيقة الأولى التى نشأت عنها جميع معلومات علم الوراثة الحديث إلى الراهب الاسترالى جريجورى مندل الذى عاش فى منتصف القرن التاسع عشر .

كان « مندل » يجرى تجارب على « البسلة » فى حديقته ، فاكتشف أن فى البذور التى فى الزرع الأب عددا كبيرا من العوامل المختلفة تعمل بأنظمة معينة لتسيطر على الشكل الذى ستبدو عليه بذور « البسلة » الناضجة .

نحن نسمى هذه العوامل الآن « الجينات » ولكن ذلك لم يحدث إلا سنة ١٩٠٠ بعد موت مندل بستة عشر عاما ... فقد ايقن علماء آخرون أن النتائج التى توصل إليها « مندل » كانت بالغة الأهمية وسموا اكتشافه « قوانين مندلين » .

لماذا يبدو داخل الأرض ساخنا؟

يتكون سطح الأرض من قشرة صخرية يبلغ سمكها من عشرة إلى ثلاثين ميلا ، وكلما نزلنا ١٣٠ قدما فى عمق الأرض زادت الحرارة درجة واحدة . فاذا وصلنا إلى عمق ميلين من سطح الأرض كانت درجة الحرارة كافية لجعل الماء يغلى . فاذا أمكننا ان نحفر ٣٠ ميلا فى باطن الأرض فان درجة الحرارة تصل إلى ١٢٠٠ درجة وهى درجة كافية لصهر الصخر ، ويعتقد العلماء ان درجة الحرارة عند مركز الأرض تبلغ ٥٥٠٠ درجة « سنتجريد » .

أما قشرة الأرض فتتكون من طبقتين : الأولى وهى التى تتكون منها القارات فانها من الجرانيت ، وتوجد تحت طبقة الجرانيت طبقة سميكة من الصخر الأسود شديد الصلابة يسمى « البازلت » وهذه الطبقة هى التى تساعد على تكوين القارات وتشكيل الاحواض التى تمسك مياه المحيطات .

ويعتقد أن هناك عند مركز الأرض كرة هائلة من الحديد المصهور يبلغ قطرها ٤٠٠٠ ميل .

كيف حدث أن مركز الأرض صار هكذا ؟ بناء على أحدث النظريات العلمية يعتقد أنه كان هناك نوع من الصلة بين الشمس والأرض .. فمعظم العلماء يرون أن الأرض كانت كتلة دائرة من الغاز والسائل أو المواد الصلبة التى بدأت رحلاتها المنتظمة حول الشمس .. وبمرور الزمن أخذت هذه الكتلة الساخنة تبرد .. وبدأت الكتلة الضخمة تنكمش لتصير اصغر فاصغر بسبب دورانها ثم بدأت تأخذ شكل الكرة ببطء .. كانت حمراء ساخنة .. وعلقت فى مدارها بجاذبية الشمس .

وعندما بردت الأرض تكونت قشرة صلبة على سطحها ولا أحد يدرى كم استغرق ذلك من ملايين السنين .. ولكن بقي هناك فى أعماق الأرض نواة ملتهبة هى مركزها ..

وما زالت هناك حتى اليوم .

صباح مبكر

قصة قصيرة بقلم : محمود الورداني

ثم انحرفنا بجوار الحنفية المقامة فى ظهر الحوش الذى يسكن إلى جواره عم « وطنى » ، ورحنا نصطدم بالناس الذين يدورون ، بعيدا عن بقع الماء التى تجمعت فى السكة الضيقة . انئذ ـ عرفت اننا اقتربنا ، ورحت اشم رائحة التراب القوية التى ليس مثلها اى رائحة . كانت امى تحمل الحقيبة ، وكنت انا و « منى » اختى نحمل الخوص ، ونـركض خلفها . وعندما انتهينا الى المنحدر ، رحت اشاهد اشباح بائعات الخوص المنحنيات بملابســـهن السوداء فى الضباب الخفيف بجوار الاتوبيسات الحمراء الداكنة ، التى كان الناس يهبطون منها ويروحون يركضون على الفور . وبانت التلال البيضاء هناك ممتلئة بالناس المتزاحمين الذين يملأون الشارع بكامله . وقد ارتدوا ملابس سوداء مثل امى ، دون ان يســـــتطيعوا إلا ان يتحركوا ببطء شديد ، ملتصقين ببعضهم ، وانا اراهم يغيبون رويدا داخل الكوبرى الغائم اسفل التل القريب .

جعلنا نسير بين الشواهد ، ووسط الناس الذين جلسوا كل جماعة حول واحد فقط من هذه الشواهد . وكان بعض الناس يعرفون امى ويقولون لنا « كل سنة وانتم طيبين » ، وكانت امى ترد ، ونحن نركض خلفها ، وحتى انحرفنا اخيرا داخل الحوش الخشبى الداكن .

كن جالسات ، قريباتنا ، على الحصيرة وظهورهن الى الحاجز الخشبى الذى يفصلهن عن أقربائنا الرجال الجالسين فى الناحية الاخرى . ولقد فعلت انا مثلما فعلت امى . وقفنا امام الشاهد وجعلنا نقرا الفاتحة . وكنت اعرف انها تبكى الآن . وعندما انتهينا ، ربتت علينا بيديها الاثنتين . فيما جعلت انا افك حزمتين من الخوص ، وانثرهما على قبر ابى ، كى اشم رائحة الورد العطن المختـــلط بالتراب الناعم .

لقد تراجعت امى ، وراحت تسلم على النسوه وهن ينظرن الينا ، وقالت عمتى « افكار » : « اهلا يا حبيبتى .. » . ومدت يديها إلى منى . وهكذا ، جعلنا انا ومنى اختى ننحنى على قريباتنا ، وهن يقبلننا ويهمسن . كانت امى قد خلعت حذاءها ، ثم انها توقفت قليلا ، دون ان يفسحن مكانا بينهن ، ومضت الى الطرف القصي المواجه للباب ، عند نهاية الحصيرة ، ودون ان تنظر ناحيتهن . على انني حملت حزمة الخوص الباقية ، وبينما كنت اعبر الى الحجرة الاخرى ، رايت السحارة العامقة المتربة راقدة فى الطرف الآخر . وقلت لنفسى اننا الآن لم نعد ناتي سوى فى العيد الصغير والعيد الكبير فقط ، لكننا فى البداية . كنا نأتى اليه وحدنا ، دون ان نجد ناسا كثيرين مثلنا فى العيد . تفتح مي السحارة وتضع فيها البطاطين والحقائب ، وعندما يرانا عم « وطنى » ، كان يحضر لنا الحصيرة والقلة . وتطلعت اليها ، كانت جالسة على طرف الحصيرة ، بينما تكومت النساء الاخريات ـ وهن يمددن سيقانهن المغطاة بالجوارب السوداء الشفافة ، ويملن على بعضهن ويهمسن .

فككت حزمة الخوص ، وجعلت اقرا الفاتحة امام الشاهد الآخر . وخطوت تجاه الرجال ـ الذين جلسوا على الطاولتين الخشـــبيتين الملتصقين بالجـــدارين القريبين : عمى فؤاد وعمى فكرى وعمى ممدوح وناس آخرون . كان البعض ينحنى ويقبلنى ، وعندما اسلم على اى رجل ، فاننى لا اعرف ما اذا كان سوف ينحنى ويقبلنى ، أم انه سوف يتركنى امضى . ومالبثت منى ان اطلت عبر الباب وهى تبتسم ، غير ان عمى فؤاد راح يبتسم هو كذلك ويشـــــير اليها .

وسمعتها تنادى من الحجرة الاخرى ، وخرجت . كانت النسوة الصغيرات مثل بنـــــات عمى فاطمــــــة ودلال ودرية ، كن لا يعرفن كيف يجلسن لان ملابسهن ضيقة وكانت عيونهن محمرة وهن يبتسمن لى ، وانا اعبر بجوارهن . قالت امى : « نادى على الشيخ علما يا مصطفى .. » . كانت تبكى الان دون صوت ، وهى تفتح حقيبتها وتخرج الشريك والبلح ، بينما كان الناس الذين يقولون « الرحمة » قد بداوا يطلون .

إننى اركض بين الشواهد الممتلئة بالناس والاولاد الذين كانوا يلعبون بصوت عال وهم يطاردون الكلاب . كان الشيخ الذى صوته حلو يخب هناك عند حوش عائلة زوجة عمى عبد الحميد . وصحت انا : « يا عم الشيخ علما .. يا عم الشيخ علما .. » .

عندما عدت . كانت منى منحنية على اذن أمى ، التى كانت تعدل لها ذيل الحصان . وبعد ان ينتهى ذلك ، ويبداون فى النهوض ، سينحنون ويسلمون علينا ، ويضعون العيدية فى جيوبنا انا ومنى ، وما نلبث ان نمضى نحن فى نهاية الامر ، لنعود فى العيد المقبل ، دون ان نرى منهم سوى عمى ممدوح ، الذى نذهب إليه مرة كل شهر لناخذ منه النقود بعد ان تكتب امى اسمها على الورقة التى يعطيها لها . لكننى تذكرت ان اقرباءنا هؤلاء لم يعودوا ياتون باولادهم ، الذين كانوا يتركون الشاهد ويركضون الى الخارج ويلعبون وحدهم .

وتخطيت الحاجز إلى الحجرة الاخرى ، لاجلس هناك عند الرجال ، حيث قبر جدتى وعماتى وكل النساء الاخريات اللاتى كن قدمتن . وجعلت اسمع الناس الذين يقولون الرحمة ، حتى اتى عم الشيخ علما وراح يقرا هناك عند قبر ابى والرجال الاخرين .

بعد ذلك ، كانوا ينتظرون حتى ينتهى عم الشيخ علما ، ثم يصيح واحد : « اكمـــل يا شيخ علما .. » . كانت الاصوات ما تنفك تطلع رويدا ، ثم انتى رحت اميز صوت بكاء النسوة فى الناحية الاخرى ، وهن يذكرن اسماء الرجال والنساء الذين ماتـــــوا . وما لبثت إلا قليلا حتى انفجر الصراخ والبكاء ـ مثل كل مرة . خافت اول الامر ، ثم ينقلب فجاة الى صراخ طويل قوى . ورغبت فى النهوض والذهاب إلى امى هناك ، غير ان عمى فكرى قام واقفا وراح يزعق وهو يمد وجهه تجاههم دون ان يكفوا .

سمعتها تناديني ، وقمنا انا ومنى ، ليسلم علينا هؤلاء الرجال القاعدون ، ويضعوا العيدية فى جيوبنا ، قبل ان نمضى .

هل ألف شكسبير رواياته؟

بقلم : جريس القوس - ١٩٣٥

شكسبير

أخى ح . ش .

كتبت إلي تسالنى ان اجلو لك حقيقة هذا النابغة ، الذى على سعة شهرته وذيوع اسـمه فى مختلف الازمـان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية ، مجهول الهوية ; وما فتىء الكثيرون من الادباء فى انكلترا وفى امريكا يرتابون فى امر تاليفه الروايات المنسوبة اليه : فتراهم فى كل حين يكتشفون لها مؤلفا جديدا غير شكسبير ، مؤيدين اراءهم باقطع البراهين واقواها .

ولقد بلغت هذه المسالة من الاهمية وخطـورة الشـان ما جعـل الأدباء ينقسمون الى مدرستين ، الاولى تنتصر لشكسبير وتعضده وتعرف بمدرسة مستقيمى الراى (اورثوذكس) بينما الثانيـة هى اللاستراتفوردية Anti - Stratfordian نسبة الى ستراتفورد قرية شكسبير ومسقط راسه ـ تجرده من كل صبغة ادبية ، وتتهمه بضعف الارادة والجهل فهى لا تود ان تنسب هذه المؤلفات الرائعة الى امرىء كشكسبير وضيع النسب ، نشا نشاة الوضعاء من عامة البشر ، فلم يلتحق بمعهد عال او يتفقه على مدرب كبير .

إنه لمن العار بل من الحرام ـ على رايهم ـ ان تنشا العبقرية فى الاكواخ ، وانه لمن الشائن المزرى إذن ان تعزى هذه الروايات على ما فيها من روعة وجلال الى شكسبير العامى القروى . فى ذلك يتفق اصحاب هذه المدرسة ، غير انهم يختلفون فى امر مؤلفها .

اما أول الأدباء الذين نسب اليهم تاليف روايات شكسبير ففرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ـ١٦٢٦) الفيلسوف الانكليزى الشهير ، واول واضع اسس النظرية البيكونية Baconian Theory فهربرت لورانس Herbart L'awrence إذ الف سنة ١٧٦٩ كتابا سماه (مجازفات فى الذوق السليم) Adventures in Common Sense ، بيد ان هذه الاراء لم تثر اهتمام الادباء ولم تحرك لهم ساكنا مدة نصف قرن او اكثر ، بعد ذلك لقيت لها انصارا عضدوها بالمؤلفات العديدة . منهم ج.س. هارت J. C. Hart فى كتاب الف سنة ١٨٤٨ ، وفى مقالة موضوعها « من الف روايات شكسبير ؟ » نشرت فى التشمبرز جورنال Chambers' Journal ومنهم و.هـ. سمث فى رسالة بعث بها الى لـورد اليسـمير Ellesmere موضوعها «هل الف بيكون روايات شكسبير ؟» ومنهم ايضا الكاتبة ديليا بيكون Delia Bacon فى كتاب اسمه «كشف القناع عن فلسفة روايات شكسبير The philosophy of the plays of Shakespeare identified

وقد ظهر مؤخرا غير هؤلاء فى انكلترا وفى امريكا كاللورد بنزانس وسر.ت. مارتن ، وج. قرينود وغيرهم من مشاهير الادباء وكبار النقدة ممن عززوا النظرية البيكونيـة ، وحملـوا على شكسبير حملة كادت ان تمحو اسمه محوا وتدحر جيش انصاره دحرا .

ويبنى معظم انصار بيكون حجتهم على النقط التالية :

(١) إن سر توبى ماتيوس Sir Tobie Mathews بعث سنة ١٦٢١ برسالة الى بيكون يمتدحه فيها ويعده «انبغ من انجبت انكلترا ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر ، فى العصر الحاضر» .

(٢) إن فى روايات شكسبير بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها فى العلم وتعمقه فى الفلسفة والقانون مما لا يمكن ان يعزى الى شكسبير كما يظهر فى ترجمة حياته المعروفة .

(٣) إن فى روايات شكسبير مشاهد وابياتا تشهد بان ناظم عقدها ارستقراطى النزعة والنشاة ، مثال ذلك انه : يسخر بالرعاع ، ويزدرى عامة البشر فى كل من «يوليوس قيصر» و «كوريولانس» سخرية وازدراء لا يمكن ان يصدرا من شكسبير القروى الوضيع النسب ، إن ذلك إلا مظهر من مظاهر نبذ الارستقراطية للعامة وكراهيتها لها ، واعتزازها برجالها وفى مقدمتهم بيكون .

(٤) اما اخر هذه البراهين ، والذى عليه يبنى جميع خصوم شكسبير ، على اختلاف اشخاصهم اراءهم واعتقادهم الراسخ فى ان شكسبير على ما فى نسبه من ضعة ، وفى نشاته من حقارة ، وفى علمه من نقص ، وفى خلقه من مغمز ، وفى حياته من غموض وإبهام ، لا يمكن ان يكون مؤلف تلك الروايات الخالدة ، التى تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ونبوغ هو فوق كل نبوغ ، كيف يمكن هذا ، مادام هناك بيكون الفيلسوف الكبير ، والنابغة الفذ الذى شغل اهل زمانه ، وملأ اسماعهم وابصارهم ؟

وياخذ انصار شكسبير هذه الحجج ويفندونها واحدة واحدة ، فيقولون ـ مثلا فى الرد على الحجة الاولى إن (سر توبى ماتيوس) لم يعن فى رسالته بيكون الفيلسوف ، وإنما عنى راهبا يسوعيا اخر اسمه طوماس ساوزويل Thomas Southwell كان يعرف بلقب بيكون . مع كل هذا يرى انصار شكسبير ـ مسلمين جدلا بان سر توبى يعنى الفيلسوف بيكون ـ ان ليس فى هذا ما يدل كل الدلالة على ان بيكون إنما هو مؤلف روايات شكسبير . إن هى إلا العاطفة ، عاطفة الصداقة العمياء هذه ذات التعميمات والأحكام الجارفة .

اما فيما يخص الاشعار فليس فى البقية الباقية من شعر الفيلسوف بيكون

ما يدل على انه شاعر بالمعنى الصحيح ، ذلك الشاعر الفذ الذي يمكن ان يعزى اليه نظم تلك القطع الرائعة التي تتخلل معظم رواياته وخاصة الاخيرة منها .

هذا اما المفردات او الفقرات العديدة الواردة في روايات شكسبير والدالة على تبصر في العلم وتبحر في الفلسفة والقانون وإلمام باغلب الفنون فلم تكن مقصورة على شكسبير او على بيكون وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين في عصر اليصابات وبالأخص الاخير منه . إذ شاع فيه التقليد والنسج على منوال الاولين . فالذي يجوز لنا الارتياب في امر تاليف شكسبير لهذه الروايات على هذا الأساس الواهي ، يجوز لنا ايضا الاشتباه في غيرهم من الكتاب والشعراء .

وعلاوة على هذا يرى انصار شكسبير أن ليس في هذه الروايات ما يدل على إلمام واسع بالعلوم والفنون أو تعمق في الفلسفة والقانون ، إلماما وتعمقا يصح معهما ان ينسب تاليفها الى بيكون صاحب النظريات الفلسفية الخالدة والنثر الادبي الرائع .

اما القول بان مؤلف هذه الروايات لابد أن يكون ارستقراطي النسب والنزعة كما يظهر من شعوره نحو الرعاع وخصوصا في «يوليوس قيصر» و «كور يولانوس» فليس بالقول الذي يعتمد عليه في بنيان مثل هذه النظرية وتحقيقها . إذ ما روايات شكسبير إلا مملكة كبيرة ، فيها الملوك والنبلاء ، والرعاع والعلماء ، وفيها الجنود والصناع ، والأرواح والآلهة ، كل منهم يفكر ويقول ويعمل حسب طبيعته ونزعته ، وعلى قدر قوته ومعرفته ، غير مقيد براى الشاعر او عقيدته الخاصة . بذا يمتاز شكسبير عن (برونتج) خاصة وعن باقي الشعراء والكتاب عامة . فما الرعاع في الحقيقة إلا من هذا البشر الذي توخى شكسبير في تصوير طبيعته ونفسيته الصدق والعدل .

هذا بعض مما يقوله انصار شكسبير في الرد على خصومه ، غير انهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يوردون الحجج الايجابية الدامغة التي تؤيد اراءهم كل التأييد . من ذلك قولهم إن حياة شكسبير ليست محاطة بالابهام كما يظن خصومه . فلو استعرضنا تراجم معاصريه من الادباء لالفينا في جميعها ــ اللهم إلا من اتصل منهم بالسياسة او القانون وكان له فيها شان كبير ــ غموضا وإبهاما يساويان إن لم يزيدا ، ما في ترجمة حياة شكسبير من غموض وإبهام .

ويرى انصار شكسبير ايضا ان لديهم تقارير عديدة تدل على اتصال الشاعر بالمسرح وانشغاله باموره مدة ليست باليسيرة ، وفي بعض رواياته تلمح ما يدل على إلمام الشاعر بفن المسرح ودقائقه . يحضرنا من ذلك ــ على سبيل التمثيل ــ ما جاء على لسان هملت في تلقينه الغلمان سبل الالقاء والتمثيل تلقينا يشهد له ــ اى لشكسبير ــ بطول الباع في هذا الفن . وليس في ترجمة حياة بيكون الضافية ، ما يدل على ولوعه بالتمثيل او كلفه بالمسرح .

اما ادعاء خصوم شكسبير ان ما في رواياته من مفردات في القانون ، يكفل لبيكون ــ وهو بالطبع قانوني ــ تاليفه الروايات لحجة واهية ، من السهل دحضها . فقد كانت المدن في عصر اليصابات تكتظ بطلاب الحقوق هواة المسرح . فكان لشكسبير في ذلك فرصة سانحة لمجالستهم والاستماع الى احاديثهم التي تدور ، في اغلب الأحيان ، حول القانون . هذا عدا تجاربه واختباراته في هذا الفرع كابن احد الملاك او التجار .

ومن البيانات الواضحة التي يعتمدها انصار شكسبير في الرد على خصومه ، ورود اسم شكسبير مع التعليق على فنه في بعض النسخ الاولى من رواياته مفردة Quartoes ومجموعة First Folio وفي مجموعة صونيتاته Sonnets ومذكرات معاصريه . وخاصة فرنسيس ميرز Francis Meres في كتابه « بلادس تيميا Palladis Tamia وروبرت جرين Robert Green في تهكمه اللاذع على شكسبير ، وفي قصيدة بن جونسون Ben Jonson التي فيها يخلد «وزة افون» Swine of Avon

بيكون

وقد ظهر مؤخرا غير بيكون مرشحون اخرون لروايات شكسبير ، منهم «لورد رتلند الخامس عشر Lord Rutland 15th ومنهم كونت دربي Derby ولكن احدثهم ظهورا واشدهم خطرا على الممثل الستراتفوردي ديفر ايرل اوف اوكسفورد السابع عشر . فقد وضع ج . طوماس لونلي Loonly سنة ١٩٢٠ كتابا في هذا الموضوع سماه «إثبات شخصية شكسبير في دي فير ايرل اوف اوكسفورد»

واخر كتاب ظهر في هذا الموضوع هو لمونتاجو دوجلاس Montagu Douglas رئيس جمعية ادبية (١) اخذت على نفسها معاضدة دي فير ودحض اراء انصار شكسبير . فقد وضع كتب « إيرل اوف اوكســــفورد لشكسبير The Earl of Oxford as Shakespeare. وهو يجمع باختصار كل ما يمكن ان يقال في هذا الاديب كمؤلف للروايات المنسوبة لشكسبير .

أما النظرية الشيخزبيرية (٢) فما هي في الحقيقة بنظرية ، وإنما هي خرافة اكبر عامل في خلقها التشابه الظاهر بين اسمي الشيخ زبير وشكسبير . ليس هذا فحسب بل إن علاقة شكسبير الغرامية مع «السيدة السمراء» The Dark Lady ويظن بعضهم انها مصرية ــ وحبه للخيول وخاصة خيول رواد المسرح وما في رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغن بسمائها وطيرها «فونكس Phoenix وزهرها وشجرها ، كل هذه بعض من الشواهد التي قد يتخذها هواة النظريات اساسا للنظرية الشيخزبيرية .

ولقد غرب عن بالي ان اذكر لك أن من الأدباء من يعزو الى شكسبير تاليف نحو اربعين رواية اخرى ، ومنهم من يرى ان شكسبير لم يؤلف كل رواياته ، بل شاركه

هل ألف شكسبير رواياته؟

في ذلك كتاب اخرون كبيمونت وفليتشر ، وخاصة في «تيطس ادرونيكس» وثلاثة اجزاء : «هنرى السادس» . و «تيمون اثينا» و «بيركليس» ، و «هنرى الثامن» .

هذا عرض موجز لما يمكن ان اخبرك به في هذا الموضوع ، ولا انكر عليك انني بعد دراسة حجج الفريقين وتمحيصها بكل دقة ــ اراني ميالا كل الميل الى المدرسة الستراتفوردية . ولا اشك في ان النجاح سيخالفها ، مهما وجه اليها من نقد لاذع ، ولشكسبير من تهم هو برىء منها .

جريس القسوس
الكرك : شرق الاردن .

هوامش

١ ـ Shaheapearean Fellowship

٢ ـ نسبة إلى الشيخ زبير .

مصادر المقال :

1. Neilson and Thorndike's The Facts about Shakespeare.
2. Harvey's Oxford Companion to Eng. Literature.
3. Prof. Byron Smith's Lectures on Shakespeare.
4. Douglas' M. W. The Earl of Oxford as Shakespeare.
5. The Encyclopedia Britanica, (Shakespeare).
6. J. Qusus' Shakespeare and Sheik Zubeir.

حيرة العقل ..

بقلم : إبراهيم عبدالقادر المازني ـ ١٩٣٧



ابراهيم عبد القادر المازني

اراني في هذه الايام لا اكاد اعرف لي رايا في شيء لا لاني كففت عن التفكير فلعل الامر على خلاف ذلك ، وعسى ان اكون مسرفا في النظر والتدبر وفي التماس الوجوه المختلفة للامر الواحد الذي يعرض لي ، وإنما ترجع حيرتي الى ان إطالة النظر تكشف لي كل يوم عن جديد ، والى ان تدبر النواحي المختلفة تجعل الجزم عسيرا ، وتغرى بالتردد ، وتدفع الى الشك ، ومن طال وزنه للامور وتقصيه لوجوهها وتأمله في البواعث والاحتمالات قل بته ــ وعمله ــ ايضا ــ لان العمل يراد منه الغاية ، فلابد من المجازفة والتعرض لعواقب الخطأ من بعض النواحي . وكل رجل عمل يضطر الى الاخذ بالارجح فيما يرى ، وإلا تعذر عليه العمل بل استحال ، ورجال الحرب والسياسة والمال والتجارة ومن إليهم لا يسعهم إلا المخاطرة لان غايتهم ليست الاهتداء الى الحقيقة بل بلوغ الغرض . وكثيرا ما اراني اسال نفسي لفرط ما ارى من ترددي وحيرتي . «هل اصبحت غير صالح ؟» ولا يسرني ذلك فاروح اقول إن قدرة النفس على التكيف لا حد لها فيما اعرف ، وإن العمل الذي يحوج الى سرعة البت والجزم بلا تردد يضطر المرء الى النزول على مقتضياته ، وما اكثر ما تكون مواهب الانسان كامنة ، فلا يظهرها إلا انتقال الاحوال به ، وانا مع طول ترددي بين الآراء اراني مع ذلك اتصرف في مواقف العمل بسرعة وضبط وإحكام . وليس هذا من الثناء على النفس ، ولكنه من الواقع الذي اعرفه بالتجربة .

ومن طول حيرتي بين الاراء اصبحت اثق بخطئي ولا اثق بصوابي ، واقدر الضلال في كل ما انتهي اليه ، ولا اطمئن الى السداد فيه ، ومن اجل ذلك لاازال اراجع نفسي في كل قضية ، وانقض اليوم ما ابرمت بالأمس ، ولولا ان معجل في حيـــاتي لـكان الارجح اني احجـم عن المجاهرة برايي مخافة ان اكون قد اخطأت الصواب فيه . وانا اعزّي نفسي ــ لو ان في هذا عزاء ــ بقول ويندل هولمز ــ على ما اذكر ــ إن الحقيقة «كزهر» النرد لها اكثر من وجه واحد . فاذا كنت قد رايت وجها واحدا دون سائر الوجوه فان لي العذر إذا كان هذا كل ما بدا لي ، واين في الناس من يرى وجوه الحقيقة كلها من كل جانب ؟؟

ولهـــذه الحيرة عللها المعقولة فانا قد ورثت اراء ، وافدت من مخالطة الناس اراء ، واكتسبت من الاطلاع اراء . وكنت اسلم بما ورثت واكتسبت ، وانا في سن التحصيل ، وكنت ربما كابرت بالخلاف فيما اخذته من بيئتي ، اما ما كنت افيده من الكتب فكنت اتلقاه بالاكبار والاقرار ، لاني لم اجد من يهديني او يرشدني . فلا البيت كان لي فيه هذا المعين ، ولا المدرسة كنت اجد فيها هذا المعلم الحاذق المرشد . وظل احترامي للكتب على حاله حتى احتجت في سنة ان ابيعها ، وشق على ذلك في اول الامر ، وكنت لا اكاد اطيق ان ادخل الغرفة التي كانت مرصوصة فيها . وظللت اياما احس كلما نظرت الى الرفوف التي خلت مما كان عليها اني

فقدت أقرب الناس الى واعزهم على ، واشعر انى مشرف على البكاء اذا لم احول عينى عن هذه الرفوف الخالية ، ولم يكن ما اتحسر عليه زينتها ، وما اضعته فيها من مال خسرته بالبيع وانما كانت الحسرة على فقدان اساتذتى واخوانى . وبقيت بعد ذلك زمنا لا امر بمكتبة عامة إلا شحت بوجهى عنها من فرط الالم ، وإلا احسست أن يدا عنيفة تلوى احشائى وتحاول ان تقتلعها . وكان من غرائب ما حدث انى لبثت أكثر من سنة لااقتنى شيئا من الكتب كانما زهدتنى الحسرة على ما ضيعت فى كل جديد غيره .

ومن الغريب ان هذا هو نفس الاحساس الذى عانيته لما توفيت زوجتى . فقد ظللت سنوات لااطيق ان انظر الى امراة . ثم فتر الالم وخفت وطاته ، كما هى العادة ، وكنت فى خلال ذلك قد احتجت ان انظر بعينى وافكر بعقلى فالفيتنى اشك فى كثير مما كنت اسلم به ولااكابر فيه بل ما كان لايخطر لى أن اعترض عليه . وتغير الأمر ، فبعد ان كنت اخذ الآراء من الكتب او الناس ، صرت اخذها من الحياة بلا واسطة ، واعرضها على عقلى بلا مؤثر فاعتدت الاستقلال فى النظر ، والحرية فى التفكير ، وخلا تفكيرى وإحساسى شيئا فشيئا من تاثير الكتب ، وسواها ، وبرزت نفسى بعد طول التضاؤل ، ثم اخذت اروض نفسى على التماس الجوانب الاخرى التى تخفى فى العادة،

فصارت وجوه الحقيقة تتعدد فيما ارى ، والفت ذلك حتى صار هذا ديدنى مع الناس . فاذا رايت من صاحب لى مايسوءنى حاولت ان اضع نفسى فى مكانه وان انظر الى الامر بعينه هو ، وان اتمثل بواعثه وإحساساته الى اخر ذلك ، فينتهى الامر فى الاغلب بان اعذر ولا الوم . ويذهب الالم او الغضب او غير ذلك مما اثار صاحبى بما صنع .

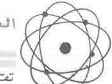
بل ترقيت من هذا الى ما هو ارفع ، فصار نظرى الى الناس نظرا الى مادة تدرس لا الى مخلوقات تعاشر ويصدر عنها ما يسوء او يسر ، ولاشك ان الفعل الحميد حسن وقعه فى النفس ، وان السوء يؤلم او يغضب ، وليس إلا ان اتلقى ما يكون من الناس بالحمد او الذم ، وبالرضى او السخط ، ولست بانسان اذا لم يكن هذا شانى ، ولكنى اعنى انى لااعجل بالذم والسخط ولااندفع مع اول الخاطر ، بل اراجع نفسى واجيل عينى فى الامر لاراه من ناحية غير الناحية التى طالعتنى فى البداية ، فيتحول الموضوع من عمل او قول باعث على الرضى او الامتعاض الى مادة للتفكير ، وتذهب عنه الصبغة الشخصية ، فكانى امتحن نظرية ولست ازن صنع انسان اساء او احسن .

ويخيل الى الآن انى اعيش فى معمل فكل ما القاه فى الحياة من خير وشر ، وما اجدنى او اجد سواى فيه ، من جد ولهو ، اتناوله بالتحليل لاستخلص منه مايتيسر لى استخلاصه من الحقائق ، ثم اروح اقيسه الى تجاربى الاخرى واقارن واقابل ، ولاازال افعل ذلك حتى يهدنى التعب ، وقلما اهتدى ، وكثيرا ما اضل ، ولكنى لااسام ولا اضجر لان هذا صار متعتى النفسية التى لا اعدل بها متع الدنيا ، بعد ان وجدت نفسى ، وعثرت عليها تحت طبقات الكتب التى بعثتها والحمد لله على ما كنت اتوجع واذم الدنيا من اجله فلولا انى بعت هذه الكتب لما وجدت نفسى ، ولكان الارجح ان اظل كالذى يعبد اصناما .

والشك حيرة ولكنه حرية ، وسعة الافق خير من ضيقه ، على الرغم من العناء الذى يكابده المرء من إرسال العين وإدارتها فى النواحى الخفية او البعيدة ، وإنه لعذاب ، وإن جدواه لقليلة ، بالقياس الى الجهد الذى يبذل فيه ، ولكنه خير وامتع من التحجر الذى يؤدى اليه التسليم ، بلا نظر ، وحسبك من متعته انه يريك كل يوم جديدا ، وقد يكون ما تهتدى اليه وتحسبه جديدا قديما جدا فى الحقيقة ، ولكن المتعة فى الجهد نفسه لا فى النتيجة، والشان فى هذا كالشان فى الالعاب الرياضية فان الغاية منها ليست الغلبة او التفوق او غير ذلك مما يجرى فى هذا المجرى ، وإنما العبرة فيها بما تفيده من التدريب وما تكتسبه بفضل الجهد الذى تنفقه فيها ، ولذتها فى مزاولتها لافيما تنتهى به من الفوز وإن كان للفوز قيمته ومزيته ، ولكنه ليس كل ما تزاول الالعاب من اجله .

ومتى صار كل شىء مادة للدرس والبحث فقد صارت الحياة أوسع وارحب ، وصار المرء كانه يحلق فوقها وإن كان يخوضها ويعانيها . وهذا ما اروض عليه نفسى الآن ان اكابد الحياة والناس ، وان يسعنى مع ذلك ان اقف منها ومنهم موقف الناظر المتفرج ، فكانى اثنان لاواحد ، احدهما يعيش ويجرب ، ويسعد ويشقى ، ويسر ويحزن ، ويجد ويهزل ، ويفعل ما يفعل الناس غيره ، وثانيهما يتلقى هذه التجارب وينشرها امامه ، ويعرضها على عقله ويقارنها ويقابلها ، ويفحصها ويضم المتشاكل منها بعضه الى بعض ، ويجمع ما يمكن ان ياتلف ، ويعمل خياله فيما يراه ناقصا ليملأ الفراغ ويسد الثغرة ، ويصنع على العموم ما يصنع الكيميائى فى معمله الذى يجرى فيه تجاربه ، ولايتاثر بالواقع ، ولايعنيه ما عانى منه ، وهذا الازدواج عسير ولاشك ، ولست اطمع ان ابلغ منه الغاية واوفى على الامد ، ولكنى اطمع ان اوفق فى بابه الى الكفاية مع المواظبة والصبر ، ويطمعنى فى النجاح ان كل انسان له اكثر من شخصية واحدة وإن كان لايدرى ذلك .

ويتقل على نفسى خاطر واحد يكاد يصدنى عن المواظبة، هو ماجدوى ذلك كله ؟ .. ما اخر هذا العناء الذى اراه باطلا ؟ .. اخر ذلك كله معروف . وهل ثم من اخر سوى الفناء ؟ .. ولكنى اعود فاقول لنفسى إن هذا الآخر لاآخر سواه سواء أبذل المرء الجهد ، ام قعد عنه وضن به ، فلا فائدة من التقصير ، ولاضير من السعي ، والحياة ان تحيا ، لا ان تجمد وتركد وتاسن . اما الجدوى فلماذا اعذب نفسى بالسؤال عنها ؟ وما جدوى اى شىء فى الحياة ؟ . إن كل ما اعرفه انى موجود ، وانى وهبت قدرة على الاحساس والتفكير ، فكيف اعطل هذه المواهب وابطل عملها . . وكيف يمكن ان انعم بالوجود واتمتع بالشعور به وانا اعطل ما اعطيت ؟ ويعرف الجدوى من اعطانى الحياة ، فلندع ذلك له فهو أعرف به .



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

محرك لسيارتك من السيراميك

● اجرت إحدى الشركات اليابانية مؤخرا تجارب ناجحة على محرك سيارة ديزل يضم اجزاء عديدة صنعت جميعها من السيراميك . ويتميز هذا المحرك التوربين المصنوع من السيراميك بانه يسمح لحرارة الاحتراق داخله ان تبلغ ١٦٠٠ درجة مئوية مما يوفر استهلاك الوقود . وهى درجة حرارة لا تستطيع افضل السبائك المعدنية تحملها .

وبالاضافة إلى تحمله لدرجات الحرارة المرتفعة فهو صلب للغاية ولا يتأثر بعمليات التآكل حتى عند درجات الحرارة العالية .

ولقد اتاح هذا المحرك المصنوع من السيراميك إلغاء نظام التبريد مما أدى إلى خفض وزن المحرك ١٢ كيلو جراما .

ولذلك يتوقع الباحثون ان تصبح مادة السيراميك من المواد الحيوية في صناعة السيارات فى المستقبل .

تحليل الدم الفورى

● تمثل عينة دم المريض ملفا شبه كامل لحالته الصحية لان تحليل الدم يساعد الطبيب على اكتشاف العديد من الالتهابات والأمراض بل وبعض أنواع السرطان .

ويضطر الطبيب المعالج عادة إلى انتظار نتيجة التحاليل عدة ساعات وفى بعض الاحيان بضعة ايام . ولكن بفضل الجهاز الالكترونى المبين فى الصورة يستطيع اى فنى معامل حتى وإن كان غير مدرب إجراء التحليل بشكل فورى والحصول على نتائج خلال دقائق معدودات .

ويضم الجهاز ميكروسكوبا متصلا



الجهاز الالكتروني الجديد لتحليل الدم الفوري

بمصدر للأشعة فوق البنفسجية بحيث يسقط الضوء على عينة الدم من خلال فلترات خاصة لتبدو مكونات الدم من خلايا حمراء وبيضاء وصفائح دموية واضحة وعند ذلك تقوم دوائر الكترونية متصلة بميكروكمبيوتر باحصاء مكونات الدم المختلفة بشكل اتوماتيكي ، ثم عرض النتائج على شاشة رقمية .

وليس على الفنى سوى النظر من عدسة الميكروسكوب وإدارة ذراع مثبت على احد جوانب الجهاز لتحريك الدم . ويستغرق التحليل الكامل ١٥ دقيقة فقط !

قلب مزدوج السرعة

● يساعد جهاز تنظيم ضربات القلب على أن يعيش من يعانى من عدم انتظام فى ضربات قلبه حياة طبيعية اذ يعوض عدم قدرة الجسم على الاحتفاظ بضربات القلب طبيعية ومنتظمة .

إلا ان سرعة هذا الجهاز الالكترونى ، الذى يزرع فى صدر المريض ويعمل على تنشيط ضربات القلب ، لا تناسب النشاط العنيف .

ولذلك فكر الباحثون فى ابتكار منظم لضربات القلب يعمل بسرعتين بحيث يسمح للقلب بضخ مزيد من الدم اثناء التمرينات البدنية العنيفة مثل الهرولة أو الألعاب السويدية .

ولقد تم تجربة هذا الجهاز الجديد بنجاح على الحيوانات وسوف تجرى قريبا تجارب مماثلة على متطوعين آدميين .

ويعتمد عمل هذا المنظم على جهاز رصد حرارى متصل باحدى الرقائق الالكترونية التى يعمل بها الكمبيوتر وذلك بان يقوم جهاز الرصد الحرارى بتحديد اى زيادة فى النشاط العضلى للمريض عن طريق زيادة درجة حرارة الدم الذى يمر فى القلب وعندئذ يصدر الكمبيوتر اوامره للمنظم بالعمل بالسرعة الاكبر .

ونظرا لأن كل مريض يمثل حالة مستقلة بذاتها فان الطبيب يحدد السرعة التى تناسب كل مريض سواء اثناء فترات الراحة أو اثناء بذل المجهود .

مدن بلا ضوضاء !

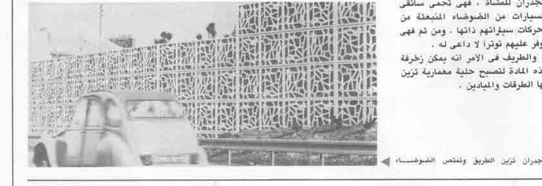
● توصلت شركة فرنسية إلى انتاج مادة جديدة تمتص الأصوات والضوضاء . وسوف تستخدم هذه المادة فى بناء جدران على امتداد طرق السيارات التى تخترق التجمعات السكنية .

ولا تكتفى المادة الجديدة بعكس الأصوات كما تفعل المواد الأخرى وانما تمتصها ، خاصة الاصوات ذات الترددات المنخفضة والمتوسطة ، وهى الترددات الخاصة بضوضاء الطريق .

وبالاضافة إلى الحماية التى توفرها

الجدران للمشاة ، فهى تحمى سائقى السيارات من الضوضاء المنبعثة من محركات سياراتهم ذاتها . ومن ثم فهى توفر عليهم توترا لا داعى له .

والطريف فى الأمر انه يمكن زخرفة هذه المادة لتصبح حلية معمارية تزين بها الطرقات والميادين .



جدران تزين الطريق وتمتص الضوضــــاء

سلحفاة تعلم الهندسة !

● هذا الطفل يتعلم وحده مبادىء الهندسة يساعده فى ذلك الكمبيوتر ولغة « اللوجو » التى ابتكرها العالم الأمريكى ســـــيمور بابرت . وتعتبر « لوجو » لغة تعليمية فعالة جدا ، ويرجع ذلك الى انها أبسط لغات الكمبيوتر جميعها .

فالطفل يضرب الأوامر مباشرة على مفاتيح الآلة الكاتبة لتقوم سلحفاة – تظهر على الشاشة فى شكل مثلث صغير – بتنفيذ جميع الأوامر .

فلكى يرسم هذا الطفل مثلا صورة هذا الدب الصغير عليه ان يعلم السلحفاة كيفية رسم الدائرة وذلك بان يامرها بالتقدم خطوة ثم الدوران إلى اليمين درجتين وتكرار ذلك ١٨٠ مرة ، وعندئذ يكتمل رسم رأس الدب . وتكرر السلحفاة نفس الخطوات كلما ضرب الطفل كلمة رأس . وهكذا بالنسبة لباقى اجزاء جسم الدب . وبالتالى فان جسم الدب سيتكون من مجموعة من البرامج الفرعية .

ومن ثم فان الطفل هو الذى يعلم الكمبيوتر وليس العكس ، وفى الوقت نفسه فان الطفل يتعلم بشكل غير مباشر مبادىء واساسيات الهندسة .



الطفل يعلم الكمبيوتر



احمد زكي وتيسير فهمي .. ولقطة من فيلم « العوامة ٧٠ » للمخرج خيري بشارة

بقلم: رؤوف توفيق

"الدوحة" تحضر مهرجان "روتردام" بهولندا

سباق مهرجانات السينما

.. وما يتبقى منها!



لقطات من الفيلم الفرنسى «تحقيق بسيط عن العنف» ويتناول موضوع اختطاف رجل اعمال .. وما الذى يفعله المختطفون معه ، ومع انفسهم !

التزحلق .. فى الفيلم الفرنسى « ... الى اللقاء » للمخرج الأمريكى « روبرت كرامر »

فى خلال شهر واحد ، عقـــدت ثلاثة مهرجانات دولية للسينما!

وتنقل السينمائيون من انحاء العالم ، يصحبون افلامهم .. من مهرجان لآخر .. يحلمون بالاهتمام والاضواء ، وفرص اكبر للتوزيع والانتشار .

وحيث يوجد مهرجان للسينما .. فلابد ان يكون هناك النقاد والصحفيون والمراقبون لصناعة السينما .. وكل مهرجان يقيس مدى نجاحه بما يكتب عنه فى الصحف العالمية ، وما تتناقله وكالات الانباء وشبكات التليفزيون .. وما يتركه من اصداء ، سواء أكانت بالثقة والاحترام .. أو اللامبالاة !

وهكذا كان شهر يناير الماضى .. شهرا مليئا بالاحداث السينمائية الهامة ، وايضا بالبالونات الملونة التى تبهر العين ولكن سرعان ما يبددها الهواء ، ولا يُبقى منها شيئا !

ففى ذلك الشهر ـ يناير ـ عقد مهرجان نيودلهى السينمائى (الهند) .. ثم مهرجان مانيلا (الفلبين) .. ثم مهرجان روتردام (هولندا) ، الذى انتهى فى ٦ فبراير .. وبعدها بأيام قليلة بدأ مهرجان برلين السينمائى ..

وقبل ان يعقد مهرجان برلين .. اعلن مديره فى اسف شديد ان المهرجان يعانى ازمة مالية حادة .. وانه لأول مرة فى تاريخـــــه لن يتمكن من اســـــتضافة السينمائيين والنقاد والصحفيين ، وان كل ما يستطيع ان يقدمه المهرجان .. هو فرصة العرض السينمائى .

واستطرد مدير المهرجان فى غضب واضح يعلق على الاغراءات الباذخة التى يوفرها مهرجان مانيلا لضيوفه .. وفى توقيت انعقاده الذى يسبق مهرجان برلين باقل من الشهر ، مما يجذب الكثيرين من صناع السينما ونجومها ونقادها (بلغ عدد الصحفيين الذين حضروا مهرجان مانيلا هذا العام اكثر من ٦٠٠ صحفى من جميع انحاء العالم) .

مازق مهرجان « برلين »

ورغم التاريخ الفنى الطويل لمهرجان برلين السينمائى ، والذى أصبح واحدا من اهم المهرجانات السينمائية العالمية .. الا ان سوء الحظ يطارده منذ سنوات .. فقد كان توقيت انعقاده قريبا من تاريخ انعقاد مهرجان « كان » السينمائى .. ولأن مهرجان « كان » له مكانته الخاصة ، واهميته المتميزة .. فقد قررت ادارة مهرجان برلين ان تبتعد عنه ، وان تسبقه بأربعة شهور ، حتى تتمكن من الحصول على الافلام الجديدة من الانتاج العالمى ، وتنفرد بعرضها قبل ان يحصل عليها مهرجان كان !!

ولكن .. حدث مالم يكن متوقعا .. فقد قررت الفلبين ان تقيم مهرجانا سينمائيا منذ العام الماضى (٨٢) ووفرت له ميزانية ضخمة ووسائل جذب مغرية مما أدار رءوس الكثيرين !

وهكذا وقع مهرجان برلين فى مازق صعب .. انه بين مهرجان شديد البذخ (مانيلا) .. ومهرجان شديد الأهمية (كان) .. وأصبح على مهرجان برلين ان يستنجد بعشاقه الا يخذلوه !

ليست افلاما فقط

وهذا السباق المحموم بين المهرجانات السينمائية .. وان كان يؤكد على أن السينما مازال لها هذا السحر الخاص ، وانها كفن لا يمكن ان تنزوى وتموت ، مهما



لقطة من الفيلم البرتغالى جزيرة العشاق للمخرج « باولو روشا »

الفيلم الهولندى « كاستا ديفا »





سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!

توالت عليها الضربات والأزمات ، بل هى قادرة دائما على ان تجدد نفسها ، وان تعثر على لغة متطورة لمخاطبة الاجيال الجديدة .. الا ان هــــذه المهرجانـــات السينمائية تؤكد ايضا على الوجه الآخر لها كعامل اعلامى وسياحى واقتصادى للبلد التى تقام فيه ..

فالمهرجانات ليست فقط افلاما ومناقشات فنية .. بل ايضا إنعاش تجارى للمطاعم والفنادق والمحلات .. وايضا وسيلة دعاية ذكية للبلد حيث يقترن كل ما يكتب ويذاع ويصور عن المهرجان باسم البلد .. بدليل ان اغلب المهرجانات العالمية تتفق على تمويلها بلديات المدن التى تقام فيها !

وهذه الحقيقة لا تنفى عن المهرجانات دورها الثقافى او الفنى .. ولكن تؤكد ايضا انه ليس بسبب الثقافة او الفن فقط تقام هذه المهرجانات !

مناقشات ساخنة

واوضح دليل على هذا .. ما حدث اخيرا فى مهرجان « مانيلا » السينمائى والذى تشرف عليه حرم رئيس الفلبين ، السيدة ماركوس ، والتى عمدت ان يكون المهرجان تعبيرا عن الثراء وكرم الضيافة وسط حفلات متتالية للرقص الشعبى والغناء وايضا عروض الأزياء الفلبينية .. بحيث يصبح المهرجان اعلانا مستمرا عن الفلبين .. ويتصل الليل بالنهار فى « مولد » يمتد عشرة ايام ..

ولتدبير الميزانية الضخمة لهذا المهرجان .. سمحت سلطات الفلبين بعرض الافلام الزرقاء (الافلام الجنسية الممنوعة رقابيا) .. مما دفع البسطاء من المواطنين واغلبهم من الشباب (اقل من ١٨ عاما) لأن يتحركوا بالآلاف منذ الصباح الباكر وحتى منتصف الليل داخل ١٥٢ دار عرض سينمائى فى المدينة ، وليدفعوا ضعف الثمن العادى لتذكرة السينما .. ليشاهدوا هذه الأفلام الممنوعة ..

وهذه الملاحظة اكدتها معظم الصحف العالمية والتى علقت على احداث المهرجان .. بل ذكر ناقد جريدة « الديلي تلجـراف » الانجليزية ان ارباح مهرجان مانيلا من هذه السياسة فى عرض الافلام الممنوعة .. وصلت الى اكثر من نصف مليون جنيه استرلينى .. وان كان هذا الناقد يعلق قائلا على ما حدث « ان الفن الردىء يدفع لمساعدة الفن الجيد » !

ولكن هل هذا صحيح ؟ ! لا اعتقد ..

فالفن الردىء وان كان يجنى ارباحا سريعة .. الا انه يؤثر فى الذوق والقيم والاخلاق وخطره افدح بكثير ، انه يخلق متفرجا من نوع خاص لا يرضى مزاجه إلا نفس النوع من الفن الردىء .. ويســـــتفحل المرض !

وكاننا بهذا المنطق .. نقبل ان نضحى بعقلية مئات من البسطاء ونحكم عليهم بفساد الذوق الدائم ..... مقابل ان نعطى جائزة وكيس من النقود لفيلم جيد ! !

وقد ثارت فى الفلبين مناقشات ساخنة حول قرار عرض الأفلام الزرقاء .. وتناقلت الصحف العالمية بعض هذه المناقشات .. مثلا نشر على لسان .. « مسز ماركوس » قولها : « ان العرى والجنس موجود فقط فى تفكيرنا .. واذا كنا نتاثر برؤية هذا الكلام الفارغ او هذه النفايات .. فان هناك شيئا خطا فينا كجمهور » !

ورد على هذا القول المسئول عن الرقابة وهو رجل دين اسمه « الكردينال سن » فقال معترضا : « اذا كانت مشاعرنا لم تجرح بالبذاءات والفحش .. فالخطا اذن فى داخلنا .. ومعنى هذا اننا لسنا افضل من الخنازير التى تتمرغ فى القاذورات وتلتهم النفايات » !

وهكذا احتلت هذه المناقشات ، المساحة الكبرى فيما نشرته الصحف العالمية عن مهرجان « مانيلا » .. بينما توارت فى اقتضاب السطور التى تحكى عن الكرم



لقطة من الفيلم المصرى « العزيمة » للمخرج كمال سليم

والبذخ وحفلات الرقص والغناء !

مهرجان بلا نجوم

والمنافسة بين المهرجانات تشتد .. وكل منها يحاول ان يجد طريقه على خريطة العالم .. وان يجد له صدى داخل قلاع السينما !

ولكن اغرب هذه المهرجانات واهدئها .. هو مهرجان روتردام السينمائى (بهولندا) .

وقد شاءت الظروف ان احضر هذا العام ـ ولاول مرة ـ هذا المهرجان ، والذى يقام باقل قدر من الدعاية ، حتى لا يكاد يشعر به احد وسط زحام واضواء المهرجانات الكبرى .

ومهرجان « روتردام » لا يسعى لتنشيط الاعلان عن نفسه .. بقدر ما يسعى لتاكيد قيمته الفنية بالنسبة لصناع السينما الجادة .

انه مهرجان لا يهتم بالنجوم او الاسماء اللامعة .. وانما يعطى كل حنانه واهتمامه لفيلم صنعه شاب مجهول فى بلد ما ، لكى يقول من خلاله وجهة نظر جريئة وواعية فيما يحدث حوله .

ولهذا نجد ان برنامج المهرجان يتضمن محاولات وتجارب عديدة من عشاق السينما .. سواء اكانت افلامهم من النوع المعروف بافــلام تحت الارض ـ او الافلام السرية ـ او افلام على مستوى فنى ممتاز ، ولكنها لم تلق اى نجاح فى عرضها ، او تكاتفت شركات التوزيع الكبرى لمحاصرتها وحبسها داخل العلب !

وقد انتابنى إحساس ، وانا اتابع عروض هذا المهرجان الذى استمر عشرة ايام .. اننى اشاهد نماذج من السينما المضطهدة !!

ولان هذه السينما موجودة ومنتشرة فى جميع انحاء العالم .. فقد احتفظ مهرجان روتردام بمكانته طوال اثنى عشر عاما هى عمره حتى الآن !

وعروض المهرجان تتم داخل مبنى متواضع من ثلاثة طوابق ، يشبه مبانى المدارس من الخارج .. ويشتمل المبنى على ست قاعات للسينما ، تتســـع اكبرها لثلاثمائة مقعد .. بينما اصغرها لا يتجاوز الثمانين مقعدا .. وتبدا العروض من الثامنة صباحا وتستمر حتى ما بعد منتصف الليل .. وقاعات العرض تمتلىء بالجمهور الذى يستطيع ان يقضى يومه باكمله داخل هذا المبنى ، حيث تتوفر به قاعات للطعام والشراب .. بخلاف قاعات المناقشة والمكتبة .

ويشع المكان كله بالدفء والحيوية .. فمعظم الجمهور من الشباب الواعى المثقف والذى يشاهد الافلام ويناقش مخرجيها والنقاد فى هدوء وثقة .. ورغبة واضحة فى التعرف على السينما المختلفة .

الجمهور هو الحكم

وهذا الجمهور هو الذى يحكم على الافلام ، ويعطى تقديراته من خمس درجات حسب مدى جودة الفيلم .. ويتم هذا من خلال اوراق مطبوعة داخل صندوق مفتوح على ابواب قاعات العرض .. ويمكن لاى متفرج ان يسجل رايه ، ويعطى تقديراته للفيلم .. ثم يتم تجميع هذه الاوراق بعد نهاية عروض الافلام .. لاستخراج التقييم النهائى لراى المتفرجين فى هذه الافلام .

وينشر هذا التقييم يوما بيوم فى جريدة المهرجان .

اى انه ليست هناك مسابقة وجوائز بالمعنى التقليدى للمهرجانات .. وبالتالى ليست هناك لجنة تحكيم .. بل الموضوع كله من الجمهور والى الجمهور !

وهذا المنهج الذى يتبعه مهرجان روتردام .. وان كان لا يحقق عنصر المفاجات التى تسفر عنها المسابقات ولجان التحكيم ، وايضا لا يجتذب الاضواء ومحلات الدعاية المسعورة .. الا ان هذا المنهج يضمن فى النهاية للمهرجان عدم الخضوع للتيارات السياسية والاهواء ومصالح شركات السينما الكبرى والتى غالبا ما تتدخل بشكل واخر فى المسابقات ولجان التحكيم .

وليس من شروط المهرجان التقيد بعرض احدث الافلام .. بل من الممكن ان تجد افلاما سبق عرضها فى مهرجانات سابقة .. او افلاما عرضت للجمهور فى انحاء من العالم .. وايضا قد تجد افلاما انتجت منذ عدة سنوات ولكن لم يتحين لها بعد فرصة للعرض الجماهيرى .

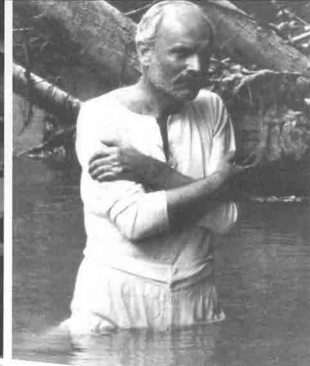
اى ان هدف المهرجان الواضح والصريح .. هو القاء الاضواء على السينما ذات المستوى الفنى الجيد والتى تقول رايا محددا فى صالح الانسان العادى ، وصراعه المستمر من اجل الكرامة والحـــــرية والعدالة .

افقر الافلام واغناها

وفى هذا الاطار تجد فيلما قصيرا اخرجه شاب سويسرى بكاميرا ١٦ مللى وبميزانية ضئيلة جدا .. وفى المقابل تجد اخر افلام المخرج الامريكى العبقــرى « فرانسيس كوبولا » .. وهو فيلم « واحد من القلب » والذى صوره باكمله داخل استوديو خاص به ، اشتراه وجهزه باحدث المعدات الاليكترونية .. وفى داخل هذا الاستوديو اقام ديكورات كاملة لشوارع مدينة لاس فيجاس الامريكية ، وجزءا من مطار بكل اقسامه ودفع داخل الاستوديو بمئات من الممثلين والكومبارس والسيارات والواجهات المضيئة الملونة الباهرة ، ليخلق جو الاحتفالات الامريكية بيوم ٤ يوليو .. ومن خلال هذا التكوين المتدفق بالحيوية يتوقف امام زوجين بعد خمس سنوات من الزواج حينما يحدث الخلاف فجاة .. وتقرر الزوجة ان تجرب حياة اخرى وان تسافر الى بلد اخر ، وينسج الفيلم موضوعه من خلال هذه اللحظات التى تشكل ٢٤ ساعة فقط .. فيها الانفصال



المخرج الامريكى « كوبولا » اثناء تصوير فيلم « واحد من القلب » والذى ادى إلى افلاسه



لقطات من الفيلم الايطالى « ليلة سان لورنزو » للاخوين « تافيانى »



سباق مهرجانات السينما .. وما يتبقى منها!

المفاجىء ، وفيها الاحتفال الصاخب بالمدينة وفيها محاولة كلا من الزوجين لاثبات قدراتهما على الحياة بدون الآخر .. حتى ينتهى الفيلم بعودة الزوجة الى بيتها ..

قصة حب رقيقة .. مليئة بالتفاصيل الشاعرية .. وضعها المخرج فى قالب موسيقى غنائى .. مستعرضا كل براعته السينمائية فى التعبير عن الفرح الخارجى والحزن والوحدة والالم الداخلى ..

ولكن الفيلم لم يحقق النجاح التجارى الذى يكفل حتى تغطية نفقاته .. مما اضطر المخرج « كوبولا » ان يبيع الاستوديو الذى حلم به طوال عمره .. ورهن ممتلكاته .. حتى يسدد ديون الفيلم .

اوربا التى لا نعرفها

كما يقدم المهرجان فيلما هولنديا بعنوان « كستا ديفا » فى محاولة لتأمل الصمت وعبادة الذات من خلال دراسة لشخصية ممثل فى خلفية من الموسيقى والغناء .

ويعرض المهرجان ايضا فيلما من ايرلندا بعنوان « الملاك » عن الموت كما يراه مخرج الفيلم « نيل جوردان » عبر احداث جنوب ايرلندا فى العشر سنوات الأخيرة .. حيث نرى بطل الفيلم الشاب يلعب دور عازف « الساكسفون » فى فرقة موسيقية .. وفى إحدى ليالى العرض يفاجأ الجميع باغتيال قائد الفرقة الموسيقية .. ثم اغتيال الشاهدة الوحيدة على ما حدث .. وينهمك الشاب عازف الساكسفون فى البحث عن القتلة لنرى من خلاله ماساة ايرلندا فى التعصب الدينى ، والعنف .

● وبنفس النظرة النقدية الصارخة .. يقدم الفيلم الانجليزى «نظرات الكريستال» الاضطرابات السياسية والصراعات الثقافية فى انجلترا .. والفجوة بين جيل الستينات وبين شباب هذه الأيام فى الافكار وطرق الخلاص من الواقع الصعب .

● ومن فرنسا يقدم المخرج الامريكى روبرت كرامر فيلم « الى اللقاء » عن الرغبة فى الحياة من خلال احلام شباب يمارسون التزحلق على الجليد ويمضغون دائما امنية الرحيل الى امريكا .

رؤية جديدة

وكما يختار مهرجان « روتردام » نماذج من سينما الشباب فى اليونان والمانيا وبولندا وامريكا .. يتوقف ليعيد النظر فى ثلاثة افلام فازت بجوائز كبرى فى المهرجانات خلال العام الماضى .

● فمن ايطاليا يقدم فيلم « ليلة سانت لورنزو » للمخرجين الاخوين « تافيانى » وقد حصل الفيلم على جائزة لجنة تحكيم مهرجان كان ٨٢ .. والفيلم يستعرض تفاصيل مسيرة ابناء قرية ايطالية ، رفضوا الانصياع لأوامر الفاشيست وخرجوا يبحثون عن حريتهم .. والمسيرة تحمل معنى الاصرار والتحدى ولا تخلو من المفارقات الطريفة والمواقف الانسانية التى صاغها ببراعة مذهلة الاخوين « تافيانى » وكانهما يقدمان بانوراما لعالم البسطاء والابرياء الذين وجدوا انفسهم اما ان ينضموا للقطيع او يشكلوا ذواتهم ..

● الفيلم الثانى للمخرج الالمانى « فيم فاندر » ويحمل عنوان « حالة الاشياء »


لقطة من فيلم « السقا مات » للمخرج صلاح ابو سيف


الفيلم الايطالى «ليلة سان لورنزو» للاخوين «تافيانى»

والذى فاز بالجائزة الكبرى لمهرجان فينسيا ٨٢ .. ويتناول الفيلم حالة السينما الآن ، بين تحكم الشركات السينمائية الكبرى ورغبة المخرجين فى التعبير عن انفسهم بلا ضغوط او تنازلات ..

● الفيلم الثالث .. للمخرج المالى « سليمان سيسى » والذى ظهر بعنوان « الريح » .. وفاز بالجائزة الكبرى لمهرجان قرطاج ٨٢ .. ويتعرض من خلاله ـ بجرأة شديد وبمستوى فنى متميز لوسائل القهر والعنف التى تمارس ضد الانسان محاولة اخضاعه بكل السبل ، ومن خلال الفيلم نرى جيلا من الشباب يواجه ذلك ولا يعرف الخوف ولا يقبل المهادنة !

دراسة لمخرج

ويفرد المهرجان قسما خاصا لافلام المخرج التشيكى الأصل « ايفان باسر » والذى اضطر ان يترك تشيكوسلوفاكيا بعد احداث عام ٦٨ .. وانتقل لفترة قصيرة الى انجلترا ومنها تحرك الى الولايات المتحدة ليستقر بها ويخرج اول افلامه هناك عام ٧١ .

قدم له المهرجان سبعة افلام تمثل سبعة عشر عاماً من عمره .. منهما فيلمين اخرجهما فى تشيكوسلوفاكيا .. والخمسة الباقيـة فى امريكا !

واحتفال بالسينما المصرية

واحتفل المهرجان بالسينما المصرية .. حيث قدم بانوراما من خلال عشرة افلام تمثل الواقعية فى السينما المصرية .. تبدأ بفيلم « العزيمة » لكمال سليم (عام ٣٩) الى فيلم « السوق السوداء » لكامــــل التلمسانى (عام ٤٣) الى فيلم « صراع فى الوادى » ليوسف شاهين (٥٤) .. وفيلم « الفتوة » لصلاح ابو سيف (٥٧) .. وفيلم « دعاء الكروان » لبركات (٥٩) .. وفيلم « صراع الأبطال » لتوفيق صالح (٦٢) .. وفيلم « الزوجة الثانية » لصلاح ابو سيف (٦٨) .. وفيلم « البوسطجى » لحسين كمال (٦٨) .. وفيلم « السقا مات » لصلاح ابو سيف (٧٩) .. وفيلم «العوامة ٧٠» لخيرى بشارة (٨١) .

واستقبل الفيلم المصرى فى مهرجـــان روتردام ، استقبالا مثيرا ، مليئا بالدهشة والحب .. فالكثيرون من الذين تابعوا المهرجان كانوا يتعرفون على تاريخ السينما المصرية لأول مرة وبهذا الشكل المكثف .. والذى يؤكد على الحقيقة التى تغيب احيانا كثيرة .. وهى ان السينما المصرية سبقت السينما الايطالية فى مدرسة الواقعية .

وتجمع المهتمون بالسينما داخل قاعات العرض يتابعون الافلام المصرية ويلتقون فى نقاش حيوى مع المخرج صلاح ابو سيف والذى يمثل جيل الكبار فى السينما المصرية ، والمخرج خيرى بشارة والذى يمثل جيل الشباب ..

وكانت فرصة وجود هذا العدد المتميز من الافلام المصرية ، دافعـــا لبعض المسئولين عن المهرجانات العالمية ونوادى السينما فى اوربا وامريكا لان يتقدموا بطلباتهم لاستضافة هذه المجموعة من الافلام للسفر الى بلادهم واقامة الندوات والدراسات عنها .

« فايدا » وخطاب تحية

وهكذا اتاح مهرجان « روتردام » اكثر من رؤية جديدة لفن السينما فى العالم .

وقد كان المخرج البولنـــــدى الكبير « اندريه فايدا » على حق عندما ارسل خطاب تحية الى مهرجان « روتردام » .. نشرته بالكامل صحيفة المهرجان فى اليوم الأخير .. وكانما ادارة المهرجان استكثرت على نفسها ان تنشر الخطاب فى حينه ورات ان تؤجل نشره بينما ضيوف المهرجان يحزمون حقائب العودة ..

يقول المخرج « فايدا » فى خطابه الذى أرسله من وارسو :

« فى هذه اللحظة الخاصة .. اريد ان اعبر لكم ان مهرجانكم فى « روتردام » يعنى الكثير لنا ، اكثر من مجرد مهرجان من عديد من المهرجانات التى تقام بين حين وآخر وقد تعرض افضل الافلام .. وقد تعرض اسواها ..

روتردام اصبحت مكانا لاجتماع الشباب والسينما الحية،والمجموعة الفنية التى اقودها ، قد عاشت هذه التجربة من قبل ، وتلاقوا من خلال مناقشة المشاكل المعاصرة ان هؤلاء الشبان من صانعى الافلام الذين وجدوا مكانا فى روتردام ، والذين وجدوا أيضاً مشاهدين عظماء .. هؤلاء المشاهدين الذين يفهمون مشاعرهم ومشاكلهم ويقدرون مبادرتهم الفنية .. كل هذا يملانى ايمانا بان فن السينما سيكون اكثر قوة وحيوية واكثر انتشارا من خلال مهرجانات مثل مهرجانكم » !

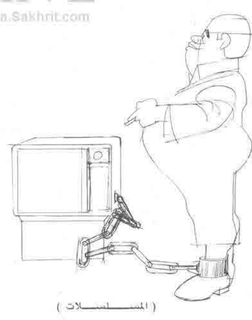
● ●

وهكذا تمضى مهرجانات السينما .. بعضها لا يترك سوى زغللة اضواء ملونة .. وبعضها يزرع الأمل فى سينما جديدة .

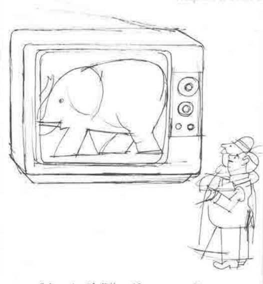
« رءوف توفيق »

ضحكات الشهر

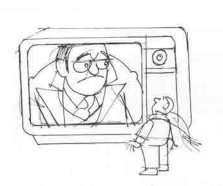
ـــ ... ! !



(المسلسلات)



ـــ وادى ده .. دخلوه التليفزيون .. ! ؟

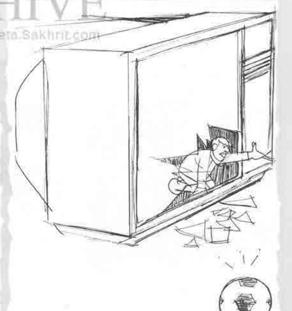


المذيع ــ عيب كده .. قبل ما تفتح ... خبط ... ! !



عصر الذم والنم .. انتهى .. اليوم يتم نقل الكلام بالقمر





ــ ... تسمحوا الكورة .. نكمل الماتش .



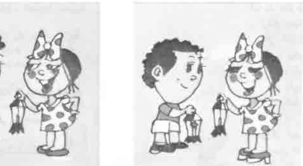
... ! ؟

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: رؤوف

أصل وصورة





● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● إن هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي عربي هل تستطيع معرفته .. ؟ ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله إلينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف ، وما رقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل .. ارسله إلينا .. ولك جائزة ... (٦٠ ريالا)

يخلق من الشبه أربعين















● الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الشاعر جبران خليل جبران .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. .. ارسل الحل إلينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

في الفجر

بقلم: فؤاد قنديل

في الفجر حين اتجول مختالا ، متفرداً بالوجود . متمتعا بالوحدة والتميز ، أشعر ان العالم بما فيه من خلائق ، قد فشل في الانسجام مع نفسه . بل فشل في البحث عن نفسه .. ضلت عنه وضل عنها . فهرب من البيوت والعمائر .

وهاهي تبدو لي خاوية ، دون أن تندم لفقدانهم . لقد فقدت بفقدهم الضجة والسخف . القسوة والغرور .

هاهي الآن تستمتع بالفجر ، وهاأنذا اقترب من الانسان ومن ثم أقترب من الله .

يا إلهي ما أعظمك ، حين أفكر فيك وانا ارتع وحيداً في الصفاء البهيج ، تتلقفني احضان النسيم وتجذبني بعيداً عن الضوضاء .

انا لا افكر الآن في العالم . فالعالم غير موجود . الموجود الأوحد هو الله .. إنه هناك في كل مكان .

أما تلك الجموع المحتشدة ، المتصارعة بغباء وسخف ، فهي قد فقدت علاقتها بالنبل والترفع ، وبالتالي فقدت ارتباطها بالأصول . انقطع حبلها السري الذي كان يشدها الى نبع الكون الفياض . الى النور الأول .

عند الفجر أهبط من غرفتي الى الشارع أسير متجولا منتشيا بالنسيم ، فاردا صدري فاتحا صديريتي لأستقبل الصفاء البهيج وأشهد لحظات الميلاد . ميلاد الأكوان .

انقل الخطوات من شارع الى شارع . احس ساعتها اني بشر ، بل احس اني مخلوق عظيم ، اتمتع بكل حواسي ، واشعر بها واطمئن عليها .. موجودة وتعمل بكفاءة اقفز فاذا انا رشيق كعصفور ، اغني فيلذ لي الغناء وتمتد انغام صوتي الجميل في سراديب الليل المنهزم .

تتخفف روحي من حمل جسدي وتطير من حولي ، تدنو وتنأى . تدعوني اليها فاستجيب . تتبدى لي في صورة ملاك رائع الاهاب في الهدوء والصفاء نشم بجلاء ونسمع في وضوح ، وترق أرواحنا وتشف اجسامنا و ..

كم هو عظيم ، رب الكون العظيم ، اذ خلقني على هذه الصورة الوديعة الشفافة .

فجاة اتذكر حالي بين الناس . هذه الآلات المتوحشة التي تصطرع وتصطدم ، أثناء النهار الرمادي اللعين .

ساعتها افقد ذاتي ، ولا أملك سبيلا اليها ولا قدرة للبحث عنها ، اغدو فضلة حقيرة من الفضلات ، وذرة ضئيلة في كون مهين .

يتخذ البشر من النهار ساحة لعرض العابهم ، ومجالا تنطلق فيه اختراعاتهم وآلاتهم ..

في هذه الحالة

يكونون اقرب الى الديدان منهم الى ذلك المخلوق العلوي العظيم الانسان .

في هذه اللحظات الباهرة الزكية ، وبرغم غضبي المبلح ، وسخطي اللائق تبدأ اجهزتي النفسية والجسدية في الاستعداد للنهار .

فالغضب والسخط يتحولان في هذه اللحظات الى سماحة وعفو .

يطل النهار في حياء . يقترب مني ويدور حولي ، ويسكب قطراته في عيني .

هذا هو الوجود ، وهؤلاء هم البشر ، يخرجون من العمائر التي كانت منذ قليل تشاركني وحدتي وانفرادي .

رويداً .. رويداً يقتربون . يمشون في هدوء وأدب ، وسرعان ما يمسهم الجنون ، ويغلبهم على امرهم . فتتدافع اقدامهم ويلهثون .

رويداً .. رويداً ابتسم لهم واشد على ايديهم .. وأرضى .

هذا هو الوجود .

ومهما كانت حاله . خيراً أو شراً قد أصبح مع الأيام كذلك شئنا ام أبينا . لابد ان يكون كذلك .

فوضى لا تستطيع افهامنا أن تضع لها نهاية فالبداية والنهاية عند احكم الحاكمين علام الغيوب . الى اين انتم ماضون .

خذوني معكم .